الخلافات تتسع بين ميليشيات حكومة الوفاق في ليبيا

ص2

الأمير عبدالعزيز بن سلمان يدير معركة أسعار لا تحتمل تكرار الفشل

ص8

لا تقطعوا رأس العالم لأنه مصاب بالصداع

ص7

العرب

www.alarab.co.uk

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977

الأحد 2020/03/22

27 رجب 1441

السنة 42 العدد 11654

Sunday 22/03/2020

42nd Year, Issue 11654

النهضة تربك أداء قيس سعيّد باستغلال مخاوف الشارع من كورونا

رئيس الحكومة في مواجهة البرلمان بحثا عن تفويض لاتخاذ القرارات

تونس – لم يخف الرئيس التونسي قيس سعيّد في خطاب، الجمعة، انزعاجه من وجود تحرّكات خفية تربك أداء السلطة المركزية، وذلك بعد أن بادرت محافظات (ولايات) إلى اتخاذ قرار بإغلاق مجالها الترابي أمام الوافدين من محافظات ومدن قريبة منها.

ويظهر القرار أن المؤسسات المحلية اتخذت قرارها لتأمين حياة الناس في ظل غياب المؤسسات العليا للدولة، وبالذات رئاسة الجمهورية التي يعود لها وحدها اتخاذ القرارات الخاصة بالأمن والطوارئ، وهو ما بدا استهدافا ممنهجا للرئيس سعيّد، خاصة بعد ما صاحب خطابه السبت من حملة كبيرة ضد لغة الخطاب وغموض الإجراءات التي تم اتخاذها خاصة ما تعلق بالتمييز بين الحجر الصحي القسري وحظر التجوال الشامل.

وبعد الإعلان عن إجراءات جديدة بشأن مواجهة انتشار الفايروس، لفت الرئيس سعيّد في خطاب الجمعة إلى أنه "لا مجال لأخذ قرارات من أيّ سلطة محلية أو جهوية دون الرجوع إلى السلطة المركزية والتنسيق معها"، مشددا على أن "هناك دولة واحدة موحّدة ولا مجال في تونس لمن يريد أن يضعف الدولة ومؤسساتها".

وقال متابعون للشأن التونسي إن سعيّد لم يكن ليطلق هذه التصريحات القوية لو كانت قرارات المحافظات والمحليات عملا تلقائيا، وإن الرئيس التونسي لديه شكوك بأنّ جهة ما وراء هذه القرارات التي تمّت بشكل متزامن في مناطق تعرف بسيطرة حركة النهضة على مؤسسات الحكم المحلي فيها.

وليست المرّة الأولى التي يشير فيها الرئيس سعيّد إلى وجود تضارب في الصلاحيات منذ بدء أزمة كورونا، حيث أشار الاثنين في لقائه مع رئيس الحكومة إلى "ضرورة تكامل عمل مؤسسات الدولة لخدمة المواطنين واحترام كل سلطة لاختصاصاتها دون تداخل أو تضارب أو مضاربات سياسية"، وذلك كردّ على دعوة البرلمان إلى فرض حظر تجوال كامل.

تعدد الرؤوس يعيق قيادة المعركة ضد كورونا

وأعلنت وزارة الصحة التونسية، السّبت، تسجيل 6 إصابات جديدة بفايروس كورونا، ليرتفع عدد المُصابين في البلاد إلى 60.

وقالت إنصاف بن علية، المديرة العامة للمرصد الوطني للأمراض الجديدة والمستجدة بوزارة الصحة، خلال مؤتمر صحافي بالعاصمة تونس، إنه "تم إجراء 126 تحليلا مخبريا، الجمعة، كانت نتائج 6 منها إيجابية (مصابة بالمرض)".

وتمكّنت تونس إلى الآن من السيطرة على كورونا ومنع انتشاره على الرغم من محدودية الإمكانيات، وحققت إجراءات الحكومة وقرارات الرئيس توازنا بين منع انتشار كورونا والإبقاء على مسيرة الحياة اليومية بنسق أبطأ ولكن ليس حجرا شاملا.

لكن الأداء الحكومي، الذي يلقى قبولا في الشارع، باتت تهدده الخلافات السياسية بين الرؤوس الثلاثة للسلطة (رئاسة الجمهورية، رئاسة البرلمان، ورئاسة الحكومة)، وهي خلافات خرجت من دائرة التلميح إلى الخلاف العلني، خاصة بعد تصريحات جديدة لرئيس الحكومة.

وفيما يطالب إلياس الفخفاخ بتفويض من البرلمان يتيح له إصدار المراسيم لمواجهة أزمة كورونا، التي يتوقّع أن تضع البلاد أمام تحدّيات صعبة ومعقدة، فإن البرلمان يرفض منح رئيس الحكومة أيّ صلاحيات مطلقة حتى يظل القرار الأخير بيد المؤسسة التشريعية.

وينتظر أن يعقد البرلمان جلسة عامة لسماع رئيس الحكومة والوزراء المعنيين بإدارة أزمة الفايروس بهدف التأكيد على أن البرلمان هو المرجع الوحيد للحكومة، وفق ما ينص على ذلك الدستور، وليس المرجع هو رئيس الجمهورية كما يحبذ الفخفاخ كون الحكومة هي "حكومة الرئيس" وتشكلت بضمانة منه.

ودعا الفخفاخ لدى اجتماعه الجمعة برؤساء وممثلي الأحزاب إلى "تغليب المصلحة العليا للوطن والاجتماع حول أهداف موحّدة قصد أخذ القرارات الصائبة والكفيلة بكسب رهان مجابهة انتشار كورونا ومقاومته".

ويعتقد مراقبون أن تعدّد الرؤوس يهدد معركة تونس مع كورونا، وهي معركة صعبة خاصة في ظل محدودية الإمكانيات التي تحوزها وزارة الصحة لمواجهة فايروس عجزت عن الحد من آثاره دول ذات إمكانيات أكبر مثل إيطاليا وفرنسا وإسبانيا.

وقال جوهر بن مبارك، الناشط السياسي والحقوقي، إن موجة كورونا هي "اختبار للدستور و توزيع الصلاحيات بين مؤسساته"، محذّرا من الانزلاق نحو تصادم الإرادات، في إشارة إلى خلاف الرؤساء الثلاثة.

وأضاف بن مبارك أن "مثل هذه الأزمات لا يقودها إلاّ ربّان واحد له الكلمة الفصل و سرعة القرار وتناسق الإجراءات".

جوهر بن مبارك

هذه الأزمة لا يقودها إلا ربان واحد له الكلمة الفصل

انتقادات حسن نصرالله لـ«الأصدقاء» تكشف حجم أزمة حزب الله

بيروت – كشف الخطاب الذي ألقاه حسن نصرالله الأمين العام لحزب الله في لبنان مساء الجمعة حجم الأزمة التي يعيشها الحزب بسبب حال الضعف التي تعاني منها إيران والسياسة التي تتبعها في لبنان.

وذهب نصرالله في هذا الخطاب المخصص لتبرير إفراج القضاء العسكري اللبناني عن عامر الفاخوري المتّهم بتعذيب لبنانيين في سجن الخيّام (بلدة في جنوب لبنان) في أثناء الاحتلال الإسرائيلي إلى توجيه انتقادات شديدة إلى حلفاء الحزب وأصدقائه.

وأوضحت مصادر سياسية لبنانية أن الأمين العام لحزب الله الذي حرص في خطابه على تأكيد أنّ لا علاقة له من قريب أو بعيد بإطلاق "العميل" عامر الفاخوري، الذي يحمل الجنسية الأميركية، كان يقصد في انتقاداته وتحذيراته التي وصلت إلى حدّ التذكير بأن "في الإسلام هناك شيء اسمه الطلاق" شخصيات عدّة.

ومن بين هذه الشخصيات رجل دين سنّي من مدينة صيدا الجنوبية يدعى ماهر حمّود. وسبق لحمّود أن عقد مؤتمرا صحافيا وجّه من خلاله انتقادات شديدة إلى صهر رئيس الجمهورية ميشال عون جبران باسيل (وزير الخارجية السابق وحليف حزب الله).

وحمّل رجل الدين السنّي باسيل مسؤولية إطلاق عامر الفاخوري بدل القصاص منه وذلك برضوخه للضغوط الأميركية. ولم يوفّر ماهر حمّود حسن نصرالله نفسه داعيا إيّاه إلى توضيح موقفه من "إطلاق العميل الإسرائيلي" على وجه السرعة.

ومن الشخصيات الأخرى التي تعتبر حليفة لحزب الله والتي وجه إليها نصرالله تحذيرات ولوما، هناك النائب جميل السيّد، المدير العام السابق للأمن العام الذي وجه أخيرا انتقادات غير مباشرة لـ"المقاومة"، وهو ما فعله أيضا الوزير السابق وئام وهّاب الذي يستخدمه حزب الله في مضايقة الزعيم الدرزي وليد جنبلاط وتمرير رسائل معيّنة عبره.

لكن المصادر السياسية أوضحت أن الغضب الأساسي لحسن نصرالله كان على الصحافي إبراهيم الأمين، رئيس تحرير صحيفة "الأخبار"، التي تعتبر ناطقة باسم "محور الممانعة" وناطقا غير مباشر باسم السياسة الإيرانية.

وكتب إبراهيم الأمين مقالا قبل أيّام انتقد فيه حسن نصرالله مباشرة بسبب السماح لعامر الفاخوري بمغادرة لبنان بدل التخلص منه جسديا.

وظهر مدى تضايق حزب الله من إبراهيم الأمين عبر تغريدة للشاعر علي عبّاس الذي يتولّى عادة تقديم حسن نصرالله إلى الحضور قبل إلقاء الأخير خطاباته.

وقال علي عباس في تغريدته التي أكد فيها الطلاق التام بين حزب الله وإبراهيم الأمين "من أنت؟ تعلم جيّدا أنك لست سوى مستأجر سفيه أو متسوّل كريه. إياك أن توهم البسطاء مجددا أنك تعرف المقاومة أو ثغر المقاومة. تذكّر أنك كنت تتسوّل خبرا لتكتب مقالتك باسمنا".

وخلص إلى القول "لست صديقنا، لقد أغلق الباب. انتخب لك شارعا تهيم به على وجهك. إبراهيم الأمين، إنّها الحلقة الأخيرة كفى".

ورأى سياسي لبناني يعرف حزب الله عن قرب أن خطاب حسن نصرالله، وما تضمنه من حملة على "الأصدقاء" و"الحلفاء"، يكشف حجم تضايقه من أيّ انتقاد له أو للحزب في مرحلة يبدو فيها أن المطلوب هو تقديم الطاعة العمياء للأمين العام نفسه بدل الشكوى من أيّ تنازلات يمكن أن يقدّمها الحزب في ضوء الأزمة المالية التي يعاني منها والتي لم تعد تسمح له بإسكات أيّ أصوات معترضة عليه من داخل البيئة المؤيدة له.

نفى مساعد وزير الخارجية الأميركي لشؤون الشرق الأوسط ديفيد شينكر وجود صفقة مع حزب الله أدت إلى إطلاق العميل عامر الفاخوري وتهريبه من لبنان، وشدد على أن واشنطن لم تقدم أي وعود بالمال أو إطلاق سجناء قائلا: "لا نتحدث مطلقا مع حزب الله".

تغيير طبيعة لبنان

خيرالله خيرالله

ص5

السلفيون والإخوان في الجزائر: إغلاق المساجد قرار كيدي

السلطات تستثمر تناقض الفتاوى لوضع يدها على القطاع الديني

صابر بليدي

الجزائر- أثار القرار الحكومي القاضي بغلق المساجد وإيقاف صلاة الجمعة والجماعة داخلها، في اطار حزمة الإجراءات المتخذة لتلافي توسّع عدوى الإصابة بوباء كورونا، امتعاضا لدى بعض الدوائر المحسوبة على تيار الإسلام السياسي من إخوان وسلفيين، واعتبرته قرارا كيديا ينطوي على نوايا أيديولوجية وليست صحية.

وعبّر رجل الدين والناشط المدني شمس الدين بوروبي، عن رفضه لقرار الحكومة القاضي، بغلق المساجد وحظر صلاة الجمعة والجماعة داخلها، تفاديا لامتداد عدوى الإصابة بوباء كورونا، واعتبره "قرارا تمييزيا مثيرا للشكوك"، لأنه سبق كل القرارات الأخرى المتعلقة بحظر مظاهر التجمّع البشري في المقاهي والمطاعم والحانات وحتى الأعراس والولائم.

وذكر في تسجيل صوتي له بأن "الفتوى الصادرة عن الهيئات الدينية المقرّبة من الحكومة، لا تستند إلى مبرّرات نصية مقنعة"، وأن مسألة النظافة والتعقيم تفترض في المساجد ودور العبادة، أكثر من الأماكن الأخرى التي بقيت مفتوحة أمام المرتادين الآخرين.

وانخرط منتسبو قطاع الشؤون الدينية والأوقاف، في حملة شرح وتعبئة تخص رواد المساجد تدعوهم إلى ضرورة تفادي أماكن التجمع البشري، باعتبار المقصد الأساسي من الشريعة هو "الحفاظ على سلامة البشر، أكثر من الحفاظ على دور العبادة، وأن المسألة على حداثتها يتوجب التعاطي معها بإيجابية".

وفي خطوة لتوحيد الخطاب الديني فيما أسمته بـ"الظرف الحساس الذي تمر به البلاد"، نشرت وزارة الشؤون الدينية والأوقاف الجزائرية، رسالة إلى جميع وسائل الإعلام خاصة السمعية والبصرية منها، تطلب فيها ضرورة حصول المتعاونين في المجال الديني على ترخيص من الوزارة من أجل السماح لهم بتقديم دروسهم ومساهماتهم الإعلامية.

وبررت الرسالة قرار الوزارة بـ"ضرورة توحيد الفتوى والخطاب الديني في الظرف الحساس الذي تمر به البلاد، وعدم السماح بظهور أصوات تستغل الظرف المذكور لإثارة جدل هامشي أو استمالة بعض الجزائريين لمقاربات دينية قد تتحوّل إلى أزمات حقيقية في المستقبل".

وسجلت حالة من الامتعاض لدى الأوساط السلفية كونها تمثل التيار المقرب من السلطة، رغم أن المنتمين إلى هذه الأوساط يتفادون الجهر برفضهم قرار غلق المساجد وحظر صلاة الجمعة والجماعة بداخلها، واصطدموا بهيمنة السلطات الدينية على مساجد البلاد، بعدما كان الكثير منها يقع تحت نفوذهم.

> تضييق الخناق على الجمعيات الدينية في خطوة للحد من تغلغل تيارات الإسلام السياسي في القطاع الديني

وتحصي الجزائر زهاء الـ30 ألف مسجد، تقع تحت سلطة وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، كما شدّدت في الآونة الأخيرة الخناق على مسألة الترخيص للجمعيات الدينية بعدما كانت مجمّدة للعديد من الأشهر، في خطوة لتحييد تيارات الإسلام السياسي عن التغلغل في القطاع الديني الذي بات يمثل خطا مهما في الاستقرار الاجتماعي بالبلاد.

ورغم حالة التململ التي يعيشها موظفو القطاع، حيث صعدت التنسيقية المستقلة (تنظيم نقابي)، من لهجتها في الأسابيع الأخيرة تجاه الوزارة، ونفذت العديد من الاحتجاجات الميدانية، إلا أن خطابها تماهى في الآونة الأخيرة مع توجيهات الحكومة، لاسيما في حملة التعبئة لمقاومة الوباء والامتثال للقرار الأخير.

وتزامنت رسالة وزارة الشؤون الدينية، مع رغبة قديمة لدى السلطة تسعى إلى توحيد الفتوى والخطاب الديني في البلاد وتنظيمهما، وإذا كانت تصطدم سابقا بمقاومة غير معلنة من طرف رموز وتيارات دينية فاعلة في المشهد، فإن الوضع الاستثنائي الحالي يعدّ في رأي الكثير فرصة سانحة للسلطة لوضع يدها على القطاع لاسيما وأنها تزامنت مع خيار شمل العديد من البلدان والمرجعيات الإسلامية.

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينار – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلسا – الإمارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا

AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

العرب
الأحد 2020/03/22
السنة 42 العدد 11654

طموحات باشاغا تغيّر معادلة الحرب والسلام في طرابلس

الخلافات تنخر جبهة السراج والمرتزقة الأتراك يتقاتلون لاقتسام المغانم

انشقاقات عميقة داخل ميليشيات الوفاق

عاد فتحي باشاغا وزير الداخلية في حكومة الوفاق مؤخرا من رحلة خارجية، وهو محمّل بطموحات ووعود كبيرة ليحل مكان فايز السراج ويجلس على سدة المجلس الرئاسي حسب ما ذهب إليه متابعون للمشهد الليبي، الأمر الذي ضاعف من حدة التباين بينهما، وجعل الخلافات المكتومة تخرج إلى العلن في شكل اقتتال في أماكن متفرقة في طرابلس على المكاسب والمغانم، وهو ما يجعل جبهة فائز السراج في مهب صراعات قاسية قد تعجّل برحيلها.

عبدالستار حتيتة
كاتب مصري

في صباح الثالث من مارس، استيقظ سكان شارع الهضبة، المؤدي إلى مطار طرابلس، على أصوات إطلاق قذائف صاروخية. السماء غائمة، وسُحُب الدخان تغطي واجهات المباني. دويّ الانفجارات بدأ يهز الجدران.

يقول إدريس، أحد سكان منطقة الهضبة، "اعتقدت، في البداية أنها مواجهات بين قوات الجيش الوطني الليبي بقيادة المشير خليفة حفتر، وقوات حكومة الوفاق بقيادة فايز السراج، ثم اتضح لي ولجيراني فيما بعد، أنها اشتباكات بين قوّتين تابعتين للمجلس الرئاسي لحكومة الوفاق هما الكتيبة 301، وكتيبة النواصي".

يُفترض أن هاتين الكتيبتين تتبعان غرفة عمليات "بركان الغضب"، مع مجاميع مسلحة أخرى. وهي غرفة تحظى بدعم تركي ويرأسها السراج، ويدير من خلالها الحرب لمنع تقدم قوات الجيش الوطني إلى مقر حكمه في طرابلس. ويتبع الغرفة، اسميا، بضع ألوف من المقاتلين، ربعهم تقريبا من المرتزقة والإرهابيين القادمين من تركيا، حيث يعملون مع الميليشيات المتباينة تحت اسم "القوات المساندة".

عبدالحكيم معتوق

فتحي باشاغا يطمح في شغل موقع فائز السراج

لم يتمكن السراج من خلق توافق وطني في بلاده منذ توقيع اتفاق الصخيرات أواخر 2015، وهو الاتفاق الذي أدى لتوليه رئاسة المجلس الرئاسي وحكومة الوفاق.

مع ذلك ما زال المجلس والحكومة يحظيان بدعم دولي، بيد أنّه أصبح دعما أقل من السابق. ففي عهد السراج استمرت الحروب، ونزح الآلاف من بيوتهم، وتدهور الاقتصاد، وارتفعت الأسعار، وتوقف تصدير النفط، وهو المصدر الرئيسي لإيرادات الدولة.

تعجُّ العاصمة، بعدد سكانها البالغ نحو مليوني نسمة حاليا، بالعشرات من المجموعات المسلحة المنحازة للسراج، مثل كتيبتي 301 والنواصي، إلا أن الخلافات فيما بينها تؤدي بشكل متسارع إلى تغير سريع في معادلة الحرب والسلام في طرابلس.

من يتحكم في من

تجمَّع الجيران في منزل إدريس، بعد أن هدأ الاقتتال مساء، ودارت أسئلة بسيطة مع فناجين الشاي الأخضر، حول من يتحكم في من؟ وكيف سيتم تطبيق هدنة لإسكات أصوات المدافع؟ حتى أشار أحدهم في إحباط، "لم يعد العالم يضع بلادنا على رأس أولوياته". وإضافة إلى رعب سكان طرابلس من قذائف الميليشيات الطائشة في الشوارع، جدَّ فزع من وباء كورونا.

ويقول المحلل السياسي الليبي، عبدالحكيم معتوق لـ"العرب"، "للأسف يبدو أن الدنيا أصبحت مشغولة بمكافحة الفايروس، لا بملفات الاقتتال الداخلي في هذه الدولة أو تلك".

وفي معركة شارع الهضبة، وقفت الميليشيات القادمة أساسا من مدينة مصراتة القوية (200 كيلومتر شرق طرابلس)، مع الكتيبة 301، لأنها تنتمي إلى مصراتة، ويقودها شاب غامض التوجهات يدعى عبدالسلام زوبي. وكان أحد قادة الميدان في كتيبته يأمر مقاتليه عبر اللاسلكي "اضربوهم.. امسحوهم".

بينما سارعت ميليشيات ما يعرف بثوار طرابلس والردع، واللتان تنتميان أصلا إلى العاصمة، لتعضيد قوة النواصي الطرابلسية، والتي كان يتولى قيادتها في ذلك الصباح، رجل يلقب بـ"الشيخ قدور"، اندفعت مدرعة فوقها مدفع عيار 14.5 ملم، إلى الأمام، وصاح أحد المقاتلين وهو يجري خلفها "الله أكبر".

وكانت ملامح الخلافات بين الميليشيات الطرابلسية والميليشيات المصراتية حاضرة في المشهد بقوة منذ شهور، بينما كانت الميليشيات المحسوبة على مدينة الزنتان (جنوب غرب العاصمة)، تراقب الوضع.

معروف أن مَن يهيمن على ميليشيات الزنتان، هو أسامة الجويلي، قائد المنطقة العسكرية الغربية، المُعيَّن من المجلس الرئاسي، إلا أن الميليشيات الزنتانية تتخوف دائما من أيّ تنام لنفوذ قوات مصراتة داخل طرابلس.

يُفترض أنّ كل هذا الخليط الميليشاوي المتربص ببعضه بعضا بما فيه من أجانب، يعمل على منع الجيش الوطني من دخول طرابلس.

لقد تقدم الجيش على أبواب العاصمة وفي محيطها منذ الرابع من أبريل الماضي، إلا أنه رضخ حتى الآن، لمطالب دولية بوقف إطلاق النار، مع ذلك يبدو أن لسان حال الميليشيات يقول "إذا تحرك الجيش توحدنا.. وإذا توقف اختلفنا".

وأكد محمد القشاط، رئيس جبهة النضال الوطني الليبية، لـ"العرب" أنه "حتى لو ظهر أن هذه الميليشيات منقسمة على نفسها، إلا أنها، في نهاية المطاف لديها توجه سيء، توجهها واحد، وهو الوقوف ضد الجيش الوطني".

وتيرة تنافس الميليشيات في طرابلس، زاد عليها أمران، وفقا لما يشرحه قائد عسكري في غرفة عمليات "بركان الغضب" الأول هو خلاف قادة هذه القوات على ما يصل من أسلحة وذخيرة من تركيا، والثاني احتدام النزاع حول مسألة توزيع الأموال من الغرفة، كالأجور والمكافآت.

وهناك خلفيات أخرى حول هذا الموضوع أيضا، فبعض القوات الطرابلسية والزنتانية، يتهم وزير الداخلية في حكومة الوفاق، فتحي باشاغا، ذا الأصول المصراتية، بمحاباة قوات مدينته، سواء الموجودة في طرابلس، مثل الكتيبة 301، أو الموجودة في مصراتة.

سبق لباشاغا مهاجمة الميليشيات المسلحة في بلاده منذ أواخر العام الماضي، وقال عنها، على قنوات التلفزيون "أنا لا أسميها مجموعات مسلحة، بل أسميها مافيات".

واتهمها كذلك بعرقلة عمل الحكومة، ولهذا "دول العالم تخلت عنا، وعن حكومة الوفاق، لأنها تعتبر حكومة الوفاق فشلت في كبح جماح هذه المجموعات المسلحة، وهؤلاء المجرمين الذين يمتشقون السلاح، والذين يتدخلون في أمور الدولة".

شعرت معظم الميليشيات الطرابلسية أنها هي، لا غيرها، المقصودة بـ "تلسين" باشاغا المستمر تجاه نشاطها المسلح في العاصمة، وعادت لتطلق اللقب الذي تستدر به عطف الليبيين، وهو كلمة "الثوار". لقد اعتبر أحد نواب الشيخ قدور، في كتيبة النواصي، ويدعى "أبودراع"، أن باشاغا "يضطهد الثوار".

على هذا كشّرت كتيبة النواصي عن أنيابها أكثر من السابق، وفتحت الباب لانضمام المزيد من المقاتلين في صفوفها مقابل 700 دولار للمقاتل الواحد شهريا، ونشرت إعلانات بهذا المعنى في أحد معاقلها في ضاحية سوق الجمعة، القريبة من قاعدة معيتيقة، في الجانب الشمالي الشرقي من قلب طرابلس. كما تحالف معها، ضد باشاغا والقوات المصراتية في طرابلس باقي قوات العاصمة، ومنها كتيبة ثوار طرابلس والردع وتاجوراء، بينما ظلت قوات الزنتان تترقب.

الموقف من تركيا

منذ مطلع هذا العام لوحظ أن سياسات باشاغا وتوجهاته تغيرت بطريقة لم تكن متوقعة. فحتى أواخر العام الماضي كان في مركب واحدة مع السراج وميليشياته، حيث تفاخر الرجلان علانية بعقد اتفاقيات لترسم الحدود والأمن والتعاون العسكري مع تركيا.

لكن وزير الداخلية أعلن فجأة في فبراير الماضي، أن الحكومة "لا تمانع في إقامة قاعدة عسكرية أميركية في ليبيا، إذا طلبت الولايات المتحدة ذلك، وأن هذا من شأنه أن يعزز التعاون بين البلدين في مجال مكافحة الإرهاب، والجريمة المنظمة، وإيقاف التدخلات العسكرية". أحد مسؤولي وزارة الداخلية المقربين من باشاغا، قال لـ"العرب"، طالبا عدم ذكر اسمه لأنه غير مخوّل له الحديث للإعلام، إن تصريحات الوزير بشأن التعاون مع واشنطن أثارت غضب الأتراك في البداية، كما دفعت قادة في التنظيم الدولي لجماعة الإخوان، وهو تنظيم حليف لكل من أنقرة والدوحة، لمراجعة رهاناتهم على باشاغا.

وأضاف المسؤول نفسه، أن الوزير لم يقطع علاقة الود مع تركيا، رغم الريبة التي تلاحق زياراته ولقاءاته الأخيرة التي يجريها مع مسؤولين دوليين وسفراء أجانب.

وفوق هذا، ما زالت الأسلحة تأتي من تركيا عبر الطيران وعبر السفن، وما زال المقاتلون الأجانب القادمون من تركيا يتدفقون على ليبيا، وفقا لتصريحات اللواء أحمد المسماري، المتحدث باسم الجيش الوطني.

المشكلة أن جانبا من الخلافات التي تقع بين حين وآخر بين ميليشيات مصراتة وطرابلس والزنتان، تتعلق بنصيب كل منها ممّا يأتي عبر تركيا من أسلحة ومقاتلين، ومن بين مصادر قلق الميليشيات الطرابلسية والزنتانية كذلك أن معظم المدد التركي، وبعد وصوله إلى ليبيا، يتم توجيهه إلى الميليشيات المصراتية.

> تحركات باشاغا لا تشير لمستقبل واضح المعالم في ليبيا، خاصة في ظل إهمال العالم للملف السياسي حاليا، واهتمامه بالملف الصحي بسبب كورونا

وسط هذه الأجواء تمكنت تركيا من خلق أذرع لها على الأرض في طرابلس، ومصراتة، وفي غريان (قرب الزنتان)، وفي كثير من الأحيان ترصد أجهزة أمنية في العاصمة تواصلا مباشرا بين مسؤولين عسكريين أتراك وقادة ميليشيات ميدانيين دون تنسيق يذكر مع السراج أو مع باشاغا، بحسب مصدر في جهاز مكافحة الإرهاب في طرابلس.

حدثت تغيرات جذرية ساهمت في خلط المزيد من الأوراق في الشهور الأخيرة. مثلا، تبدّل توجه كتيبة الردع التي تسيطر على قاعدة معيتيقة؛ فبعد أن كانت تقف ضد حلف جماعة الإخوان وتركيا وقطر، ارتمت في أحضان هذا الحلف، ومنحت للأتراك حق التواجد العسكري في القاعدة.

أما المقاتلون المرتزقة الذين أرسلتهم تركيا إلى ليبيا فقد أصبح ولاء العديد من قادتهم لمن يدفع رواتبهم، ولمن يدفع أكثر، وتوزّعوا بين ميليشيات مصراتة وطرابلس والزنتان، ويُقاتلون بغض النظر عمَّن هو العدوّ، ففي الكثير من الأحيان يشترك مثل هؤلاء في حروب بين هذه الميليشيات وبعضها، كما حدث بين الكتيبة 301 والنواصي في شارع الهضبة.

طموحات باشاغا

تعد مصراتة مدينة مهمة في معادلة الاستقرار في ليبيا؛ مدينة تجارية ثرية تقع على البحر المتوسط، وتعتبر الأكبر بعد بنغازي وطرابلس، ويوجد فيها كذلك المقر الرئيسي لحزب العدالة والبناء التابع لجماعة الإخوان.

بدأ حزب الإخوان يشعر أخيرا بضغط من لوبي رافض لوجوده وجماعته في المدينة، وهو لوبي يعادي التدخل التركي في شؤون ليبيا، ويعرف باسم "أحرار مصراتة". حدث ذلك بالتزامن مع تحركات باشاغا المحلية والدولية.

أخذت جماعة الإخوان في تطعيم ميليشيات طرابلس بالمزيد من الإرهابيين القادمين من تركيا، في محاولة منها لخنق باشاغا في العاصمة. ويقول معتوق إن "الوضع أصبح غريبا في طرابلس، وهناك انشقاقات كبيرة وصدامات وعرة، وهناك أيضا قتلى من الميليشيات على أيدي مرتزقة من السوريين".

في المقابل تشير العديد من التكهنات إلى أن باشاغا يحاول الاستقواء بالقوات المحسوبة على مدينته، وهي قوات ذات تسليح جيد، لكنها منقسمة على نفسها هي الأخرى، ويسعى باشاغا إلى بلورة رؤية لأطراف دولية معنية بليبيا، يقضي بها على الفوضى في العاصمة.

ومن بين المقترحات تخفيض عدد أعضاء المجلس الرئاسي إلى رئيس ونائبين، بدلا من رئيس وثمانية نواب، مع فصل موقع رئيس المجلس الرئاسي عن موقع رئيس الحكومة.

ويعتقد معتوق، أن باشاغا يطمح في شغل موقع السراج، كما أن أطرافا دولية ترى أنه يمكن أن يكون بديلا، حيث يشغل موقع رئيس الحكومة الليبية بترتيبات معينة.

هذه الفرضية تأتي على خلفية مقترحات جرى طرحها في بضعة اجتماعات دولية أخيراً، عن إمكانية تعديل تركيبة المجلس الرئاسي.

ويوضح معتوق الذي شغل من قبل موقع المستشار الإعلامي للمندوبية الليبية في الجامعة العربية، والمتحدث الرسمي السابق باسم الحكومة الليبية المؤقتة، "يبدو أن هناك وعودا لفتحي باشاغا من قبل الفرنسيين ومن قبل الأميركيين بأن يكون الرجل بديلا للسراج".

ورغم كل شيء لا تشير تحركات باشاغا لمستقبل واضح المعالم في ليبيا، خاصة في ظل إهمال العالم للملف السياسي حاليا، واهتمامه بالملف الصحي بسبب كورونا، إلا أن أيّ خطة لنزع سلاح الميليشيات في طرابلس دون القيام بالمثل في مصراتة والزنتان من شأنها أن تؤدي إلى تفاقم حالة الاقتتال بين هذه الميليشيات من جهة، والاقتتال بينها وبين الجيش الوطني من جهة أخرى.

ومع ذلك، لا يرى القشاط أيّ حظوظ سياسية لباشاغا في حال تمكن الجيش الوطني من دخول طرابلس، قائلا "باشاغا أحد مهندسي الفوضى، وانتصار الجيش سينهي دور كل هؤلاء جميعا"، أي باشاغا والسراج والميليشيات والمرتزقة وكل الإرهابيين.

وإلى أن يتمكّن الجيش من حسم الأمور في العاصمة، يعتقد القشاط أن ألاعيب الميليشيات سوف تستمر مثلها مثل ألاعيب جماعة الإخوان، "هؤلاء لا تأمن لهم، توجههم واحد، وإن اختلفوا فإنهم يختلفون مثل اختلاف السُّراق على الغنيمة".

العرب
الأحد 2020/03/22
السنة 42 العدد 11654

المهاجرون في وضع هش بمواجهة فايروس كورونا

إثبات عدم الإصابة بكوفيد-19 أحد وثائق طلب اللجوء

مأساة عمقها الوباء

عرّض وباء كورونا نظام الهجرة في جميع أنحاء أوروبا إلى صعوبات كبيرة بعد أن أغلق الاتحاد الأوروبي حدوده الخارجية لثلاثين يوما، ما دفع مفوضية الأمم المتحدة السامية للاجئين إلى التذكير بأن ذلك يجب ألا يحرم طالبي اللجوء من الحصول على ملاذ وألا يدفعهم إلى أن يعودوا أدراجهم.

برلين – جمّدت ألمانيا برامجها الإنسانية لاستقبال اللاجئين القادمين من تركيا ولبنان بعدما كانت تعهدت بالتكفل بـ5500 شخص معظمهم من السوريين، فيما سمحت تركيا مؤخرا لعدد كبير من المهاجرين وطالبي اللجوء بالعبور إلى اليونان ضمن خطتها لابتزاز دول الاتحاد الأوروبي ودفعها لمساندتها في معركة إدلب السورية، ما فاقم المعاناة.

وتم الحد من تقديم طلبات اللجوء، وأصبح الأمر غير ممكن ما لم يخضع مقدم الطلب لتحليل يثبت عدم إصابته بكوفيد-19 بعد 14 يوما في حجر صحي، ما يعقد وضعيات طالبي اللجوء.

وقالت وزارة الداخلية الألمانية إن بعض المقابلات التي تشكل عنصرا أساسيا في إجراءات منح اللجوء، تم تعليقها. وفي ألمانيا حيث يعيش 1.3 مليون طالب لجوء ومهاجر، توقف العمل بشكل شبه كامل تقريبا في الإدارات الحكومية المخصصة لهم.

و حذر نواب أوروبيون ومنظمات غير حكومية من حدوث "كارثة" صحية، فيما يبدو المهاجرون في أوروبا في وضع هش في مواجهة وباء كوفيد-19 مع تعليق برامج استقبالهم وإجراءات منح اللجوء وفرض الحجر الصحي.

وأدى هذا الوضع المشوش إلى صدامات في مركز يضم 533 مهاجرا في الحجر في سول شرق ألمانيا، ما اضطر السلطات إلى نشر مئتي شرطي وإرسال 22 شخصا إلى سجن قديم للفتية.

في ألمانيا حيث يعيش 1.3 مليون طالب لجوء ومهاجر، توقف العمل بشكل شبه كامل في الإدارات المخصصة لهم

ويشعر المتطوعون والمنظمات غير الحكومية بالقلق من التخلي عن هذه المجموعة الهشة، إذ أنه لا يمكنهم العيش بمسافات تفصل بينهم في غرف صغيرة وحمامات ومطابخ مشتركة. وقالت المتطوعة صوفيا التي تتابع عدداً من العائلات الأفغانية في مركز في شمال شرق برلين إن "الأطفال يواصلون الجري في الممرات".

وأضافت هذه الشابة التي تطالب بمنع الزيارات في هذا المركز "وضع سائل مطهر عند المدخل لكن لم يتخذ أي إجراء آخر".

وفي فرنسا وبسبب إجراءات العزل والخوف من العدوى، أصبح المتطوعون نادرين في كاليه حيث يتجمع نحو ألفي مهاجر، والنتيجة هي أن وجبات الطعام توقفت.

وحذر أنطوان نير من المنظمة غير الحكومية "أوتوبيا 56" من أنه "إذا انتشر الفايروس في مخيم ما فستحدث كارثة".

وقال النائب الأوروبي عن دعاة حماية البيئة الألمان إيريك ماركارت إنه في اليونان حيث يقيم عشرات الآلاف من الأشخاص في مخيمات محرومة من الشروط الصحية الأساسية، يلوح خطر "كارثة" صحية. وأوضح "إذا لم يتم إخلاء هذه الجزر فستحدث كارثة في الأمد المتوسط".

وتدعو المنظمة الألمانية غير الحكومية "برو-أزيل" أيضا إلى "تضامن أوروبي" لاستقبال المهاجرين العالقين في الجزر اليونانية وبينهم "عشرة آلاف قاصر".

وأكدت برلين من جديد التزامها التكفل بعدد من أطفال ينوي الاتحاد الأوروبي إجلاءهم من المخيمات.

ولتجنب انتشار المرض، فرضت أثينا قيودا على حرية تنقل المهاجرين في جزر بحر إيجه. وأطلقت منظمة أطباء بلا حدود حملة إعلام عن الفايروس.

وعبر نواب أوروبيون عن استيائهم لأن "لا فائدة كبيرة من توزيع منشورات تتضمن نصائح حول النظافة الصحية... إذا كان الناس لا يستطيعون المحافظة على مسافات بينهم لأنهم ينامون تحت الخيام ملتصقين ببعضهم". وحمّلت الحكومة الألمانية تركيا على وجه الخصوص مسؤولية تفاقم أزمة اللاجئين على الحدود التركية اليونانية بعد أن أعلنت أنقرة في وقت سابق فتح حدودها للمهاجرين للعبور نحو قلب أوروبا.

وقال المتحدث باسم الحكومة الألمانية، شتيفن زايبرت "تركيا تتحمل على نحو واضح تماما مسؤولية الزج بهؤلاء الأفراد اليائسين في مأزق".

وأضاف زايبرت، في إشارة إلى التدفق الأخير للمهاجرين على الحدود مع اليونان، "تركيا ألقت للأسف مخاوفها الجادة، التي يتعين على الاتحاد الأوروبي استيعابها والتحدث بشأنها مع أنقرة، على عاتق هؤلاء الأفراد".

وتأمل تركيا أن تنال دعماً من الاتحاد الأوروبي لعملياتها العسكرية في شمال غرب سوريا، وهو ما جعلها "تبتز" الأوروبيين بورقة المهاجرين.

وأدت العملية العسكرية التي يشنها النظام السوري في منطقة إدلب، آخر معقل لمجموعات معارضة وجهادية، بدعم من موسكو، إلى كارثة إنسانية مع نزوح أكثر من مليون شخص. وتخشى أنقرة دخولهم إلى أراضيها.

وكانت تركيا توصلت مع الاتحاد الأوروبي إلى اتفاق في مارس 2016 ينص على إعادة اللاجئين الموجودين في اليونان إلى تركيا إذا لم يحصلوا على حق اللجوء في أوروبا.

كما يشترط الاتفاق استقبال الاتحاد الأوروبي للاجئين سوريين من تركيا بطريقة شرعية، إلى جانب تعهده بتقديم مساعدات مالية بقيمة 6 مليارات يورو لدعم الحكومة التركية في تقديم خدمات للاجئين على أراضيها.

ويأتي تهديد تركيا انتهاكا للاتفاق المبرم بينها وبين الاتحاد الأوروبي والذي أدى إلى تراجع كبير في أعداد المهاجرين الذين يتوجهون نحو اليونان، لكن أثينا والاتحاد الأوروبي تحدثا عن ارتفاع في عدد الوافدين في الأشهر الماضية.

تنظيم القاعدة في اليمن يتوعد واشنطن

صنعاء – أعلن زعيم القاعدة في جزيرة العرب خالد بن عمر باطرفي، مبايعته لزعيم التنظيم أيمن الظواهري، متوعدا واشنطن بأن يكون تنظيمه "كابوسا يقض مضاجع الأميركيين".

وجاء ذلك في أول ظهور لباطرفي، الذي تم تنصيبه خلفا لقاسم الريمي، الذي اغتيل في غارة أميركية مطلع فبراير الماضي في محافظة البيضاء (وسط اليمن).

وقال باطرفي، في تسجيل مصور بثته مؤسسة الملاحم (الذراع الإعلامية للتنظيم) "نقول للأميركيين إننا لن نكون إلا كابوسا يقض مضاجعكم، وحمما تحرق قلوبكم وأجسادكم".

وفي يناير 2017، وضعت الخارجية الأميركية خالد باطرفي على قائمة "الإرهابيين العالميين"، وحظرت أصوله وممتلكاته في الولايات المتحدة، ومنعت الأميركيين من التعامل معه.

وكان الرئيس الأميركي دونالد ترامب، قد أعلن في 6 فبراير مقتل الريمي خلال إحدى عمليات "مكافحة الإرهاب" في اليمن، الأمر الذي أقره التنظيم لاحقا.

ويتخذ "تنظيم القاعدة في جزيرة العرب" من اليمن مقرا له.

و توقع محللون في وقت سابق أن يتم الإعلان قريبا عن زعيم القاعدة الجديد في جزيرة العرب لكنه لن يكون شخصا يملك شهرة مثل "الريمي" وليس بمكانة سلفه "الوحيشي".

ويغطي قتل الريمي الذي تبنى في السابق عمليات ضدّ أهداف غربية، وذلك بعد نحو عام عن قتل جمال البدوي القيادي في القاعدة بضربة من طائرة دون طيار على منطقة جبلية في محافظة البيضاء جنوبي اليمن، على عملية إنزال متعثّرة كان أمر بها ترامب في بداية عهده سنة 2017 واستهدفت موقعا للتنظيم المتشدّد بمحافظة أبين بالجنوب اليمني، لكنّها لقيت انتقادات حادّة واعتبرت مغامرة غير معهودة بعد أن سقط فيها عدد كبير من المدنيين.

ويرى محللون أن إمكانيات الجماعة تراجعت على مر السنوات مع تتالي الضربات الموجعة التي تلقاها التنظيم وأدت إلى فقدانه أبرز قادته.

وأكد غريغوري جونسون من "مركز صنعاء للدراسات" أن "مقتل الريمي حدث مهم. لكنه لم يكن زعيما جيداً لتنظيم القاعدة في جزيرة العرب.

ومنذ تولّى القيادة في 2015، ضعف الجناح الإرهابي الدولي للجماعة بشكل كبير".

ونفّذ التنظيم عدة عمليات ضد الحوثيين والقوات الحكومية في اليمن على حد سواء، إضافة إلى هجمات متفرّقة في الخارج بما فيها الاعتداء الذي استهدف مكاتب مجلة شارلي إيبدو الفرنسية الساخرة سنة 2015.

سقوط التشّيع السياسي في العراق

د.ماجد السامرائي
كاتب عراقي

أسقطت انتفاضة أكتوبر العراقية العديد من المقدسات الزائفة التي ارتبطت بحكم أحزاب الإسلام السياسي الشيعي وتجربتها المرة منذ أول دورة انتخابية عام 2005 بعد تشريع دستور لم يشر صراحة إلى تولّي الطائفة الشيعية للحكم، لكن سلطة الاحتلال الأميركي منحت العراق كهدية تاريخية لإيران عبر الأحزاب الموالية لها في تعد فاضح على مبادئ الديمقراطية المناقضة للطائفية، وبتطابق مّا بين نزعات اليمين الأميركي المتطرف وأحلام الولي الفقيه لجعل هذا البلد عبر أدواته الأنموذج الأول لنظرية التوسع الإيراني في المنطقة.

أوهم القادة الشيعة أبناء طائفتهم بأن شأنها وهويتهم المذهبية سيعلوان على الوطن وعلى الطوائف الأخرى، وفي مقدمتها الطائفة السنية، التي تستحق من وجهة نظر أوليائهم الخضوع لبرنامج العقاب الجماعي في العراق ولاحقا في أيّ بلد عربي يتمكنون فيه من القبض على السلطة، لأن هذه الطائفة، وفق أكاذيبهم، تشكل رمزا للحكم العربي الإسلامي منذ 1400 عام وفي العراق منذ 80 عاما، ودون توثيق ديمغرافي حقيقي طمأنوا جمهورهم الذي تلاشى في الأول من أكتوبر 2019 بأن أغلبيتهم الطائفية ستضمن حكم "الشيعة" في العراق لمئات السنين المقبلة.

الأخطر ليس ولاية زعماء الشيعية العراقيين في حكم العراق على أساس مقولة "الأغلبية العددية"، وإنما فيما جرى من تمرير هذه المسألة كغطاء لسيطرة شيعة إيران على السلطة في بغداد، كما في لبنان حيث هيمن حزب الله الإيراني – وهو لا يمتلك أغلبية طائفية – تدريجيا على السلطة عبر قوة السلاح المغطّى بشعار المقاومة لتحرير قطعة أرض من الجنوب اللبناني متجاوزا اتفاق الطائف ولفرض متطلبات مشروع ولاية الفقيه على لبنان.

ومثل ذلك يحصل من قبل أقلية مجموعة الحوثي في اليمن. ولا تتردد مرجعية خامنئي إن توفرت لها الظروف، لكنها لن تتمكن، في إشاعة هذا النمط الولائي من الحكم على جميع البلدان العربية السنية ضمن مشروع التشيّع السياسي الإيراني.

بإطلالة سريعة على بعض مظاهر مشروع التشيّع السياسي الشيعي في العراق يلاحظ زخم البرنامج الإيراني الذي نشط منذ عام 2003 تحت شعار "تشييع العراق" بطرق مختلفة من بينها التغيير الديمغرافي المباشر بعد نهاية احتلال تنظيم داعش عام 2017. والأخطر عبر أدوات وبرامج حكومية محلية أزاحت رسميا جميع عناصر الثقافة الوطنية العراقية وعمقها العربي وعوّضتها بالثقافة "الشيعية" ملبية للدعوة المذهبية الإيرانية وعدائها لكل ما هو عربي، فأزيلت فقرات من التاريخ العراقي العربي الإسلامي من مناهج التربية والتعليم، وتم تحوير فقرات التاريخ القريب إلى الرموز الطائفية مثلا ثورة العشرين التي سحبت من عراقيّتها لتصبح ثورة "شيعية" واستبدلت أسماء الشوارع والأحياء والمدن التي ترمز إلى تاريخ العراق ومقاومته وانتصاره على الفرس بأخرى ذات مدلولات طائفية كإطلاق اسم "الخميني" على أحد شوارع البصرة. كما قامت ميليشيات شيعية مسلحة عام 2005 بتفجير نصب الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور ببغداد، وبعض النصب الوطنية الأخرى، لإحلال مظاهر مذهبية طائفية تختفي من خلالها صورة بغداد العربية الزاهية.

القناع لم يعد يخفي الحقيقة

لم تعد قصة التوافقية في الحكم خادمة لمقتضيات بقاء الأحزاب التقليدية بعد اجتياح من يطلقون على أنفسهم أبناء "المقاومة الإسلامية" للمشهد السياسي، فهؤلاء لا تعجبهم دبلوماسية الأحزاب الشيعية الهرمة، هم يجاهرون في ولائهم لطهران ومنفذون أوفياء لمشروعها الحالي لإخراج القوات الأميركية، ولبرامج لاحقة أخرى إن توفرت لهم الفرصة، والسلطة بالنسبة إليهم يحصلون عليها بالبندقية، ولم يعد لعناوين "الأغلبية والأقلية" مكان في برامجهم.

قادة الأحزاب الشيعية الكبيرة لا يستسلمون لحقيقة أنهم أصبحوا جزءا من الماضي، وعليهم المغادرة، فيحاولون من جهة لملمة أجزائهم المبعثرة، ومن جهة أخرى القيام بتحركات سياسية متخلفة توحي بمحاولتهم ترميم أعمدة الحكم المنهارة ببعض الديكورات الفضفاضة، لكنها محاولات الغريق وسط الأمواج الكاسحة.

على سبيل المثال من خلال عدم سماحهم بتمرير اسم رئيس وزراء جديد من دون موافقتهم الجماعية لأن صيغة مجيئه عن طريق رئيس الجمهورية قد تفتح ثغرة في جدار فسادهم الأسطوري وتهيئ الظروف بصورة غير مباشرة كمقدمة لعملية تحوّل لا يقودها رئيس الوزراء الجديد وإنما أصحاب مشروع التغيير المقبل.

لم تعد قصة الأغلبية والأقلية تقرأ في العراق على الأساس التقليدي السائد، فقد قلبت معادلتها انتفاضة أكتوبر الشبابية بمنطقها الثوري، لتتحول من أغلبية شيعية مقابل أقلية سنية كما يشاع إلى أغلبية الثوار العراقيين الوطنيين الشيعة ضد أقلية الحكام الشيعة الموالين لطهران.

مثلا، على صعيد النسبة العددية التقليدية كم هو عدد الحكام اليوم، بضع مئات، بمساندة بضع آلاف من المسلحين، لا جمهور لهم مثلما زيفوا وادعوا في السابق، وهم معزولون في المنطقة الخضراء ببغداد، مقابل الأغلبية الشيعية العراقية من الثوار ومساندهم شعب العراق وبختم أكثر من مليون ونصف شهيد عراقي منذ عام 2003 وإلى حد الآن وليسوا فقط الـ700 شهيد منذ الأول من أكتوبر الماضي.

المعركة اليوم مباشرة بين ميليشيات السلاح التي لا غطاء عراقيا لها والغطاء الإيراني تراجع زخمه، وبين شباب انتفاضة أكتوبر التي سيكون النصر حليفها.

العرب
الأحد 2020/03/22
السنة 42 العدد 11654

غوغل ودونكيشوت وكورونا

مرح البقاعي
كاتبة سورية أميركية

أعلنت واشنطن رسميا حالة الطوارئ الوطنية! وخرج الرئيس دونالد ترامب في اليوم التالي للإعلان ليطمئن الشعب الأميركي من طرف مناصريه، (وليخيّب آمال الطرف الآخر من خصومه)، معلنا نتيجة الفحوصات التي أجراها طبيب البيت الأبيض على حالته الصحية والتي أثبتت أنه خال من فايروس "كوفيد – 19" المعروف عالميا باسم كورونا.

أما الولايات المتحدة القابعة ما وراء المحيط فقد دخلت منذ إعلان حالة الطوارئ الوطنية في عزلة كاملة عن جاراتها على الضفة الأخرى من الأطلسي في القارة الأوروبية بعد أن حظرت لمدة 30 يوما على الأقل حركة الطيران المدني القادم إليها من دول القارة كافة، تلك الدول التي احتلّت المرتبة الأولى لجهة انتشار الفايروس من حيث السرعة وعدد المصابين بعد أن انحسر الانتشار في الصين، منشأ الفايروس، بشكل ملحوظ.

وإذا كانت حركة التنقّل البشرية قد أصيبت بالشلل الجزئي بين القارات، وهي ليست أفضل حالا على مستوى البلد الواحد وبين الأحياء والشوارع في بعض المدن الأكثر تضرّرا وصل إلى منع التجوّل الإلزامي فيها درءا لخطر انتشار كورونا، فإن الحركة العولمية الأكبر الآن تجري عبر وسائل التواصل الاجتماعي حيث أدّى العزل الاختياري أو الإجباري للناس للجوئهم إلى المنازل تجنّبا للاختلاط واحتمال العدوى، وأصبح التخاطب عبر الإنترنت هو الوسيلة الأكثر أمنا للتواصل والعمل عن بعد دون الاتصال المباشر بالأشخاص.

لقد كان الغياب الافتراضي للحدود نتيجة حتمية لنظام جديد معولم واكب ظهور الإنترنت منذ بداية اكتشافه حين كان حكرا على القلة القليلة من المؤسسات والمراكز الحكومية والرسمية، إلى أن أصبح اليوم مادة يومية متاحة كالماء والهواء، وحاجة خدمية مثل الحاجة للكهرباء والدواء، وغدا في متناول البشرية في أصقاع الأرض، وبأسعار يكاد كل فرد في العالم قادرا على تسديد فواتيرها.

حملت العولمة أدواتها معها حين أحلّت نظام القرية العالمية الواحدة الذي يلغي الحدود المعرفية بين أهل الأرض كافة، ويشجع الأفراد على عبور الحدود الجغرافية للتعرّف وجها لوجه إلى الثقافات التي اجتازت الحدود الافتراضية إليهم بداية.

في مقدمة أدوات العولمة ومن أهمها كانت تقنية الإنترنت وما ولّدت من أفكار خلّاقة تحولت بسرعة قياسية إلى مؤسسات عملاقة لخدمة البشرية كمحرّك البحث غوغل، ومواقع التواصل الاجتماعي مثل فيسبوك وتويتر وإنستغرام وغيرها.. أما التسوّق العولمي فحدّث ولا حرج، وقد اتضحت قيمته خاصة في هذه الأيام من حال "الاحتباس المنزلي" الذي نعيشه خلال زمن جائحة كورونا. فالتسوق عبر الإنترنت من الأسواق الرقمية العالمية الضخمة مثل أمازون وإيبيه وولمارت ارتفع إلى أقصى طاقته كما تشير أسهم هذه الشركات العابرة للحدود ضمن حركة أسواق المال، مقابل هبوط هائل في شركات أخرى كالطيران المدني نتيجة حظر السفر الذي أعلنه العشرات من الدول والتي أغلقت مطاراتها لمدة 15 يوما على الأقل.

وإذا كانت العولمة في بعدها الاقتصادي – من منظور أصحاب فكر الانغلاق والتقوقع على الذات – ليست سوى أداة في يد الدول القوية والمهيمنة بهدف السيطرة على الدول ذات القدرة الاقتصادية الضعيفة أو النامية لإخضاعها للسوق العالمية واحتكار مقدّراتها من خلال الشركات الكبرى العابرة للحدود، فإنها وفي شقها التجاري والخدماتي تعني أيضا تبادل وانتقال الخدمات والمنتجات والسلع للمستهلك العولمي بيسر وأسعار تنافسية يفرضها السباق المتواصل بين المنتجين على كسب الزبائن من خلال خفض الأسعار.

> **الغياب الافتراضي للحدود كان نتيجة حتمية لنظام جديد معولم واكب ظهور الإنترنت منذ بداية اكتشافه حين كان حكرا على القلة القليلة من المؤسسات والمراكز الحكومية والرسمية، إلى أن أصبح اليوم مادة يومية متاحة كالماء والهواء**

كما أنها في شقها المؤسساتي والمالي تساعد على انتقال رؤوس الأموال بشكل مقونن، وضمن اتفاقات مرعية، ودون حواجز أو عوائق، ما ساهم في تأسيس تجارة دوليّة حرّة لعبت دورا بارزا في رفع المستوى المعيشي للأفراد، وفي توظيف الموارد الاقتصادية العالمية بأقصى طاقتها، ناهيك عن انتقال الخبراء والمختصّين بيسر بين المؤسسات المعولَمة من أجل رفع سويّة الخدمات وتبادل الأخصائيين وتحفيز الانتاج العالمي. ولولا هذا الاقتصاد المعولم لما كان بالإمكان في ظروف كورونا والعزلة المنزلية المفروضة على المليارين من مواطني الدول الأكثر تضررا بالجائحة، مثل إيطاليا واسبانيا وألمانيا والولايات المتحدة وكندا، من شراء حاجاتهم اليومية عبر الإنترنت دون مغادرة المنزل، وهذا ما نصحت به التعليمات الرسمية لمنظمات ومعاهد الصحة المحلية والعالمية بالاعتماد على التسوّق عن بعد تلافيا للتماس المباشر بين الأفراد في مراكز التسوّق، ما بإمكانه أن يساعد في الحدّ من انتشار عدوى كورونا.

أما العولمة السياسية، فهي من خلال إيجابياتها قد ساهمت في نشر الحريات المدنية على اختلاف مظاهرها كحريّة الفكر والتعبير والاختيار والعقيدة، وكذا حق تشكيل الأحزاب والمشاركة السياسية في الحكم؛ ووصلت منافع العولمة السياسية إلى نشر مبادئ وأصول الحياة الديمقراطية في الدول الأكثر تعصبا وانغلاقا ودكتاتورية، وزعزعت المستبدين في معاقلهم، وساهمت في سقوط الأنظمة الظلامية والتوتاليتارية مبشّرة بولادة مجتمعات ديمقراطية حداثية بمعاييرها العولمية، ولو كانت الولادة متعسّرة في بعض الحالات كما حدث ويحدث في معظم دول "الربيع العربي" في الشرق الأوسط ولاسيما في سوريا وليبيا واليمن.

ومن نافلة القول إن العولمة السياسية قد دفعت إلى قمة الاهتمامات الدولية، رسميا وشعبيا، الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي اعتُمد في العام 1948 وتمّت ترجمته إلى 501 لغة من لغات العالم كما تشير وثائق الأمم المتحدة، حيث أصبحت دساتير الدول الخارجة من نير الاستبداد والقمع والتغييب السياسي تُدرج مبادئه في دساتيرها الجديدة العصرية، بهدف إشاعة السلم والسلام العالميين من خلال تحقيق العدالة الإنسانية.

فصل المقال يكمن في إعلان الرئيس الأميركي أن شركة غوغل تقوم بسرعة قياسية على تطوير موقع على شبكة الإنترنت يعمل عليه 1700 خبير ومهندس من فريق الشركة العملاقة بهدف تسهيل إجراءات اختبار الإصابة بفايروس كورونا للأميركيين، مستخدمة أحدث تقنيّاتها الرقمية، ريثما يتوصل العلماء إلى إيجاد لقاح فاعل للفايروس، وقد تمّت فعلاً أول تجربة بشرية للنسخة الأولى من لقاح كورونا في مخابر مدينة سياتل من ولاية واشنطن على أشخاص متبرّعين. كما قامت غوغل بالشراكة مع "منظمة الصحة العالمية" التابعة للأمم المتحدة ومركز "إعلام الخدمة العامة" في الولايات المتحدة بإعداد حملة على الإنترنت للتوعية وإصدار الإرشادات والإجابة على أسئلة الأفراد حول كل ما يتعلّق بالوقاية من الإصابة بالفايروس والخطوات التي يجب اتخاذها لمن يشتبه بإصابتهم، وذلك في سابقة بأميركا يتشارك فيها القطاع الخاص مع القطاع العام بهدف حماية الإنسانية من شر كورونا، ذاك العدو المجهول الذي نحاربه اليوم كما حارب في الأمس القصيّ الفارس المغوار دونكيشوت طواحين الهواء!

وقائع حرب النفط الجديدة وأبعادها الجيوسياسية

د. خطار أبودياب
أستاذ العلوم السياسية، المركز الدولي للجيوبوليتيك - باريس

ارتفعت أسعار النفط الخام، في 20 مارس، لليوم الثاني على التوالي، بعد تراجع حاد هذا الأسبوع. وجرى تداول مزيج "برنت" عند مستوى 30.12 دولار للبرميل. وحسب الخبراء، يعتبر هذا الارتفاع نوعا من التصحيح للأسعار خاصة بعد إعلان الرئيس الأميركي دونالد ترامب أنه سيلعب في الوقت دور الوسيط في "الصراع بين روسيا والسعودية" في السوق النفطية، ورد الكرملين السلبي على الاقتراح الأميركي مع نفيه وجود حرب أسعار مع الرياض!

بيد أن عدم التوافق على حصص الإنتاج وانعكاسات أزمة كورونا على مجمل الاقتصاد العالمي لا تسمح بإزالة المخاوف من انهيار في السوق النفطية لأن الأسعار لم تشهد هذا التراجع منذ حرب الخليج الأولى، ولأنه من الصعب كبح زيادة الإنتاج قبل اجتماعات "أوبك بلس" في يونيو القادم.

وحرب الأسعار وحصص النفط الدائرة حاليا ليست الأولى من نوعها منذ سبعينات القرن الماضي، لكن تفاقمها يرتبط باندلاعها على خلفية أزمة كورونا والتنافس الحاد بين الولايات المتحدة وروسيا الاتحادية والمملكة العربية السعودية على صدارة الإنتاج وتسيير دفة العرض والطلب. ومما لا شك فيه أن مكاسب هذه الحرب وخسائرها سيكون لها أبعادها الجيوسياسية وأثرها على توازنات إعادة تشكيل النظام الدولي.

تسبّبت جائحة "كوفيد19–" في تباطؤ الاقتصاد الصيني في بدايات هذا العام، لكن منذ أوائل مارس تأثر كل الاقتصاد العالمي إلى حد الخشية من كساد يشبه ما حصل في العام 2009. وهكذا في العام 2020 لا بد من تذكر نبوءة نابليون بونابرت "عندما تستيقظ الصين سيهتز العالم" ولو أنها تحققت على طريقة "عندما تهتز الصين يرتعد العالم".

وهذا يطال السوق النفطية لأن هذا البلد هو "مصنع العالم" ويستهلك لوحده 14 مليون برميل من النفط الخام يوميا وتشير الإحصاءات إلى استيعابها 13 في المئة من إنتاج النفط العالمي. وهكذا سرعت أزمة كورونا من معركة النفط الجديدة التي كانت مؤجلة بين عمالقة الإنتاج للحفاظ على حصصهم السوقية ودورهم الريادي.

بدأت الإرهاصات خلال اجتماعات أوبك وأوبك بلس في ديسمبر الماضي في فيينا، وحينها تمكنت بعض الدول بقيادة روسيا من انتزاع قرار بالاستمرار في تخفيض الإنتاج وفقا لاتفاق 2016 لمدة ثلاثة أشهر فقط، وبما أن الاجتماعات الدورية لا تعقد إلا كل ستة أشهر، فرض هذا الوضع المؤقت عقد اجتماع استثنائي في مارس 2020. ومن المفارقات والمتغيرات، أنه بينما كان ينتظر الجانب السعودي هذا الاجتماع لتقييم وضع السوق واتخاذ القرارات الضامنة للسعر المناسب زيادة أو تخفيضا في الإنتاج، قلب دخول فايروس كورونا على الخط وتداعياته الاقتصادية الأمور رأسا على عقب.

لذا خرجت اللجنة الفنّية المشتركة التابعة لأوبك بلس بتوصيتين: الأولى تمديد اتّفاق ديسمبر 2019 إلى نهاية 2020، والثانية خفض الإنتاج إلى يونيو بمقدار 600 ألف برميل يوميا. وتأتي التوصيات متطابقة مع الوقائع إذ تقدر وكالة الطاقة الدولية أن الطلب العالمي في الربع الأول من عام 2020 يمكن أن ينخفض بمقدار 2.5 مليون برميل يوميا، ولأن ثمة تقرير مشترك لهذه الوكالة ومنظمة أوبك يشير إلى أن انخفاض سعر البرميل تحت سقف 30 دولارا لعدة أشهر سيؤدي إلى خسارة الدول النامية المنتجة للنفط بين 55 في المئة و80 في المئة من عائداتها من النفط والغاز هذا العام.

مع كل العواقب الاقتصادية والاجتماعية التي ستتبع ذلك ومخاطر زعزعة استقرار عشرات البلدان، لكن كل هذه التقديرات لم يأخذها بالحسبان الجانب الروسي الذي رفض أي خطط جديدة لخفض الإنتاج خاصة ما تقرر في اجتماع 5 مارس حول القيام بتخفيض جديد قدره مليون ونصف مليون برميل يوميا حتى نهاية يونيو، منها مليون برميل يوميا من أوبك، ونصف مليون برميل يوميا من دول خارج أوبك. وجرى استدعاء وزير الطاقة الروسي ألكسندر نوفاك إلى الكرملين على عجل.

> **العالم التعددي المرتسم أمامنا وحاجات الأسواق العالمية هي التي ستحدد بوصلة الاتجاهات في السوق النفطية**

ومن الواضح أن لوبي الصناعات النفطية الروسية بقيادة روسنفت عطل الاتفاق، ولأن الرئيس الروسي فلاديمير بوتين وجدها فرصة سانحة لتنفيذ وعيده بالانتقام من العقوبات الأميركية ضد خط "السيل الشمالي" الذي ينقل الغاز الروسي نحو أوروبا، وذلك باستهداف صناعة النفط الصخري الأميركي وزيادة المتاعب بين واشنطن والرياض، بالرغم من تحذير الأمير عبدالعزيز بن سلمان، وزير الطاقة السعودي، من "اختراق البيت المشترك" بسبب عدم التوازن بين العرض والطلب في مرحلة التأزم الاقتصادي والتدهور المستمر في الطلب على النفط. من جهته، برر الجانب الروسي موقفه في الفارق بين نهج الوزير السعودي الحالي وسلفه عبدالعزيز الفالح الذي أبرم اتفاق 2016 مع موسكو.

لكن "التعنت الروسي" في عدم احترام الحصص السوقية حسب أكثر من خبير سببه أن روسيا تعتمد كثيرا على مداخيل النفط والغاز في اقتصادها ولأنها تعول على موقعها العالمي ولأن تزايد الإنتاج من خارج أوبك إلى أكثر من أربعين في المئة أفقد الكارتل الأساسي للمصدرين بقيادة الرياض دوره الريادي التاريخي، خاصة مع تطور صناعة النفط الصخري الأميركي منذ العام 2010.

لقد فشلت المفاوضات بالرغم من أن كل الدول الأخرى في أوبك بلس كانت تدعم تخفيضا إضافيا، بينما روسيا لا تريد ذلك. والغريب أنها تمسكت بتمديد الاتفاق من ديسمبر إلى يونيو. ولم تترك الباب مفتوحا للمزيد من المفاوضات، وإعلان نوفاك أن الشركات الروسية ستنتج دون أي قيود ابتداء من أول أبريل، مما شكل أوّل شرارة رسمية لاندلاع حرب الأسعار. إزاء "التصعيد الروسي" أتى الرد السعودي حازما بعد حوالي 15 ساعة: تخفيض الأسعار الرسمية بين 4 و10 دولارات، وزيادة الإنتاج اعتبارا من أبريل إلى 12.8 مليون برميل يوميا.

بالطبع أدى ذلك إلى هزات شبيهة بما حصل خلال الصدمات السابقة وسرعان ما خسرت أسعار النفط حوالي ثلث قيمتها، رافقها انخفاض كبير في أسهم شركات النفط، وخسرت بعض شركات النفط الصخري حوالي 50 في المئة من قيمتها في يوم واحد.

وهذا التحول في الإستراتيجية النفطية السعودية من الصمت والرسائل الدبلوماسية إلى الفعل المعاكس يلبي حسابات المصلحة الوطنية أولا نظرا للتنافس الحاد مع موسكو وواشنطن وتهديد موقع الرياض في أمان سوق الطاقة والحصة السوقية للموطن الأصلي للنفط في الخليج. إذ حاولت واشنطن منذ عهد إدارة باراك أوباما الاعتماد على النفط الصخري للاستغناء عن النفط السعودي وتحجيم دور الرياض، أما عين موسكو، حسب مصادر مستقلة، فكانت منصبة على غزو الأسواق الآسيوية من خلال زيادة إنتاجها وتحطيم الصادرات السعودية إلى الصين والهند وغيرها. لذا أتى رد الفعل السعودي ليذكّر العالم بإمكانات المملكة النفطية، ودورها التاريخي في إمداد العالم بالنفط عندما عجز عن ذلك الآخرون، ومنع أسعار النفط من الارتفاع إلى مستويات عالية تؤثّر سلبا في نموّ اقتصادات الدول المستهلكة، ووقف تدهور أسعار النفط بشكل يضرّ بمنتجيه.

ويذكّر هذا الفعل الدول المستهلكة بأن قيام السعودية وحلفائها بتخفيض الإنتاج ورفع أسعار النفط كان إيجابيا إذ ساعد الدول المستهلكة في وقف هدر المنتجات النفطية الناتج عن الأسعار المنخفضة، وأرشد استخدام الطاقة، وخفف من الآثار البيئية.

لكن الرسالة السعودية الأهم موجهة لبقية المنتجين بأنه لو أصبحت الولايات المتحدة أول منتج للنفط عالميا تليها روسيا، تبرز السعودية ورقة قوتها الحقيقية مع قدراتها الإنتاجية الفائضة وكلفة الاستخراج الرخيصة. ومن هنا، لأن تكلفة النفط الخليجي هي الأقلّ في العالم، وأنه في حالة انهيار كامل للأسعار، فإن خبيرا بارزا في نيويورك يقول "دول الخليج هي الوحيدة التي تستطيع تحمّل هذه الأسعار، وأنه في حالة هبوط كبير في الطلب على النفط، فإن دول الخليج هي الوحيدة التي ستبقى في السوق، وأنه في حالة نضوب النفط حول العالم، فإن النفط الخليجي سيكون آخرها نضوبا".

من خلال الوضع الجديد، تهدف السعودية إلى إجبار روسيا وكل الدول الأخرى على تخفيض الإنتاج بالشكل المطلوب لتحقيق التوازن في الأسواق. لهذا من الواضح أن الهدف ليس العودة إلى طاولة المفاوضات حالا، وحسب مصدر في لندن تستهدف السعودية حاليا أسواق روسيا النفطية أينما كانت، خاصة سوقها الرئيسية في أوروبا.

ومن المقرر أن تذهب أكثر الشحنات السعودية الإضافية إلى أوروبا أيضا بالرغم من أن التسويق الإعلامي يوحي بتنسيق سعودي – أميركي حول تخفيض الأسعار، لكن الضجة والغضب في قطاع النفط الصخري في تكساس يؤشران على العكس. أما الرئيس دونالد ترامب الذي يرتاح لخفض سعر البنزين وأثره الإيجابي على حملته الانتخابية، لا يود استعداء لوبي النفط الداخلي ويحاول بناء موقف متوازن يسمح له بالاستفادة من خفض الأسعار لملء الاحتياطي الفدرالي من النفط بسعر منخفض واستمرار اختبار القوة الأساسي مع موسكو.

كما الحال منذ عهد الملك فيصل بن عبدالعزيز والحقبة الذهبية لمنظمة أوبك، تستمر المملكة العربية السعودية بقيادة الملك سلمان وولي عهده الأمير محمد بن سلمان في السعي للخروج من حرب النفط الجديدة بأقل الخسائر الممكنة على المدى القصير، مع الرهان على مكاسب الحفاظ على الموقع والدور في سباق تنافسي أراده البعض من دون قواعد.

بالرغم من الضغوط الروسية وسعي البعض في الكونغرس لمعاقبة السعودية، تبدو الرياض مطمئنة لخياراتها في هذه المرحلة الدقيقة مما يضمن حقوقها وحقوق حلفائها، مع توجيه رسائل للرئيس دونالد ترامب وللحزب الديمقراطي الأميركي ولكل من يراهن على ابتزازها أو ضرب مصالحها، أن العالم التعددي المرتسم أمامنا وحاجات الأسواق العالمية هي التي ستحدد بوصلة الاتجاهات في السوق النفطية.

تغيير طبيعة لبنان

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

ما يحصل حاليا في لبنان أمر في غاية الخطورة. هناك سعي إلى تغيير طبيعة البلد تتويجا لسلسلة من الانقلابات بدأت في العام 2005 لدى اغتيال رفيق الحريري ورفاقه في ظلّ الاندفاعة الجديدة للمشروع التوسّعي الإيراني.

هذه اندفاعة ما كانت لتحصل لولا الاحتلال الأميركي للعراق في مثل هذه الأيّام من العام 2003. نجم عن هذا الاحتلال، الذي جرت تغطيته بشعارات كبيرة من نوع إيجاد نموذج ديمقراطي جديد مختلف لدول المنطقة كلّها، تغيير لطبيعة العراق. تحوّل العراق إلى بلد في بحث مستمرّ عن هويّة له، علما أنّه من الدول المؤسسة لجامعة الدول العربية في 1945.

في القريب العاجل سيتبيّن هل تمتلك حكومة حسّان دياب حدّا أدنى من الوطنية لتفادي انهيار لبنان.. أم أن لديها مهمّة محدّدة تريد تنفيذها تحت عنوان عريض اسمه تغيير طبيعة لبنان

يبدو أن تغيير طبيعة لبنان هو الهدف من وجود "حكومة حزب الله" برئاسة حسّان دياب في "عهد حزب الله" الذي بدأ في الواحد والثلاثين من تشرين الأوّل – أكتوبر 2016، لدى انتخاب ميشال عون رئيسا للجمهورية. هناك اكتمال لسلسلة الحلقات التي توّجت بانتخاب ميشال عون رئيسا للجمهورية ثم بقيام حكومة حسّان دياب في مطلع السنة 2020.

تشعر هذه الحكومة أنّه بات في إمكانها العمل على تغيير طبيعة لبنان مستفيدة من أي ضجة تحدث، بما في ذلك ضجّة انتشار وباء كورونا أو تخلية سبيل لبناني يحمل الجنسية الأميركية يدعى عامر فاخوري دين في قضية تعذيب وقتل في أثناء الاحتلال الإسرائيلي لجنوب لبنان. أطلق على فاخوري لقب "جزار الخيام"، وهو سجن كبير أقامه الإسرائيليون في بلدة جنوبية لبنانية خلال فترة الاحتلال التي انتهت في أيّار – مايو من السنة 2000.

قامت الدنيا ولم تقعد بعد تخلية فاخوري نتيجة جهود وضغوط أميركية. كشفت الإدارة الأميركية كم الوضع اللبناني هشّ وكم أنّ "استدعاء" وزير الخارجية اللبنانية ناصيف حتّي للسفيرة الأميركية دوروثي شايا للاستفسار عن خروج فاخوري من لبنان أمر يثير الشفقة على لبنان، حتى لا نقول السخرية.

عندما تتحدث هذه الحكومة عن تغيير النظام المصرفي اللبناني بحجة أنّ حجمه لا يتناسب مع الاقتصاد اللبناني، فإنّ ذلك لا ينمّ عن جهل بمقدار ما ينمّ عن نيّة الذهاب بعيدا في التخلّص من لبنان الذي عرفناه وما صنع ازدهاره ابتداء من خمسينات القرن الماضي.

أكثر من ذلك، عندما تمسّ حكومة لبنانية بأموال المودعين في المصارف، أكانوا مواطنين أو عربا أو أجانب، فإنّها تمس بلبنان في الصميم. لبنان المسيحي- المسلم، لبنان بنظامه الليبرالي الذي جعله ملجأ لكلّ مضطهد في المنطقة العربية. لبنان الذي حمى كل من يضع أمواله في مصارفه. بكلمة واحدة وحيدة، المطلوب حاليا القضاء على الثقة بلبنان. ويبدو أن هذه مهمّة منوطة بحكومة حسّان دياب في ظلّ "العهد القوي".

من الواضح أن وزير المال غازي وزني يحاول إنقاذ ما يمكن إنقاذه. ظهر ذلك واضحا من حديثه إلى صحيفة "فايننشال تايمز" والذي تطرّق فيه إلى أهمّية إنقاذ المصارف بدءا بالاستعانة بنسبة محدّدة من أموال المودعين الذين لديهم مبالغ كبيرة. ولكن هل سيسمح لوزني باستكمال خطته الإنقاذية التي لم تتبلور بعد كلّيا في بلد معروف تماما أن الانتقام من المصارف مطلوب اليوم أكثر من أيّ وقت، كون المطلوب فعلا هو الانتقام من لبنان؟

من المفيد لبنانيا، أكثر من أيّ وقت، التفكير بطريقة مختلفة، بعيدا عن البطولات الوهمية من نوع شعار الانتصار على إسرائيل في حرب صيف العام 2006. إذا كان من خدمة أدتها تلك الحرب للبنان، فإن هذه الخدمة هي القرار 1701 الصادر عن مجلس الأمن الذي أعاد الجيش اللبناني إلى جنوب لبنان للمرّة الأولى منذ العام 1978. كان مطلوبا بقاء الجيش اللبناني خارج الجنوب. هذا ما كان يريده السوري والإيراني. كان مطلوبا بقاء الجنوب "ساحة" لتبادل الرسائل مع إسرائيل على حساب لبنان واللبنانيين وجنوبهم.

تبدو خطوة رضوخ لبنان للضغوط الأميركية وتخليته سبيل عامر فاخوري فرصة كي يحصل هناك تحديد للأولويات والتصالح مع الواقع، بدل الصراخ وإطلاق التهديدات الجوفاء.

في نهاية المطاف، رفعت الإدارة الأميركية سيف العقوبات في وجه عناصر من "التيّار الوطني الحر" مثل جبران باسيل وسليم جريصاتي وما شابه ذلك، فكانت تخلية فاخوري و"شكر" وجهه الرئيس دونالد ترامب إلى الحكومة اللبنانية.

يبدو واضحا أن "حزب الله"، بغض النظر عن كلام أمينه العام حسن نصرالله، ما يزال في حاجة إلى غطاء مسيحي يؤمّنه له "التيّار الوطني الحر". هذا كلّ ما في الأمر. لو لم يكن هذا الكلام صحيحا، لترك عامر فاخوري، الذي يعاني من السرطان، يموت في السجن...

لا مجال للهرب من تحديد الأولويات. حتّى تحرير القدس الذي يتحدّث عنه حسن نصرالله، فيما شباب لبناني يموت في إدلب وضواحي دمشق وحلب ودرعا في إطار الحرب على الشعب السوري، يمكن أن ينتظر.

ما لا يمكن أن ينتظر هو إنقاذ النظام المصرفي اللبناني عبر تحديد ما يمكن عمله وما لا يمكن عمله. إن عملية إنقاذ من هذا النوع لا يمكن أن تحصل من دون التواضع والتسلح بالعلم والمعرفة وأصحاب الخبرة بدل الكلام السطحي عن الاستعانة بإيران أو بالصين أو بأسواق العراق. ليس لدى إيران ما تصدّره إلى لبنان سوى البؤس والسلاح.. وكورونا. أمّا الصين، فلديها مصالحها التي لا علاقة لها بلبنان في الوقت الحاضر، فيما السوق العراقية مغلقة، إلى إشعار آخر، في وجه أي منتجات من لبنان.

رفع دونالد ترامب سلاح العقوبات، فكان له ما أراد من لبنان خدمة لمصالح قد تكون آنية ومرتبطة بالانتخابات الرئاسية. أظهر الرئيس الأميركي أنّ كلّ مواطن يهمّه وأنّه لا يقبل باحتجاز رهائن أميركيين في أيّ مكان في العالم. في المقابل، اكتشف لبنان أن عليه التفكير في نفسه أوّلا وفي كيفية حماية نظامه المصرفي في حال كان يريد فعلا البقاء.

لا مجال لإضاعة المزيد من الوقت. سيتبيّن في القريب العاجل هل تمتلك حكومة حسّان دياب حدّا أدنى من الوطنية لتفادي انهيار لبنان.. أم أن لديها مهمّة محدّدة تريد تنفيذها تحت عنوان عريض اسمه تغيير طبيعة لبنان؟ بكلام أوضح، لا مستقبل من أي نوع للبنان من دون استعادة الثقة بالمصارف. آلاف اللبنانيين من كلّ الطوائف سيسعون إلى الهجرة. الأكيد أن هجرة المسيحيين ستكون أسهل نظرا إلى أنّ دولا عدة في الغرب مستعدة لاستقبالهم. سيزيد ذلك من الخلل الديموغرافي القائم والذي حاول اتفاق الطائف معالجته عن طريق المناصفة. من دون مسلمين ومسيحيين يعيشون معا وترتبط بينهم مصالح مشتركة، ماذا يبقى من لبنان؟

مهمة إنقاذ عاجلة

معضلة التنظيمات الجهادية في إدلب

رانيا مصطفى

اصطدم تنفيذ بنود اتفاق "موسكو" في 5 مارس الحالي، بمعضلة إبعاد الفصائل المتشددة عن المنطقة الآمنة بعرض 12 كيلومترا، بين بلدتي ترنبة غرب سراقب وحتى تل حور بريف جسر الشغور، يتوسطها الطريق الدولي أم4 بين اللاذقية وحلب.

أن يتم تسيير دوريات من الطرف التركي فقط، رغم تعرضها لاستهداف قتل جنديين منها وجرح الثالث، له مدلولاته؛ وهي تأمين هذه المنطقة، بما في ذلك إبعاد المحتجّين عن الطريق، وإبعاد التنظيمات المتشددة المتواجدة هناك، وهي بشكل رئيسي تنظيم حراس الدين وهيئة تحرير الشام، كل ذلك هو مهمة تركيا وحدها.

فشل الطرفان، التركي والروسي، من قبل في تطبيق اتفاق سوتشي في سبتمبر 2018، بخصوص المنطقة العازلة في إدلب بعرض 15 إلى 25 كيلومترا، والذي كانت مهمة تركيا فيه أيضا إبعاد التنظيمات الجهادية ونزع السلاح، وتطويع الفصائل المعتدلة تحت إمرتها.

حينها لم يحترم النظام السوري وقف إطلاق النار، ما أعطى أنقرة حجة لعدم المضي في مهمة حل معضلة الجهاديين؛ بل سمحت حينها بحصول العكس، حيث هاجمت هيئة تحرير الشام الفصائل المتواجدة في إدلب وريف حلب، وسيطرت على 80 في المئة من مناطق المعارضة.

رغم أن تركيا تصنّف "جبهة النصرة"، الفصيل المسيطر على تنظيم هيئة تحرير الشام، على أنها تنظيم إرهابي، إلا أنها لم تقم بمواجهة عسكرية معها، على غرار موقفها من تنظيم داعش أو حزب العمال الكردستاني. فضلت الحلول السلمية، حيث قامت بتشكيل الجيش الوطني الذي يضم المعتدلين من الفصائل، من أجل جذب العناصر غير المتشددة في الهيئة، وحصول انشقاقات فيها.

فيما فشلت محاولات "الجبهة الوطنية للتحرير"، التي انضمت مؤخرا إلى الجيش الوطني، وتضم 11 فصيلا معتدلا عاملا في إدلب، فشلت في ضم هيئة تحرير الشام مؤخرا، بعد رفضها شروط الهيئة حول أن تكون القيادة للأخيرة.

تبدو هيئة تحرير الشام أكثر قوة مما هي عليه، والحقيقة أنها في تراجع؛ فسياسة أبومحمد الجولاني، زعيم الهيئة، التي تراوحت بين التشدد ومحاولة الظهور بمظهر الاعتدال، أضعفت التنظيم عقائديا، وتسببت بالكثير من الانشقاقات؛ فإعلان فك ارتباطه بتنظيم القاعدة في يوليو 2016، ثم التحالف مع عدد من الفصائل، في يناير 2017، تسبب بانشقاقات كبيرة من الأطراف المتشددة ضمن الهيئة.

وعسكريا، هي لم تشارك بقوة في المعارك الأخيرة، رغم امتلاكها الأسلحة والذخائر التي صادرتها من الفصائل الأخرى خلال سنوات سيطرتها على المنطقة، ومن غير المؤكد أنها تمتلك بالفعل قوة عسكرية ذات قيمة، رغم كثرة تعداد عناصرها، وقدرتها على الاستقطاب المحلي.

أما عقائديا، فتراجع الهيئة عن الانتماء لتنظيم القاعدة أفقدها العناصر الأكثر تشددا، فيما ظلّت تعتمد على العنصر المحلي، الذين يمكن وصف حالة التشدد لديه بالطارئة، نتيجة عجز الفصائل الأخرى على التوحد، ونتيجة الرواتب وجملة الميزات التي تقدمها الهيئة مقابل ما تفعله فصائل أخرى.

واقتصاديا، تعتمد الهيئة غالبا على مصادر محلية، عبر سيطرتها على الموارد المتاحة، خاصة الاتصالات وتجارة المحروقات والمعابر، وتعتمد على حكومة الإنقاذ، جناحها المدني، في تحصيل الضرائب والإتاوات، مع تراجع التمويل العالمي للجماعات المتشددة في سوريا.

واجتماعيا، الهيئة منبوذة، بسبب ممارسات التفقير، والتضييق الأمني عبر معتقلاتها، وملاحقة الناشطين، وقد قامت مظاهرات في إدلب لإسقاطها.

هيئة تحرير الشام تبدو أكثر قوة مما هي عليه، والحقيقة أنها في تراجع؛ فسياسة أبومحمد الجولاني، زعيم الهيئة، التي تراوحت بين التشدد ومحاولة الظهور بمظهر الاعتدال، أضعفت التنظيم عقائديا، وتسببت بالكثير من الانشقاقات

وسياسيا، رغم أنها لا تقطع علاقاتها مع الجانب التركي، إلا أنها لا تمتثل لإرادته، ورفضت مرارا الانضمام إلى فصائل تابعة لأنقرة، وبالتالي باتت عنصرا ضعيفا أمام تعداد الجيش الوطني، وأمام تواجد قوات تركية مباشرة في المنطقة، وبتسليح عال، ومن الممكن هزيمتها إذا ما قرر الروس إعطاء تركيا والفصائل المعارضة التابعة لها الفرصة الكافية لهزيمة تنظيم الهيئة، وهو ما يبدو أنه سيحدث في المرحلة القادمة.

أما بقية التنظيمات الأكثر تشددا، فوضعها مختلف، كونها تنظيمات منغلقة على ذاتها، والعنصر الأجنبي هو قوامها الأساسي، ولم تعد قادرة على جذب المتطرفين الجدد من دول العالم، بسبب تراجع سوريا كساحة ملائمة لعمل هذه التنظيمات، حيث تم دحر تنظيم داعش، وضاقت مساحات سيطرة المعارضة، إضافة إلى إغلاق الحدود التركية مع سوريا في وجه المتشددين، كما كانت تفعل من قبل.

فتنظيم حراس الدين من التنظيمات المتشددة المنشقّة عن جبهة النصرة، يضم قرابة 1500–1000 مقاتل، يسيطر عليه متطرفون من كل دول العالم، خاصة الأردن وتونس، ويتبع تنظيم القاعدة، وليس له قيادة هرمية، بل مجموعات تنفذ العمليات وفقا لما تراه مناسبا؛ تلقت ضربة قاسية بغارة أميركية منتصف العام الماضي، استهدفت اجتماعا لأعضائها. ومن الممكن تكرار القصة من قبل التحالف أو الروس أو الأتراك.

وبالمثل تنظيم الحزب الإسلامي التركستاني، المنعزل على نفسه، والذي أيضا ليس له حاضنة شعبية. فيما تراجع حجم أنصار التوحيد وأنصار الدين نتيجة مشاركتهما في المعارك الأخيرة، وقتل الكثير منهما.

بكل الأحوال، معظم التنظيمات المتشددة، عدا هيئة تحرير الشام، تدرك درجة ضعفها، فأغلبها خامل عسكريا، ولا يقوم بعمليات منفردة، وغالبا ما تتحالف مع فصائل أخرى لتنفيذ العمليات، كما تفعل حراس الدين في غرفة "وحرض المؤمنين". وما يحميها هي الجغرافيا الوعرة والمحدودة التي تتواجد فيها، وبالتالي من الممكن أن تفيد الضربات المركزة في إضعافها.

هيئة تحرير الشام هي المعضلة الأصعب التي ينبغي على تركيا تجاوزها، لضمان استمرار الاتفاق؛ وما زالت أنقرة تراهن على الضغوط السلمية والحشد العسكري لإخضاع الهيئة، وقبولها الانضمام إلى الجيش الحر تحت إمرتها، ما يعني تأجيلها الحل العسكري، خصوصا مع ارتفاع عدد الجنود الأتراك الذين قتلوا في المعارك الأخيرة إلى 60، وحذر حزب العدالة والتنمية من خوض معارك استنزاف جديدة؛ لكن أنقرة أيضاً ملزمة بالإسراع بحل الهيئة، تحت ضغط نفاد صبر الروس.

معضلة حل هيئة تحرير الشام تكمن في تنظيمه الهرمي، وارتهانه لفكر قائده أبومحمد الجولاني، الذي يجيد المراوغة والتحايل والتحالفات، وتغيير مظهر الهيئة، ومظهره الشخصي، لكن العقيدة الجهادية تبدو راسخة لديه، ولا قدرة له على التخلي عنها لصالح اندماج تنظيمه مع الفصائل الأخرى.

ما يعني أن تصفيته باتت شرطا، يستوي على مهل، لدى الأتراك والروس وربما الأميركان، لحل هيئة تحرير الشام.

مأزق تركيا الأبرز في سوريا

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
حذام خريف
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

العرب
الأحد 2020/03/22
السنة 42 العدد 11654

التهديدات المباشرة تحدد الرؤية العربية لدول الجوار

تركيز على إيران وتركيا وإغفال للخطر القادم من العمق الأفريقي

تغيرت في السنوات الأخيرة صورة خارطة التهديدات الإستراتيجية المحيطة بالدول العربية، ودخلت دول جديدة، أفريقية أساسا، ملعب التأثير في الأمن الإقليمي للدول العربية، سواء من حيث سياسات بعض هذه الدول، مثل إثيوبيا وقضية سد النهضة، أو من حيث دور بعضها على غرار الصومال وإريتريا وتشاد ومالي وجنوب السودان، كطرف ثالث في أجندات تركية وإيرانية توسعية على حساب أمن المنطقة.

محمد أبوالفضل
كاتب مصري

ألغام كثيرة على الجانب الآخر من الخارطة

القاهرة – أصبح تقسيم التهديدات الإقليمية إلى مباشرة وغير مباشرة عملية غير دقيقة، فالمحصلة النهائية تكاد تكون واحدة، لأن الأمن القومي العربي لا يحتمل رفاهية توزيع أدوار أو تقسيمات هيراركية، في ظل التحركات السريعة التي تقوم بها بعض دول الجوار الإقليمي، وحرصها على تكتيل الأوراق مع دول كبيرة وصغيرة، وقدرتها على استغلال مكونات داخلية في تغيير دفة بعض القضايا، وتبديل سلم الأولويات في ملفات مصيرية. ولم تعد فكرة الدولة ككيان واحد هي التي تلعب الدور الوازن فقط، فهناك حركات وجماعات وعناصر محلية لها امتدادات خارجية تمثل تهديدا حقيقيا على الأمن القومي العربي.

ينحصر الاهتمام السياسي بدول الجوار الإقليمي منذ فترة طويلة في إيران وتركيا وإسرائيل ومؤخرا اتجهت البوصلة نحو إثيوبيا، في المقابل، لم يسجّل اهتمام مماثل بدول تحتل مساحة جغرافية موازية وربما أكبر في منظومة الجوار العربي الممتدة، مثل جنوب السودان وإريتريا وتشاد والسنغال ومالي وجمهورية أفريقيا الوسطى وكينيا، وكلها تملك حدودا مع دول عربية وتتفاوت درجة تأثيراتها على محيطها العام، ويؤدي خروجها من الحسابات الراهنة إلى خلل تترتب عليه عواقب وخيمة.

حزام الخطر

انصبت الكثير من التقديرات على المخاطر التي تمثلها المجموعة الأولى ويمكن وصفها بالتقليدية من زاوية ترديدها في الأدبيات السياسية على الدوام، لأنها مرتبطة برغبة في الهيمنة على مقاليد القرار العربي والسيطرة على المقدرات والثروات من خلال التوسع عبر أدوات متباينة، زادت في الآونة الأخيرة مع ارتفاع طموحات وأطماع هذه المجموعة.

خرجت إثيوبيا لفترة منها، أو لم تكن محل اهتمام جدي، باستثناء ارتباطها بحديث متواتر تردد حول وجود علاقات قوية بينها وإسرائيل كرأس حربة للتغلغل في القارة الأفريقية. ومع سخونة الأزمة بين القاهرة وأديس أبابا حول سد النهضة بدأت الأخيرة تدخل حزام الخطر، ويصنف البعض تطلعات قيادتها السياسية على أنها تحمل تهديدات مبطنة لبعض الدول العربية مستقبلا.

لم تحتل دول الجوار الإقليمي في المجموعة الثانية الأهمية ذاتها، مع أن بعضها به غالبية مسلمة مثل مالي والسنغال، أو به نسبة تتحدث العربية بطلاقة مثل تشاد وإريتريا وجنوب السودان، ويظهر التركيز على أي منها عندما تقدم على خطوة سياسية أو أمنية مثيرة للدولة العربية المجاورة أو تدخل في نزاع معها، وفي هذه الحالة ينصب الاقتراب من هذه الدولة العربية أو تلك التي يقع عليها الضرر، أو تحدث لها أزمة من وراء الحدود المشتركة.

تحتل إيران وتركيا وإسرائيل حيزا متفاوتا في الأجندة العربية وفقا لما تمثله كل دولة من تأثير على الأمن القومي العربي الذي تراجعت الالتحامات العامة معه وسط انشغالات إقليمية عدة، ولم يعد يحتل أهمية كبيرة في طريقة التفكير الجماعي، مع ذلك لا تزال الكثير من الحسابات الإستراتيجية تدور في فلك التهديدات التي تحملها الدول الثلاث ذات الأوزان المترامية في مفهوم القوة الشاملة، ومرجح أن تلحق بها إثيوبيا عقب حملة دبلوماسية قامت بها القاهرة أخيرا حصلت فيها على دعم عربي معنوي لموقفها في أزمة سد النهضة.

يقلل نجاح الدول الأربع (إيران وتركيا وإسرائيل وإثيوبيا) في توطيد العلاقات مع بعض الدول العربية، من تشكيل موقف قوي ضد أي منها عند احتدام أزمة ما، فلكل دولة إقليمية قنوات وأذرع تخفف من حدة مواجهتها المحتملة عربيا، الأمر الذي مكّن طهران من تفويت فرص عديدة على تقليص نفوذها ووقف تدخلاتها السافرة، وساعد أنقرة على تخفيض سقف استهدافها، وأسهم في تغيير وضع تل أبيب من عدو فعلي إلى محتمل، وجعل أديس أبابا تقف صامدة في مواجهة التدابير السياسية التي تقوم بها مصر إقليميا ودوليا.

مصالح متداخلة

يظل الموقف العربي من الدول الأربع محكوما برؤى بعض القوى الدولية المؤثرة، والعلاقات المتشابكة مع الطرفين، العربي وجواره الإقليمي، ناهيك عن شبكة المصالح المتداخلة سرا وعلانية، ما يجعل من التفاعلات الإيجابية والسلبية غير بعيدة عن المعادلة المتعلقة بتوازنات تدخل في إطار المسموح والممنوع على الساحة الدولية، ضمن صيغة تشبه "الفيتو" أو الاعتراض عندما تتجاوز خطوات طرف ما حدا معينا حيال الآخر.

بدأت تطرأ على فكرة دول الجوار الإقليمي التقليدية تحولات مهمة في السنوات الأخيرة، حيث أدخلت إليها تدريجيا دول المجموعة الثانية بكل ما تنطوي عليه من إمكانيات ومحددات مؤثرة في صميم الجغرافيا السياسية للدول وما يرتبط بها من تداعيات عربية، فقد أضيفت إريتريا بعد استقلالها عن إثيوبيا كدولة جوار، ثم أضيفت دولة جنوب السودان.

انهكمت الدولتان الوليدتان في ترتيب أوضاعهما الداخلية لسنوات، ولا تزالان كذلك، رغم مضي نحو عقدين على استقلال الأولى، وعقد على انفصال الثانية. ومع أن حالة عدم الاستقرار التام لها انعكاسات على دول الجوار العربي، غير أن خطورتها تأتي مما يسبّبه الترهل السياسي والتدهور الأمني من تهيئة الأجواء لتدخلات تقوم بها دول إقليمية تسعى لتقويض الأمن القومي العربي من ناحية الأطراف، كما هو الحال مع الصومال وجوارها، وهي دولة عضو في جامعة الدول العربية، وتحوّلت إلى مطمع لكل من إيران وتركيا، وأخفقت كل المحاولات الرامية لتسوية أزمتها الداخلية، وتحوّلت إلى ساحة تستغلها دول الجوار الإقليمي لتصفية الحسابات، وتهديد الأمن العربي في البحر الأحمر والقرن الأفريقي.

دخلت بعض المستجدات التي زادت من أهمية الالتفات لدول مثل تشاد ومالي وجمهورية أفريقيا الوسطى والسنغال، فهذه الدول أصبحت فضاء لنمو التنظيمات المتشددة وبؤرة لجذب الإرهابيين من مشارب متعددة، بما يعد بمثابة خطر واضح على جوارها العربي، ليبيا والجزائر والسودان التي تعج بنشاط ملحوظ للمتطرفين، وتنتعش على أراضيها قوى إسلاموية منظمة وعابرة للحدود، تضع نصب أعينها دوما الاستحواذ على مفاصل القرار دون اعتبار للهوية العربية، وتبديلها بهوية فضفاضة تندرج تحتها عناوين دينية حمالة أوجه.

تسبب تلاحم بعض المقاربات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تقدمها إيران وتركيا مع هذه الدول في زيادة التأثيرات القاتمة على الأمن القومي العربي، وهو ما جعل هاتين الدولتين الأشد خطرا الآن، وفرض الانتباه للأهمية التي تمثلها دول جوار أخرى تبدو بعيدة، وعدم التفريط في إقامة علاقات وطيدة معها، لأن مواصلة إهمالها يحولها إلى لقمة سائغة في فم طهران وأنقرة، وبعض الأدوات العربية التي يتم تسخيرها لخدمة كل منهما، وربما قطر والتنظيمات الإسلاموية هما الذراع الأساسية التي يتم الاعتماد عليها حاليا.

تحتاج الدول العربية التي ترى في دول الجوار الإقليمي التقليدي تهديدا مباشرا إلى مد بصرها للدول الأخرى (الصغيرة) التي يمكن أن تتحول إلى صيغة قريبة من نظيرتها الكبيرة في حالة استمرار تجاهلها عربيا، فدول المجموعة الثانية في إطار تصنيفها كأقل خطورة لا تزال هناك فرصة لتعزيز العلاقات معها لقطع الطريق على استمرار توظيفها من قبل المجموعة الأولى أو بعض دولها، الأكثر خطورة.

يمكن تعميم فكرة السلام والتنمية التي تتبناها دولة الإمارات العربية المتحدة وحققت نجاحا في تسوية الأزمة بين إريتريا وإثيوبيا، في حالة جنوب السودان التي أرهقتها الحرب الأهلية، وتتطلع إلى تلقي مساعدات اقتصادية سخية تشجع على بناء مشروعات تنموية قبل أن تتجه أنظار تركيا وإيران إليها، لأنها واحدة من الدول المحورية في شرق ووسط أفريقيا ومنطقة حوض النيل، وأمنها يرتبط بالسودان ومصر، وتداعياتها السلبية والإيجابية عليهما ليست هينة.

كما أن الاقتراب من تشاد على القاعدة نفسها أمر ملح، لأن شمال هذه الدولة يلاصق جنوب ليبيا، وثمة عناصر متطرفة وجدت ملاذا في البقعة الحدودية المشتركة، وتجاهلها فترة طويلة سيحولها إلى منطقة جذب لتجميع القوى الإرهابية وتخريب كل محاولة تأمل في استعادة الأمن والاستقرار داخل ليبيا والدول العربية المجاورة لها. وتعاني الجزائر من نشاط القوى المتطرفة في مالي التي تحولت إلى بؤرة إقليمية لجماعات متشددة تهدد أمن دول المغرب العربي.

تتطلب هذه التغيرات نظرة واسعة تتخطى المفاهيم التقليدية لدول الجوار، لأن الاهتمام بها يوقف زحف التهديدات الحقيقية التي تمثلها دولتا إيران وتركيا، ويضمن علاقات طبيعية مع دول هناك جملة من القواسم المشتركة معها، وقد تكون إضافة أو عبئا حسب الطريقة العربية، الجماعية والثنائية، التي يتم التعامل بها معها.

سد الفراغ

لم تعد الأوضاع الإقليمية تحتمل تهاونا عربيا أكثر من ذلك، فقد سمح الفراغ العربي لدول الجوار بسد الفراغ بقدرات وإمكانيات متنوعة، تملكها أيضا بعض الدول العربية، غير أن الفرق في الرغبة والإرادة والتنفيذ، الأمر الذي جعل غيرهم يتسللون ويتوغلون إلى ساحات هي في عمق الأمن القومي العربي، من خلال وجود أهداف محددة عملوا على تنفيذها.

> الأمن القومي العربي لا يحتمل رفاهية توزيع أدوار أو تقسيمات هيراركية، في ظل التحركات السريعة التي تقوم بها بعض دول الجوار الإقليمي

تستطيع الدول العربية، مواجهة هذه الثغرة في الفترة المقبلة، مع اتساع نطاق الإنهاك الذي تعاني منه إيران وتركيا بسبب مغامرات كل منهما المتباينة في المنطقة التي تعتمد على أسس عقائدية ومذهبية، بينما الطبيعة العربية بعيدة عن هذه المعاني، وتنطلق من ثوابت تعلي من قيمة حق الجميع في السلام والتنمية.

من الممكن أن يجد هذا الاتجاه تجاوبا مع دول الجوار الإقليمي الساعية للتعاون على أسس المنافع المتبادلة وليس الاستحواذ والسيطرة، وهو أهم ما يميز التحركات العربية، فلا توجد دولة تقريبا تطمح للهيمنة في الوقت الراهن، وكل الدول العربية التي لديها تطلعات وأدوار إقليمية ترفع شعار التعاون والتنسيق وصد التوجهات الغريبة التي تريد إحداث تغييرات في معالم المنطقة العربية والمحيط الجغرافي القريب منها.

ثمة فرصة عربية لنسج شبكة جيدة من العلاقات مع دول المجموعة الثانية، في وقت يبدو فيه النظام الدولي بصدد إعادة تشكيل وتموضع القوى الرئيسية فيه، ولذلك يعد الميل ناحية هذه الدول المنسية إلى حد ما، من المداخل المهمة لتصويب الأخطاء التي ظهرت على جسم الأمن القومي العربي، أفضت إلى استباحته، ولعل استغلال هذه اللحظة بالشكل الإستراتيجي المناسب يغير الكثير من التوازنات التي أخلت به، وشجعت القوى الطامعة على التلاعب بأطرافه.

الجامعة العربية فقدت تأثيرها السياسي والأمل في الدور الاقتصادي

القاهرة – تستقبل جامعة الدول العربية اليوم (الـ22 من مارس) سنتها السابعة والخمسين بأسئلة حول مستقبل جامعة الدول العربية ودورها في بيئة إقليمية دولية مضطربة ومتغيرة.

ويشير الخبراء إلى أن من أبرز أسباب التعقيدات التي تواجهها الجامعة اليوم الاستقطاب الإقليمي في أعقاب الربيع العربي وما أفرزه من خلاف عميق بخصوص الإخوان الذين أدرجتهم السعودية ومصر ضمن قائمة الجماعات الإرهابية بينما تواصل قطر تقديم الدعم لهم. وما زالت عضوية سوريا من أكثر القضايا الخلافية بين الدول الأعضاء، التي انقسمت إلى العديد من الجبهات، فكل جبهة تساند طرفا من الأطراف المتعددة للصراع، ولم تفلح الجامعة في تحقيق أيّ تقدّم يذكر في هذا الملف، رغم تغير معطيات الحرب الدائرة فيها.

وأكد المحلل السياسي المصري عبدالمنعم سعيد، أن الجامعة العربية فقدت قدرتها على التأثير منذ أن خسر العرب الصراع مع إسرائيل، وتحولت إلى مجرد هيكل تنضوي تحته مجموعة من الدول، وتعكس أوضاعها الحالية مجمل التطورات على الساحة العربية التي يطغى عليها التفكك والتشرذم، وأن أحداث ما سُمّي بالربيع العربي أضرا بقدرتها على التأثير.

وأشار سعيد، في تصريح لـ"العرب"، إلى أن أيّا من الدول العربية أو من أمناء الجامعة لم تكن لديهم القدرة أو الرغبة في أحياء دورها، وكان من الممكن استغلال الثقافة كعامل مشترك بين الجميع لتكون نقطة انطلاق جديدة من دون التطرق إلى الأمور السياسية أو الأمنية أو التحالفات الدولية التي تتعارض فيها التوجهات العربية.

وشدد على أن التنظيمات الإقليمية بشكل عام لم تعد لها أدوار سياسية مؤثرة، والتوجه نحو حل المشكلات الاقتصادية أضحى بديلا مناسبا لحل الصراعات الإقليمية، لافتا إلى أن التحدي الأبرز أمام الجامعة يكمن في عدم التزام الدول بدفع أنصبتها المالية السنوية التي تشكل تفعيلا لعمل الأمانة العامة وتحدد مدى قدرتها على التحرك للتنسيق بين الدول، وأن الصراعات السياسية بينها جعلت الجامعة أسيرة الدول التي تغدق بالأموال عليها من دون أن تلبي مطالب جميع الأعضاء، وهو ما حاولت قطر استغلاله في سنوات ما بعد الربيع العربي.

لا تقطعوا رأس العالم لأنه مصاب بالصداع

انهيار الاقتصاد العالمي ستكون له تداعيات أخطر من الوباء

البحث عن عدوّ خفي

سلام سرحان

تكمن تداعيات أزمة فايروس كورونا، الأكثر خطورة في تزايد السكاكين التي تمزق الاقتصاد العالمي، والذي سوف يؤدي إلى عواقب وخيمة تفوق الضرر المباشر لتفشي الوباء، وقد تقتل تلك التداعيات الطويلة عددا أكبر من ضحايا الفايروس.

معالجة الأزمة دون قتل الاقتصاد العالمي ممكنة جدا، لكن الغريزة الأخلاقية تمنع اتخاذ القرارات الجريئة التي تقلل الخسائر.

العالم في هذه "المعركة الشاملة" بحاجة إلى قرارات حازمة لمنع انهيار الحياة على هذا الكوكب. فالحروب الكبرى لا مجال فيها للحلول المترددة وينبغي اتخاذ قرارات قد يجدها بعض الجنود قاسية.

هناك غريزة أخلاقية تمنع اتخاذ قرارات تتعارض مع منطق الجماعة الغريزي، لكن في الحرب التي تهدد الدول، ناهيك عن تهديد انحدار العالم كله في الفوضى الشاملة في هذه الأزمة، ينبغي اتخاذ قرارات خطيرة.

افتراضات خاطئة

علينا تثبيت بعض الحقائق، التي منها أن إحصاء حالات الإصابة يستحيل التحقق منه لا في الصين ولا إيطاليا ولا إيران ولا أيّ بلد في العالم، لأن عدد من حملوا الفايروس، دائما أكبر بكثير من الذين تم فحصهم بالفعل.

لذلك حين نقيس نسبة الوفيات إلى حالات الإصابة المسجلة ونقول إنها من 2 إلى 3.5 في المئة أو أكثر، فإنها في الواقع أقل بكثير من تلك النسب، لأننا لم نفحص جميع السكان.

أما حين نقول إن عدد الوفيات في إيطاليا مثلا بلغ 3500 مقابل تسجيل إصابات بنحو 42 ألفا، فإن النسبة تبدو مرعبة وتزيد على 8 في المئة، لكننا نغفل أن الفحوصات قليلة قياسا بعدد المصابين، الذين لم يظهر المرض عليهم.

ويؤكد ذلك العدد الضئيل للفحوصات حتى في الدول المتقدمة، ناهيك عن دول العالم الثالث. وحين تعلن دولة عن رصد مئة إصابة، فعلينا أن نتوقع وجود آلاف الإصابات.

ولو كانت الإصابات المسجلة دقيقة لأمكن احتواء الوباء بسهولة من خلال حجرهم.

إيقاف حالة الهلع

ينبغي أن نقول للجميع: إذا كنت تعتقد أنك من نسبة 2 في المئة أو حتى العشرة في المئة، الأضعف صحيا من سكان العالم، فينبغي عليك عدم الاختلاط بأحد حرصا على حياتك.

أما إذا لم تكن من تلك النسبة فينبغي أن تمارس حياتك بشكل طبيعي مع الحرص فقط على عدم الاقتراب من أيّ شخص ضعيف صحيا، وبذلك نقلل مخاطر انتشار الفايروس دون الحاجة إلى تدمير الاقتصاد وحياة جميع سكان العالم.

حالة الهلع والحجر لن تمنع الاختلاط

هناك حقيقة أخرى، هي أن جميع ضحايا فايروس كورونا المستجد في كل بلدان العالم، كانوا حتى الآن من الضعفاء جدا صحيا، والذين كانت حياتهم مهددة أصلا بأيّ عارض صحي أو أنفلونزا عادية.

تعطيل الحياة مثلما حدث في الصين وشمال إيطاليا والآن في فرنسا وعشرات الدول والمدن، لن يقدم حلاً. بل العكس، لأن شلل الحياة سوف يدمر حياة عدد أكبر بكثير من عدد أولئك المهددين بالإصابة بفايروس كورونا.

لن تفعل إجراءات الحجر التعسفي الشامل شيئا، سوى تأجيل المعركة. وبعد تدمير الاقتصاد سوف تضطر الحكومات إلى رفع الحجز وإيقاف إجراءات الوقاية القمعية، وسوف يستأنف الفايروس انتشاره، وكأننا لم نفعل شيئا سوى إطلاق النار على قلب الاقتصاد العالمي.

على العالم أن يرضخ ويعترف أولا بحقيقة لا جدال فيها، وهي أن الفايروس سوف يصل حتما إلى كل بقاع العالم مهما كانت إجراءات تعطيل جميع مظاهر الحياة!

حتى من يسكن على جبل في منطقة نائية سوف يصله الوباء عاجلا أم آجلا، إلا إذا انقطع تماما عن العالم وتوقف عن شراء المستلزمات الحياتية من المتاجر.

ليس في ذلك أيّ قدر من التشاؤم، وهو رأي منظمة الصحة العالمية وكبار الخبراء. في المقابل هناك حل بسيط لمواجهة الوباء وتقليص الخسائر، لكنه للأسف ضائع بين أرجل المصابين بالهلع وخاصة مسؤولي الحكومات.

سيناريوهات مخيفة

الاقتصاد العالمي ومصادر دخل مليارات الأشخاص مهددة بالانهيار، الأمر الذي يطرح سيناريوهات مخيفة إذا لم نصل إلى الحلول الجريئة، التي تركز أولا وأخيرا على حماية سفينة العالم من الغرق.

لا أريد إثارة الهلع، لكن ينبغي أن نذكر أن أسوأ السيناريوهات يمكن أن يقود إلى انهيار ملايين الشركات وانتقال الأعباء المالية إلى شركات التأمين والمصارف، وسوف يؤدي ذلك إلى انهيار النظام المالي العالمي وشيوع الفوضى الشاملة.

لن تنفع الحلول الترقيعية والهروب إلى الأمام في هذه المواجهة، التي هناك إجماع على أنها حرب عالمية شاملة وغير مسبوقة مع عدوّ خفي، لا يمكن رصد سوى جزء ضئيل من تحركاته.

> **حين نقيس نسبة الوفيات إلى حالات الإصابة المسجلة ونقول إنها من 2 إلى 3.5 في المئة أو أكثر، فإنها في الواقع أقل بكثير من تلك النسب، لأننا لم نفحص جميع السكان**

ينبغي أن نركز على الحقائق الأساسية، وهي أن الوباء لا يهدد حياة سوى أقل من 2 بالمئة من سكان العالم، وهي طبعا نسبة مرعبة، لأنها تعني أكثر من 140 مليون إنسان.

علينا أيضا أن ندرك سريعا بأن جميع سيناريوهات الحجر الشامل الحالية لن تنقذ تلك النسبة، بل ستقتلهم وتدمّر أيضا حياة بقية العالم.

في المقابل هناك سيناريو آخر يقلل المخاطر، التي تهدد كبار السن والذين يعانون من أمراض ونقص المناعة، دون تعطيل حياة جميع سكان الكوكب وقتل الاقتصاد العالمي.

الحل الوحيد المثير للجدل

الحل الراديكالي والوحيد، لإنقاذ سفينة العالم من الغرق، هو اتخاذ القرار الصعب بعزل ما يصل إلى 20 في المئة من السكان، حتى لو تطلب ذلك فرضه بالقوة، لأنه يهدف لإنقاذ حياتهم وهو لن يتجاوز أسابيع قليلة.

لن يكون عليهم سوى الحذر التام وتجنب الاختلاط بالآخرين.

وينبغي في ذات الوقت ترك بقية سكان الدولة أو العالم بأسره، يواصلون الحياة بشكل طبيعي لأن نصفهم لن يشعروا بالإصابة والنصف الآخر ستكون إصابته مثل أيّ إصابة بالإنفلونزا وسوف يتعافى خلال فترة محدودة لا تتجاوز أسبوعين.

في هذه الحالة، إذا وقعت إصابات شديدة بالفايروس لأشخاص من كلا الفريقين، فإن المؤسسات الطبية ستكون قادرة على التعامل معها، وسوف تترك المصابين بأعراض طفيفة يواصلون حياتهم كالمعتاد.

ربما تتطلب المصلحة العامة أكثر من ذلك لتقصير عمر الوباء، وقد تصل إلى تشجيع الغالبية العظمى من الأطفال والشباب والأصحاء على الإصابة بالفايروس، لأنه أمر لا هروب منه، ولأنه سوف يعني ذلك حصولهم على مناعة وعدم نقلهم للفايروس.

كل العلماء شبه متأكدين أن من يصاب بالفايروس يكتسب مناعة، ويعتقدون أن الحديث عن الإصابة به مرتين، ربما يعود إلى أن الفايروس لم يختف نهائيا من الإصابة الأولى.

مناعة القطيع

حين يكون مصير العالم مهددا، ينبغي تجرع العلاج المر.

حين يتم عزل ما يصل إلى 20 في المئة من السكان ويترك الآخرون للإصابة بالفايروس واكتساب المناعة ستنحسر قنوات انتشاره، وستتم بذلك حماية كبار السن والمرضى، حين تنتشر المناعة بين معظم السكان وهو ما يعرف بـ"مناعة القطيع".

في هذا السيناريو سوف نتجنب إرهاق المؤسسات الصحية، التي ستكون قادرة على العناية بهم لحين التوصل إلى لقاح فعال وإنتاجه على نطاق واسع، لكن ذلك قد يستغرق ما يصل إلى سنة.

هذا السيناريو مثير للجدل طبعا، لكننا يجب أن ندرك عدم وجود حل آخر وأن ندرك أننا أمام معركة غير مسبوقة يمكن أن تدمر حياة كل سكان العالم، وهي تحتاج إلى قرارات حازمة لتقليل الخسائر.

انتشار الفايروس بين الأصحاء سوف يعني أن قنوات انتشار الفايروس ستنغلق خلال أسابيع. وسيجد الذين أصيبوا بالفايروس، من ذوي البنية الصحية المتينة، أنهم كانوا محظوظين بالإصابة به مبكرا.

متابعة الآراء العلمية تؤكد أن هذا هو الحل الوحيد، الذي ينقذ العالم من الفوضى الشاملة، التي يمكن أن تدمر حياة الجميع، لكن اتخاذ القرارات الحازمة يبدو صعبا بسبب الجدل الأخلاقي الذي تثيره لدى الرأي العام.

خسائر العالم تتضاعف، لكن الحكومات للأسف، قد لا تجد القدرة على فرض هذا الحل، إلا بعد فوات الأوان.

> **ينبغي على الحكومات فرض عزل 20 في المئة من السكان الأضعف صحيا وترك البقية يمارسون حياتهم بشكل طبيعي لتقليل الخسائر**

العرب
الأحد 2020/03/22
السنة 42 العدد 11654

قائد انقلاب صناعة النفط

الأمير عبدالعزيز بن سلمان يدير معركة أسعار لا تحتمل تكرار الفشل

● التأثير الكبير والمحوري لوزير الطاقة السعودي في قيادة معركة النفط المصيرية المؤجلة لا يرجع إلى كونه نجل العاهل السعودي الملك سلمان بن عبدالعزيز فقط، بل أيضا لأنه يعد واحداً من بين أرفع خبراء الطاقة في البلاد والعالم.

● معادلة خفض الإنتاج من قبل أكفأ المنتجين وأقلهم تكلفة، لدعم الأسعار، وما ينطوي عليه من نزيف الحصص في الأسواق، يمكن أن تستمر لبعض الوقت، لكنها لن تدوم طويلا.

سلام سرحان
كاتب وإعلامي عراقي

خلال أقل من خمسة أشهر من تكليفه بحقيبة وزارة الطاقة السعودية، أصبح الأمير عبدالعزيز بن سلمان، من أكثر الشخصيات العالمية تأثيرا، خاصة بعد تزايد الحاجة إلى بوصلة جديدة لصناعة النفط العالمية، التي دخلت في متاهة مغلقة منذ عام 2014.

ويأتي الدور الكبير من موقعه في صناعة قرارات أكبر مصدر للنفط في العالم، والدولة التي تملك أكبر طاقة إنتاج إضافية، الأمر الذي يمنحها القول الفصل في تحديد اتجاه الأسواق وملامح استراتيجيات الطاقة في العقود المقبلة.

ويكتسب دور الأمير عبدالعزيز بن سلمان أهميته القصوى بعد اندلاع حرب الأسعار، التي لا تقف أسبابها عند انهيار اتفاق خفض الإنتاج بين منتجي منظمة أوبك وحلفائها بقيادة روسيا، بل تتعدى ذلك إلى جميع أطراف الصناعة وخاصة العلاقة الملغومة مع منتجي النفط الصخري.

الخلاف بين الرياض وموسكو بشأن تخفيضات الإنتاج في اجتماع فيينا بداية الشهر الجاري، عجّل الحاجة المؤجلة لفرض إحداثيات وقواعد جديدة لصناعة النفط العالمية، بعد أن فشلت السعودية في الجولة الأولى على مدى 3 سنوات في تعديل بوصلة إنتاج وصناعة الطاقة

انهيار أسعار النفط، التي فقدت فجأة نحو ثلث قيمتها، كان صادما للأسواق النفطية والمالية ولجميع اللاعبين الأساسيين في قطاع الطاقة، لكن التأمل العميق يكشف أنه مصير حتمي مؤجل في ظل ضياع بوصلة صناعة النفط.

ولا يستند الدور المحوري للأمير عبدالعزيز بن سلمان في قيادة هذه المعركة المصيرية المؤجلة إلى كونه نجل العاهل السعودي الملك سلمان بن عبدالعزيز فقط، بل أيضا إلى كونه من أرفع خبراء الطاقة في البلاد و العالم وإلى سجله الطويل في صناعة القرار في قطاع النفط السعودي منذ 35 عاما.

وفي حالة نادرة في العوائل المالكة، قضى الأمير عبدالعزيز جميع حياته المهنية في أروقة صناعة الطاقة السعودية منذ حصوله على شهادة البكالوريوس ثم الماجستير في الإدارة الصناعية عام 1985 من جامعة الملك فهد للبترول والمعادن. وقد تدرج منذ ذلك الحين في أنواع المناصب الحساسة، لتكتمل خبراته في كافة جوانب صناعة النفط والطاقة، وكأنها مخاض طويل للتحضير لإدارة صناعة الطاقة السعودية في هذه المرحلة الحاسمة.

وفور تخرجه تولى منصب مدير إدارة الدراسات الاقتصادية والصناعية في مركز البحوث في جامعة الملك فهد للبترول والمعادن، ليقضي فيه نحو عقدين ويكون بمثابة منصة الانطلاق إلى أعلى المواقع التنفيذية في صناعة الطاقة السعودية. ثم عين مساعداً لوزير البترول والثروة المعدنية لشؤون البترول، خلال إدارتها من قبل وزير النفط الأسبق علي بن إبراهيم النعيمي. وفي عام 2015 تولى منصب نائب وزير البترول والثروة المعدنية بمرتبة وزير.

وبعد عامين صدر أمر ملكي بتعيينه وزيرا للدولة لشؤون الطاقة في وزارة الطاقة والصناعة والثروة المعدنية. واكتمل مسار الخبرة الطويلة بتعيينه وزيرا للطاقة، أعقبه في ديسمبر الماضي إضافة مسؤولية جديدة بتعيينه رئيسا لمجلس إدارة هيئة تنظيم الكهرباء والإنتاج المزدوج.

ويعد الأمير عبدالعزيز من الأمراء القلائل، الذين سخّروا حياتهم لمسيرتهم المهنية، ليعمل طوال عقود بصمت وهدوء دون استقطاب للأضواء في إدارة أكبر شرايين الطاقة العالمية. وكان حاضرا بقوة في كواليس معظم المؤتمرات والندوات التي توجه بوصلة سياسات الطاقة المحلية والعالمية.

ويرى محللون أن تسليم إدارة أكبر ثروات البلاد، لأول وزير للطاقة من الأسرة الحاكمة في تاريخ السعودية، كان يهدف أساسا لإنهاء التلكؤ في الكثير من الملفات العالقة منذ تراجع أسعار النفط منتصف عام 2014.

التكنوقراط الملكي

يقول السفير الأميركي السابق تشارلز فريمان إن الأمير عبدالعزيز يمثل ظاهرة جديدة هي "التكنوقراط الملكي". ويضيف إنه "ذكي عالمي الأفق وخبير في عمل الوزارة التي ظل يعد نفسه لإدارتها منذ عشرات السنين".

ويؤكد بسام فتوح رئيس معهد أكسفورد لدراسات الطاقة أن الأمير عبدالعزيز، كان طرفا أساسيا في السياسة النفطية السعودية منذ إصلاحات الطاقة المتجددة ورفع كفاءة استهلاك الطاقة وخفض الدعم الحكومي لأسعار الوقود. أما مؤسس شركة بلاك غولد انفستورز، غاري روس فيرى أن "ما من أحد في السعودية يعلم عن صناعة النفط أكثر من الأمير عبدالعزيز بن سلمان".

ذلك السجل الطويل لوزير الطاقة السعودي يبرهن على أنه الأقدر على إدارة المعركة المنتظرة لوضع أسس جديدة لصناعة النفط العالمية. فمعادلة خفض الإنتاج من قبل أكفأ المنتجين وأقلهم تكلفة، لدعم الأسعار، وما ينطوي عليه من نزيف الحصص في الأسواق، التي تذهب إلى النفط الصخري والحقول الأعلى تكلفة، يمكن أن تستمر لبعض الوقت، لكنها لا يمكن أن تستمر طويلا ولا بد أن تحين ساعة الحقيقة.

ومن الواضح أن الخلاف بين الرياض وموسكو بشأن تخفيضات الإنتاج في اجتماع فيينا بداية الشهر الحالي، كان مجرد القشة التي قصمت ظهر البعير، وعجلت الحاجة المؤجلة لفرض إحداثيات وقواعد جديدة لصناعة النفط العالمية. ويبدو أن تلك المواجهة لم تعد تحتمل التأجيل، بعد أن فشلت السعودية في الجولة الأولى على مدى 3 سنوات في تعديل بوصلة إنتاج وصناعة الطاقة.

وكانت السعودية قد أصرت بعد انهيار أسعار النفط منتصف عام 2014 على قيادة منظمة أوبك لدحر المنتجين الأعلى تكلفة من خلال زيادة الإنتاج، لكنها لم تتمكن من إكمال المشوار بسبب تباين مواقف منتجي المنظمة وتراجع أسعار النفط إلى 27 دولارا للبرميل في عام 2016.

ولجأت الرياض إلى قيادة منظمة أوبك لعقد اتفاق مع 10 منتجين من خارج المنظمة بقيادة روسيا لاتخاذ إجراءات لخفض الإنتاج من أجل دعم الأسعار المنهارة لتخفيف الضغوط على موازناتها. ومع أن الاتفاق، الذي اعتمد بشكل أساسي على السعودية وروسيا في تحمل العبء الأكبر للتخفيضات، أدى إلى ارتفاع الأسعار، إلا أنه أدى إلى تعميق الخلل وقدم خدمة كبيرة لمنتجي النفط الصخري.

جميع الأسلحة

اليوم تبدو السعودية مصرة على تصحيح المعادلة، والتوقف عن الهروب إلى الأمام بتخفيض الإنتاج والتنازل عن الحصص، بعد أن تراجعت حصة منتجي أوبك الأكثر كفاءة إلى 30 في المئة من الإمدادات العالمية. وتشير مواقف الرياض إلى أن الانقلاب لا رجعة فيه، بعد أن استأجرت عشرات الناقلات لضخ النفط في الأسواق الأوروبية والأميركية وعرضت أسعارا بخصومات كبيرة تصل إلى 25 دولارا للبرميل. وتؤكد شركات تجارة النفط أن السعودية عازمة على استخدام جميع أسلحتها لفرض معادلة جديدة، بعد أن اندفعت فور انهيار اتفاق خفض الإنتاج إلى استخدام طاقة إنتاجها الإضافية لترفع الإمدادات إلى 12 مليون برميل يوميا، بعد أن كانت تنتج منذ سنوات نحو 9.7 مليون برميل يوميا.

الدبلوماسي الأميركي تشارلز فريمان يرى أن الأمير عبدالعزيز بن سلمان يمثل ظاهرة جديدة هي «التكنوقراط الملكي» ويصفه بأنه «ذكي عالمي الأفق وخبير في عمل الوزارة التي ظل يعد نفسه لإدارتها منذ عشرات السنين»

وسارعت بعد أيام إلى إعلان زيادة طاقة الإنتاج إلى 12.3 مليون برميل يوميا، اعتبارا من الشهر المقبل، ثم أعقبت ذلك بإعلان خطط لزيادة الإنتاج إلى 13 مليون برميل يوميا، لتؤكد إصرارها وعزمها على إعادة رسم خارطة صناعة النفط.

ولا تقتصر معركة الأسعار، كما يشاع في الإعلام على إلحاق الضرر بروسيا، التي لا تملك سوى طاقة إنتاج إضافية محدودة، بل تشمل جميع منتجي النفط مرتفع التكلفة لإجبارهم على الانسحاب من الأسواق حين تنخفض الأسعار عن مستوى تكلفة الإنتاج. ويبدو أن الرياض اختارت الوقت المناسب بعد تزايد المؤشرات على تراجع فورة النفط الصخري بسبب ارتفاع تكاليف الإنتاج وصعوبة تمويل المشاريع، حيث ترجح التوقعات تراجع الإنتاج بمعدلات كبيرة.

وتراهن السعودية على تجفيف تمويل المشاريع مرتفعة التكلفة، وإجبارها على التوقف من أجل زيادة حصتها في الأسواق. ويرجح محللون أن ترتفع الأسعار بعد ذلك إلى نطاق 60 إلى 70 دولارا للبرميل.

ومن المتوقع أن يردع الموقف السعودي الحازم، أولئك المنتجين عن العودة للإنتاج في المستقبل عند ارتفاع أسعار النفط، لإدراكهم بأن الرياض ستعود إلى تحديهم مرة أخرى.

ويتساءل بعض الخبراء عن قدرة الرياض على الذهاب في هذا المشوار إلى آخره وتحمل الضغوط التي سيشكلها تراجع الأسعار على إيراداتها، لكن آخرين يقولون إنها حسمت أمرها مهما كان الثمن، بعد تأكيدها أنها لم تعد مهتمة بالتفاوض لخفض الإنتاج.

طاقات متجددة

ولا تقف خطط وزير الطاقة السعودي عند إعادة رسم خارطة النفط، فهو يؤكد على أن الرياض تريد إنتاج وتخصيب اليورانيوم في المستقبل في إطار سعيها للاستفادة من التكنولوجيا النووية في الأغراض السلمية.

وكانت السعودية قد أعلنت في يناير الماضي أنها تلقت عروض إنشاء أول مفاعلين نوويين من 5 دول هي الولايات المتحدة وروسيا وفرنسا وكوريا الجنوبية والصين. وتمتد طموحات الرياض إلى توسيع استغلال الطاقات المتجددة حيث تؤكد أنها تستهدف توليد ما يصل إلى 9.5 غيغاواط من مصادر الطاقة النظيفة بحلول عام 2023.

وعززت موقعها في معركة الطاقة في فبراير الماضي بإطلاق أكبر مشروع للغاز الصخري خارج الولايات المتحدة. ويقول محللون إن حجم الاحتياطات السعودية وكثافة تركيز الغاز توفر قاعدة متينة لنجاح المشروع.

وأعلنت شركة أرامكو، أنها ابتكرت طريقة مجدية تجاريا، لاستخراج الغاز الصخري باستخدام ماء البحر، مما سيذلل عقبة نقص المياه اللازمة للتكسير في الصحراء. ويقول محللون إن ذلك سيزيد من قدرة السعودية على الذهاب إلى نهاية معركة إعادة رسم خارطة الطاقة العالمية.

العرب
الأحد 2020/03/22
السنة 42 العدد 11654

الفن باعتباره مناسبة للأمل

زينة الخليل

فنانة اليومي الذي يقاتل من أجل الحقيقة

فاروق يوسف
كاتب عراقي

ما بين الفن باعتباره دعوة للحب وبينه باعتباره وسيلة للشفاء تقيم زينة الخليل مخططاتها من أجل بناء عالم، يمتزج من خلاله مفهوما الجمال والسلام في علاقة تتميز بالشد والتوتر. علاقة يغلب عليها طابع التأمل الذي تنظر إليه الفنانة باعتباره غاية لذاتها.

الخليل التي تجد متعة في اقتحام المكان والارتباط بما يخبئه من أسرار وجدت في توزعها بين بيروت ونيويورك والهند مناسبة لاختبار قدرتها على توظيف معادلاتها الجمالية في محيط عالمي، بالرغم من أنها تستند بشكل أساس على مدونة شخصية اجتهدت في صياغتها أدبيا.

فالفنانة التي توزع جهدها الفني بين الرسم والنحت وصناعة الأفلام والتجهيز هي كاتبة أيضا. لقد عرفت كيف تحول يومياتها الشخصية إلى مرويات عامة، يمكن أن يتم تداولها باعتبارها نوعا من الخرائط الشعرية التي تحول الواقع إلى أضداد خيالية، يقف بعضها في مواجهة الآخر ليعيده مثل المرايا.

> الخليل تمثل جيلا متمردا على الفن والمجتمع معا. فهي تضع الفن في موقع يبعد عنه شبهة التزيين ومحاباة المجتمع المغلق على معاييره الطبقية. وهي لا ترى في نشاطها المتمرد على القيم السياسية والاجتماعية ما يتعارض مع روح الفن.

عام 2012 أزيلت لوحتها "سوبر ستار" من معرض بيروت للفنون في مركز بيال. حدث ذلك بضغط من حزب الله. كانت اللوحة تجمع بين حسن نصرالله والمغنية شاكيرا. لقد سبق لتلك اللوحة وأن عرضت في معرض جماعي استوحى وقائع حرب 2006. لم يكن من اليسير بالنسبة لعقائديين القبول بنظرية الخليل الخاصة بإعادة اكتشاف الطغاة إنسانيا.

ذلك حدث صغير مقارنة بمشروع الفنانة الذي تجمع فيه بين مواجهة العنف والمصالحة مع الطبيعة. وهي في ذلك إنما تعنى بشيء تسميه "الكارثة". وسواء كانت تلك الكارثة إنسانية أو بيئية فإن التصدي لتداعياتها عن طريق الموسيقى أمر ممكن.

الخليل تعنى بالصوت باعتباره طقسا احتفاليا. هناك عبارة تتكرر مثل فعل الرقص وتخترق الروح مثل نار مطهرة، تقول "هل من الممكن إنشاء شيء يمكن أن يضع حدا للعنف؟". تضيف "بعد سنوات وجدت إجابتي. أنت هذا الكائن. أنت أعظم عمل فني تم إنشاؤه على الإطلاق. يمكنك العمل على المستوى الشخصي لتصبح أداة لسلام. حيث يبدأ السلام من الداخل".

هي في الوقت ذاته ناشطة على مستويات عدة. وهي في الحالين تمثل جيلا متمردا على الفن والمجتمع معا. فهي تضع الفن في موقع يبعد عنه شبهة التزيين ومحاباة المجتمع المغلق على معاييره الطبقية وهي لا ترى في نشاطها المتمرد على القيم السياسية والاجتماعية ما يتعارض مع روح الفن. الطريقة التي تفكر فيها الخليل في الفن تكاد تنافس نتاجها الفني على مستوى القيمة الإنسانية.

ولدت في لندن عام 1976 في عائلة تعود أصولها إلى جنوب لبنان. درست الفنون البصرية في الجامعة الأميركية ببيروت. عام 2002 حصلت على شهادة الماجستير من كلية الفنون البصرية بنيويورك.

بيروت أنا أحبك

لم تكتف الخليل بالممارسة الفنية المباشرة بل كان لها نشاط مجاور يتعلق بالاهتمام بالفنانين الشباب ممن لم تُتح لهم فرصة عرض أعمالهم من خلال مؤسسة أكساندو التي تم تأسيسها في نيويورك باعتبارها مؤسسة فنية غير ربحية وعملت الخليل فيها مديرة ومنسقة.

خلال حرب 2006 التي شنتها إسرائيل على الأراضي اللبنانية حرصت الخليل على تسجيل يومياتها في مدونتها على الإنترنت وقد حظيت تلك المدونة باهتمام صحف محلية وعالمية مثل صحيفة غارديان البريطانية التي أعادت نشر العديد من مقاطع تلك المدونة وسلطت الضوء على صاحبتها.

عام 2008 نشرت زينة روايتها "بيروت أنا أحبك" التي هي أشبه بالسيرة الذاتية التي تتضمن أحداثا عاشتها الفنانة عبر سنوات متقطعة بدءا من عام 1994 إلى جوار ما شهدته بيروت من أحداث في الزمن نفسه.

أقامت معارض شخصية في لندن وبيروت وتورينو ولاغوس وميونخ. وهي تعيش وتعمل ما بين لندن وبيروت.

ومثلما فعلت في مدونتها وروايتها فإنها على مستوى فني تستلهم الواقع باعتباره حكاية لم تنته بعد وما من صورة نهائية له. لذلك فإنها حين تسلط الضوء على الخراب الذي ضرب الأماكن التي تحبها بتأثير الحروب والإهمال والجهل فإنها لا تنطلق من موقف يائس بل من رغبة معلنة في إعادة البناء. فالفن بالنسبة لها مناسبة لتكريس الأمل. وهو ما يضفي على أعمالها بعدا متفائلا تفتقر إليه الأعمال الفنية التي عالجت موضوعة الحروب وتداعياتها المؤثرة على حياة الناس العاديين.

مسكونة بصوتها

"إذا أومأ الحب إليكم فاتبعوه" بتلك الجملة الجبرانية تفتتح زينة الخليل موقعها الإلكتروني. فالحب بالنسبة لها وهي المتمرسة في فنون اليوغا طريق يمكن التعلم من خلال المشي فيه تقنيات العيش على الحافات والذهاب إلى الأقاصي في مغامرة الوجود اللانهائي.

الخليل التي ترسم وتنحت وتركب وتصنع أفلاما كما لو أنها تقيم حفلا تشترك فيه كائنات غير مرئية طورت علاقتها بفنها من خلال اشتباكها جسديا بالموسيقى والرقص حيث تحولت الممارسة الفنية إلى طقس فردي أو جماعي، تتمكن الفنانة من خلاله من مزج الواقعي بالوهمي بما يسمح لخيالها بابتكار حياة مجاورة. حياة لم يعشها أحد سواها.

إلى جوار ذلك فإنها لا تخفي موقفها السياسي المضاد لما هو شائع على المستوى الشعبي وبالأخص على مستوى المفردات المتداولة. ذلك ما قد يسبب لها حرجا يتناسب مع قوة تمردها التي تطيح بالبداهات التي ترفض الاعتراف بها. زينة فنانة سياسية بامتياز غير أنها لا تنتمي إلى معسكر بعينه بقدر ما تنتمي إلى فكرتها عن السياسة. تلك هي فكرة سياسية غير أنها لا تُستعمل للتحكم بعقول الناس بقدر ما تسعى إلى تحرير تلك العقول. مسكونة بالصوت. ذلك هو صوتها المتمرد. وهو صوت استثنائي يقع مثل صدمة في الآذان التي تنصت إليه.

في أفلامها عامة وفي فيلمها "السلام عليكم" بشكل خاص تقتفي الخليل أثرا مفقودا في العلاقة بين ما هو مقدس وما هو متاح من سلوك يومي. في معادلة الثابت والمتغير تلك تبرز تحولات المجتمع لتصنع نوعا من الانسجام الذي يمكن اعتباره حلا واقعيا على مستوى الحياة المباشرة.

لا تتعرض الفنانة للدين بتفاصيله الروحية بقدر ما تسعى إلى تجريده من سلاحه غير الشرعي. وهو سلاح تم السطو عليه في غياب العقل. ذلك لأن الإجماع على أن الخالق هو الجمال وهو المحبة يمكنه أن ينهي نقاشا لا طائل منه. تذهب الفنانة إلى جوهر الحقيقة حين تمزج بين القوة المطلقة والعادات اليومية لبشر مسالمين، ركنوا العقائد المغلقة جانبا واستجابوا لسعادة حواسهم.

الخليل مناضلة من طراز خاص. فهي تناضل على جبهات عديدة. جبهة الحب التي تشعر فيها أن سلاما بشريا يمكن أن يتحقق من خلال تأمل وجودي يضع الإنسان في مكانه الحقيقي. وجبهة السياسة، هناك حيث تضطر الفنانة إلى إزالة القشرة عن حقيقة ما يجري تحت شعار المقاومة. أعمالها عن حرب غزة كانت أشبه بمرثية للنزاهة. كما أن الفنانة تناضل على جبهة بيروت، مدينتها التي لا يزال الجزء الأكبر منها غاطسا تحت ركام خرابه.

في كل ما تفعله تنتمي زينة الخليل إلى فن مفهومي، سيكون علينا أن ندرك قيمته من خلال ما يحدثه من استفزاز للحقائق اليومية الزائفة. وهي إذ تضعنا في مواجهة الأمل فلأنها تثق بالفن وتؤمن به خلاصا.

> لوحتها «سوبر ستار» المثيرة للجدل أزيلت من معرض بيروت للفنون في مركز بيال عام 2012. حدث ذلك بضغط من حزب الله. وهي لوحة تجمع بين حسن نصرالله والمغنية شاكيرا

العرب الثقافي
الأحد 2020/03/22
السنة 42 العدد 11654

كعب آخيل وصرخة جلجامش وابتسامة الخائف

كورونا وصور الاستهلاك في برهة الهلاك والمعدن المغيّب لإنسان الكوكب

أقصى الحياة في ذروة الموت

نوري الجراح
شاعر سوري مقيم في لندن

في أزمنة الحروب والكوارث والجوائح الكبرى، كما هو الحال بالنسبة إلى اللحظة الراهنة وقد عمت مخاطر الهلاك بكورونا أنحاء الكوكب، ومع تزايد أعداد الناس اللائذين ببيوتهم يلازمونها فلا يخرجون منها إلا في حالات طارئة، هنا، عند هذا الجرف المهول، تحت سماء مدلهمّة تنذر بأسوأ العواقب، يبدأ الاختبار الإنساني. تتساقط الأقنعة الاجتماعية عن الوجوه، ونبدأ في التعرف على معارفنا، كما لو أننا نلتقي بهم للمرة الأولى. فنحن في لحظة المصير.

إنه الإنسان في لحظته الكونية. الكائن البشري في ساعة فاصلة من ساعات الحقيقة الداهمة.

***

هي لحظة كونية، بامتياز، غير مسبوقة، اللهم إلا في السرديات الكبرى، الطوفان، وقد بات نوح يتيم حكايته، القيامة، ولكل يمين كتاب. هي برهة في المكان وخارجه معا، حيث تتلاقى المصائر وتبدو مشتركة، إنما لكل امرئ مصير لا شريك له فيه سوى روحه العزلاء.

***

هي لحظة للتأمل. وكذلك للمراجعة. تأمل وقائع عصية على التصديق، ومراجعة أفكار وتصورات عن قوة الجنس البشري، وقدرة الجسد الإنساني على الدفاع عن نفسه في مواجهة عدوّ غير مرئي، وهي فرصة – مستقطعة من السياق – للتفكر في استجابات البشر وتصرفاتهم إزاء ما نزل بهم فجأة، وها هو يتحول إلى واقع كابوسي، شؤم لا بد من استقبال صوره المتلاحقة بوتائر شديدة السرعة.

صور مربكة للمواجهة بين هدف مكشوف هو الإنسان وعدوّ غير مرئيّ، هو المرض، حتى يمكن للبشر مواجهته بثقة واقتدار. هناك شيء غير عادل في هذه المعركة، بل شيء غادر.

يسهر العلماء في مختبراتهم بحثا عن مصل يتيح للبشرية مواجهة عدوّ لا يرى إلا في المجهر، لكنه قادر على الفتك بالبشر وتقويض حضارتهم.

***

في الاختبار العظيم ينزع البشر الأقنعة الاجتماعية عن وجوههم فإذا بها وجوه مخطوفة الألوان، ابتسامات شاحبة تستطلع الرجاء في وجوه هي نفسها تستطلع البشرى وتريد أن تقرأ الأمنية في الوجوه.

***

وبقدر ما يصبح الآدمي أرضياً، في ساعة كهذه، بقدر ما يتحول هو نفسه، وبكل قوة الحقيقة فيه، إلى مجاز كوني، كناية عن حاضر يتأهب للغياب، ليكون من بعد حكاية عن وجود لموجود لم يعد، ولم يعد هناك من يمكن أن يروي الحكاية، ولا من يستمع إلى صوت.

***

في ظل الكوارث تنشط المخيلات الدستوبية، وما نشهده اليوم في كوكب الأرض، سبقٍ لمخيّلات المبدعين أن صوّرت شيئاً منه في الروايات والأفلام. وعلى رغم تلك الصور القيامية المذهلة التي رأيناها في السينما وبلغنا معها نهايات العالم، فقد كنا ندرك أن الأمر لا يعدو أن يكون سطح خيال، وأنّ المشاعر القاسية لن تدوم طويلا، وأننا سنغادر مقاعدنا في قاعة السينما ونعود إلى بيوتنا، فقد كنا في السينما.

ولكن هل سيقيّض لنا وقد ألجأنا الوباء إلى البيوت، أن نغادر بيوتنا أحياء هذه المرة؟

***

أوكل الإنسان إلى نفسه، على مدار العصور، مهمة السيطرة على العالم. على مصادر الثروة والقوة والمجد، ولأجل تحقيق هذا الهدف خاض البشر معارك شرسة ودامية وأظهروا قسوة وعنفا جاوزا، غالباً، حدود المعقول. الإمبراطوريات نهضت على جماجم من أطلق عليهم التاريخ صفة الأعداء مرة، فهم الآخر، والضحايا مرة أخرى هم الجموع الغفيرة وقد تحوّلت إلى حطب في رحلة بناء الدول والكيانات الكبرى والمهيمنة.

على أن فكرة تطويع العلم والعمل لأجل امتلاك القدرة الهائلة على الحيازة والسيطرة في العالم، من قبل قوى عظمى، تبقى هذه الفكرة عاجزة عن إصابة الكمال وتحقيق الديمومة، بل إنها ستبقى أبداً عرضة للبلى. فثمة في كل بنية تنهض موضع تصاب منه، ومنه تصيب مقتلاً، وتسقط، حالها حال آخيل في السردية الأسطورية للإغريق، فهو ابن ملك بشري من أمّ حورية. ولكي تضمن له أمه دخول محفل الخالدين الذين لا يهلكون كما يهلك سائر البشر، قامت بتغطيسه في نهر الخلود لكنها نسيت أن أصابعها التي أمسكت بالرضيع من كعبه عند الوتر تركت هناك في ذلك الموضع سر مصرعه. ولما اكتُشف سرّ كعب آخيل ونقطة ضعفه، كان السهم الطرواني في انتظار ذلك الكعب.

الإمبراطوريات، بدورها، لطالما حملت في بنيانها ذلك السر. فتعاقبت صعوداً وسقوطاً عبر التاريخ. وليس ثمة ما يمنع كائناً صغيراً لا يرى في العين المجردة من تقويض بنيان عظيم.

على أن الأفراد في ما فطروا عليه، عبر رحلة التجربة والاكتشاف والوعي، لم يكونوا وعياً عاقلا وحسب، وإنما كانوا حالمين ومبتكرين وصناع لحظات عاطفية مدهشة. ولطالما أعملوا مخيلاتهم المبدعة في أوقات المصاعب الكبرى، فابتكروا سبل التغلب على المحن، وقهروا المستحيل، لأجل أن يستمر الجنس البشري في رحلة وجوده العظيم على الأرض.

***

في أوقات المحن، لطالما فاجأ البشر أنفسهم في قدرتهم اللامحدودة على ابتداع الحيل ليتغلبوا على الشقاء، ويختلقوا لحظات الطرافة واللطف في ذروة أوقات الخوف من المجهول، ليهزموا، من ثم، بالابتسامة المقاتلة شبح الموت.

***

خلال المجاعات وحروب الإبادة قدم الأفراد للجماعة أقصى ما عندهم، وبذلوا التضحيات، ففضّلوا الآخرين على أنفسهم، ومنهم كثرة واجهت الموت لتجنبه آخرين أفرادا وجماعات.

وكم من القصص العظيمة ولدت في ظلال الحروب وإبان الجوائح الكبرى. هل نحتاج إلى أمثلة، كل منا يتذكر ما سبق وقرأ من قصص ووقائع دوّنها الكتّاب إبان الحروب، أو ابتكرتها مخيلاتهم عن حروب خاضها آباؤهم وأجدادهم.

***

واليوم، بينما أتأمّل تدافع الناس طلبا للحاجيات في المتاجر الكبرى، ثمة شيء آخر وراء هذا المشهد، ثمة كنز دفين، في الصدور وفي النفوس، إنه المعدن الإنساني المغيّب وراء صور الاستهلاك، القدرة الهائلة على العطاء، والقدرة على التضحية لأجل الآخر. في اللحظات الأشد والأخطر سوف يلمع هذا المعدن الإنساني الدفين في النفوس، ويقدم أصحابه أبهى ما عندهم.

في السجل الإنساني هناك وقائع مؤثرة لا حصر لها عن ذوات قدمت الآخر على نفسها، وإلا كيف استقرت في ذاكرة البشر وتواريخهم فكرة الفادي، لو لم يُفتدى حبيب بحبيب وأخ بأخ وأم بابنة وابن بأب، وصديق بصديق.

تحضرني هنا صرخة الشاعر في ملحمة جلجامش ملك أوروك الذي طاف العالم القديم بحثا عن عشبة الخلود لينقذ صديقه أنكيدو، ولذاته الخائفة من الزوال:

"حين أموت ألا يدخل البلى أحشائي؟
هل سأموت هكذا ميتة أنكيدو".

والواقع أن هذه الصرخة لم تكن صرخة الذات الخائفة من انكشافها وضعفها الشخصي أمام حادثة الفناء، وحسب، وإنما هي تعبير عن خوف جلجامش من هلاك الصاحب والحبيب.

يهتف جلجامش أمام جسد أنكيدو المسجى:

لتندبك المسالك التي سرت فيها في غابة الأرز
وعسى أن لا يبطل النواح عليك ليل نهار
وليندبك شيوخ أوروك ذات الأسوار
وليبك الإصبع الذي أشار إلينا من ورائنا وباركنا
فيرجع صدى البكاء في الأرياف
وليندبك الدب والضبع والنمر والإبل والسبع
والعجول والظباء
وكل حيوان البرية
ليندبك نهر أولا الذي مشينا على ضفافه
وليبكك الفرات الطاهر الذي كنا نسقي منه.".

ولا يمنعني هذا، بعد هذي المرثية للذات والآخر، من أن أسوق بيتا من الشعر صادماً، تأملت فيه ووجدته حقيقياً في وجوديته، ثم تأملت فيه أكثر وتذكرت أبياتا أخرى تناقضه:

"كذب الصديق، لا صديق لميت
لو كان يصدق مات حين يموت".

لكن الحلاج الذي قدم جسده وروحه على طبق الحب كتب معنى آخر:

"أنا من أهوى ومن أهوى أنا
نحن روحان حللنا بدنا
فإذا أبصرته أبصرتني
وإذا أبصرتني أبصرتنا".

فالآخر، هنا، مرآة الأنا إلى حد التطابق ووحدة الوجود والمصير بالتالي.

وأنشد ابن الفارض في بذل النفس لأجل الآخر:

"ما لي سوى روحي، وباذلُ نفسه،
في حبِّ مَنْ يهواهُ ليسَ بمسرفِ".

وبقدر ما يصبح الآدمي أرضياً، في ساعة كهذه، بقدر ما يتحول هو نفسه، وبكل قوة الحقيقة فيه، إلى مجاز كوني، كناية عن حاضر يتأهب للغياب، ليكون من بعد حكاية عن وجود لموجود لم يعد

ولئن كانت أبيات الحلاج وابن الفارض ترمي إشهار الصوفي لدرجات عشقه الإلهي، فإن اللغة نفسها تطوّع الكلمات نفسها فتكسبها صبغة أرضية وتكسيها معنى يشمل الشعور العميق من آدمي إلى آدمي، واستعداد ذات لبذل أغلى ما لديها لأجل الآخر.

ثمة درس بليغ يقدمه لنا حال البشرية اليوم مع الكورونا، وهو أن المحن إذا ما ضربت موضعاً من جسد العالم ستتداعى له باقي مواضع هذا الجسد، وان العالم الذي تعولم لا مصير لجزء منه، سيئاً أو جيداً، بعيداً عن مصير كامل الجسد.

هذا هو اسمك: شاعر لم تفز به نوبل

حكيم مرزوقي
كاتب تونسي

غادر الرجل الذي قمعني ومنعني من نشر الشعر على الملأ طيلة سنوات عديدة، أسكتني عن طيب خاطر، وجعلني لا أتقن إلاّ قراءته والإنصات إليه.

أكاد أقتنع وأقول لنفسي: كذا يفعل الشعراء الكبار بأممهم وشعوبهم في برلمان التاريخ الذي لا ينبغي أن يتّسع أعضاؤه إلى أكثر من أصابع اليد الواحدة، يكفي شاعر واحد لكلّ قارّة، فما أتعس أمّة يكثر فيها الشعراء ويقلّ فيها الشعر.

أنا حزين ـ فقط ـ لأنّني لن أقرأ قصيدة جديدة لمحمود درويش بعد اليوم، حزين – فقط ـ لأنّ غيره سوف يرتدي بدلته ويحاول تقليد صوته، حزين – فقط ـ لأجل نوبل التي تعضّ الآن أصابعها ندما لأنّها لم تفز به حيّا.

يبدو أنّ أطبّاء القلب ـ وليس المعدة ـ أكثر حدسا وفراسة في معرفة الشعراء منذ الشابّي مغربا، إلى درويش مشرقاً، فهذا هو اسمك أيّها الشاعر قبل أن نغيب في الجدار اللولبي، قبل أن نقع أسرى لما نريد وما نحبّ أن نكون، قبل ملهاة النرجس ومأساة الفضّة، قبل أن تدوس الخيول على العصافير الصغيرة. قبل ابتكار الياسمين، قبل أن يموت الهدهد والتّاج مثبّت على رأسه، وبعيدا عن أواني الموز وموت الفراشات والشعراء في فصل الصيف.

محمود أجمل أسماء فلسطين الحسنى لأنّه جعل منها همّا شخصيّا وراح يحرس أحلامها وكوابيسها ويسقي ورود شهدائها ويخجل من دمعة أمّه وينام على ظلّه العالي إلى أن اختنق ظلّه ومات.

هل تطلّ التلّة في رام الله على ما تريد الإطلال عليه، هل تحفظ طعمك القهوة المرّة، هل تتذكّر نكهة شفتيك الميرميّة.

مهلا، أقرّ وأعترف أنّ ما تقدّم من سطور هو كلام باهت لشخص يحاول أن يغمس قلمه في حبر أسود للكتابة عن موت درويش كواجب وظيفيّ مقيت، كوقت نقضيه في مجلس عزاء نكتم فيه ضحكاتنا المتربّصة، نربّت على أكتاف أهل الفقيد ثمّ نمضي في زحام المقاهي والأسواق.

متى ننتبه إلى أنّ الشاعر يرثي نفسه منذ أوّل قصيدة ثمّ يموت فيأتي الناس لرثاء شعره ويستمرّ الموت منتصرا وباسطا سلطته على الجميع – الخصوم منهم والموالون ـ كأوّل الأسئلة وآخرها.

متى نعلم أنّ الشاعر يعيش ويموت مثل كلّ الكائنات، ولكنّه يدفن وحيدا ومجرّدا من كلامه. كلامه الذي يستبيحه الآخرون دون رأفة بصاحبه، صاحبه الذي لا يعطى فرصة واحدة لتغيير أقواله. ما أصعب ورطة الشعر وما أقسى حبّ الناس للشعراء.

يبدو أنّ أطبّاء القلب ـ وليس المعدة ـ أكثر حدسا وفراسة في معرفة الشعراء منذ الشابّي مغربا، إلى درويش مشرقاً، فهذا هو اسمك أيّها الشاعر قبل أن نغيب في الجدار اللولبي

أقرّ مرّة أخرى أنّي أغار من درويش منذ مراهقتي ـ وهذه حالة صحيّة وليست مرضيّة ـ أقولها على الملأ وعلى طاولة أيّ طبيب نفسي يدّعي القدرة على فكّ عُقدي. فمحمود درويش هو الذي يخطف من طرف لساني الكلمات المناسبة في الأوقات المناسبة ويقولها قبلي، وهو الذي يطلع لي شاهداً أو منقذاً أو مسعفاً، في كلّ معرض حديث عن الشعر والحب والسياسة والنساء، وهو الذي محا الفارق اللّفظي والحضاري بين المثقّف والشاعر، وهو الذي أنسن الأمكنة وتوأم بين المدن وحاورها وحاورته، فجعلنا نكتشف معه أنّ بيروت تفّاحة، ودمشق قصيدة، أمّا تونس وفلسطين فعاشقان يقولان لبعضهما شكرا في لحظة نادرة.

لكنّ الذي يغار من شخص بعينه يعترف ضمنيّا بفضل الأخير عليه، وأهمّ أفضال محمود عليّ أنّه صحّح علاقتي بالشعر والشعراء، وجعلني أحاور المثقّفين الأوروبيين في مناسبات عديدة وبضمير المتكلّم، من دون الاستعانة بكتب التاريخ أو استخدام أفعال الماضي السحيق.

قالت العرب منذ امرؤ القيس "يبدأ الشعر بملك وينتهي بملك"، ودرويش يسافر وحده ملكا بمفهومه الشعبي والمخملي، بنرجسيته وملحميته، بتواضعه وكبريائه، لأنّ الشعر لا يقوله إلاّ الأسياد حين ينكسرون أو يجرحون، وليس العبيد حين يسودون.

الآن عرفت لماذا يرثي الشاعر نفسه منذ مالك بن الريب وأبي فراس الحمداني وحتّى درويش. الآن عرفت لماذا تحوي خواتم الأباطرة السمّ الزعاف، ذلك أنّ لا أحد يقوى على رثاء الشاعر غير الشاعر نفسه، ولا أحد يقوى على قتل الإمبراطور غير الإمبراطور نفسه.

العرب
الأحد 2020/03/22
السنة 42 العدد 11654

خيري الذهبي: أكتب في رواياتي حكاية دِمشق

الرواية هي سؤال الهوية وتاريخ المهمشين والمقموعين.. وعلى رأسهم المرأة

ما بين حضارة عريقة ووقائع راهنة دامية يُمكن للعمل السردي أن يضع تساؤلاته حول إشكالية التحولات والتبدُّلات، عن أزمة النكوص الحضاري والفكري، تصير الرواية حينئذ ضميرًا يُلهبه سؤال المصير والمآل بعدما تشرُع في دراسة وفحص التَّاريخ بُغية استنطاقه عن المآلات الراهنة وسؤاله عن آفاق مستقبل غائم، تستطيع الرواية آنذاك أن تُشكل مشروعًا فكريًا متكامل الأركان لاسيّما حينما يمتلك كاتبها ذلك الوعي الفني والفكري، وتلك التجربة الإبداعية الراسخة، وهو ما استطاع الروائي السوري خيري الذهبي تحقيقه عبر رحلة روائية امتدت لما يربو عن نصف قرن.

منذ روايته الأولىٰ "ملكوت البسطاء" التي نُشرت في السبعينات وحتىٰ اللحظة الراهنة، يُقدِّم الذهبي عبر أعماله الرِوائية فضلاً عن الأعمال الدرامية البارزة التي كتب لها السيناريو، بانوراما لبلده سوريا وتحوّلاتها ومُشكلاتها المستعصيّة، ورغم رفضه المستمر والمُتكرّر من أن تُوصف رواياته بأنها "تاريخية"، فقد تمكّن الذهبي عبر تَنقيبه في التاريخ السوري واستيعابه لمُعطيات الواقع الراهن من أن يُقدِّم حكاية دمشق خلال قرن من الزمان، لاسيّما في ثلاثية "التحولات"، وفي خِضم الحكاية السوريّة يحضر البحث عن الهُوية المُستلبة والحضارة المنهوبة والسؤال عن الخنوع للاستبداد والارتكان للضعف، تساؤلات عدة قدّمها الذهبي عبر أعماله الروائية التي جاء أحدثها بعنوان "المكتبة السريّة والجنرال" ليُقدم فيها رؤيته لما حدث في وطنه سوريا خلال السنوات العشر الأخيرة.

تلك المسيرة الروائية الثريّة بما تطرحه من إشكاليات وقضايا علىٰ المستوى الفكري والفني كانت محورًا لهذا الحوار مع الذهبي في "الجديد" لاسيّما بعد أن نال مؤخرًا جائزة ابن بطوطة لأدب الرحلات عن كتابه "من دمشق إلىٰ حيفا.. 300 يوم في الأسر الإسرائيلي" الذي كتبه بعد فوات ما يقرب من نصف قرن علىٰ تجربته في السجون الإسرائيلية، والذي يُقدِّم من خلاله صورة للفكر الإسرائيلي أثناء الحرب الحاسمة بين العرب وإسرائيل؛ حرب أكتوبر/ تشرين الأول.

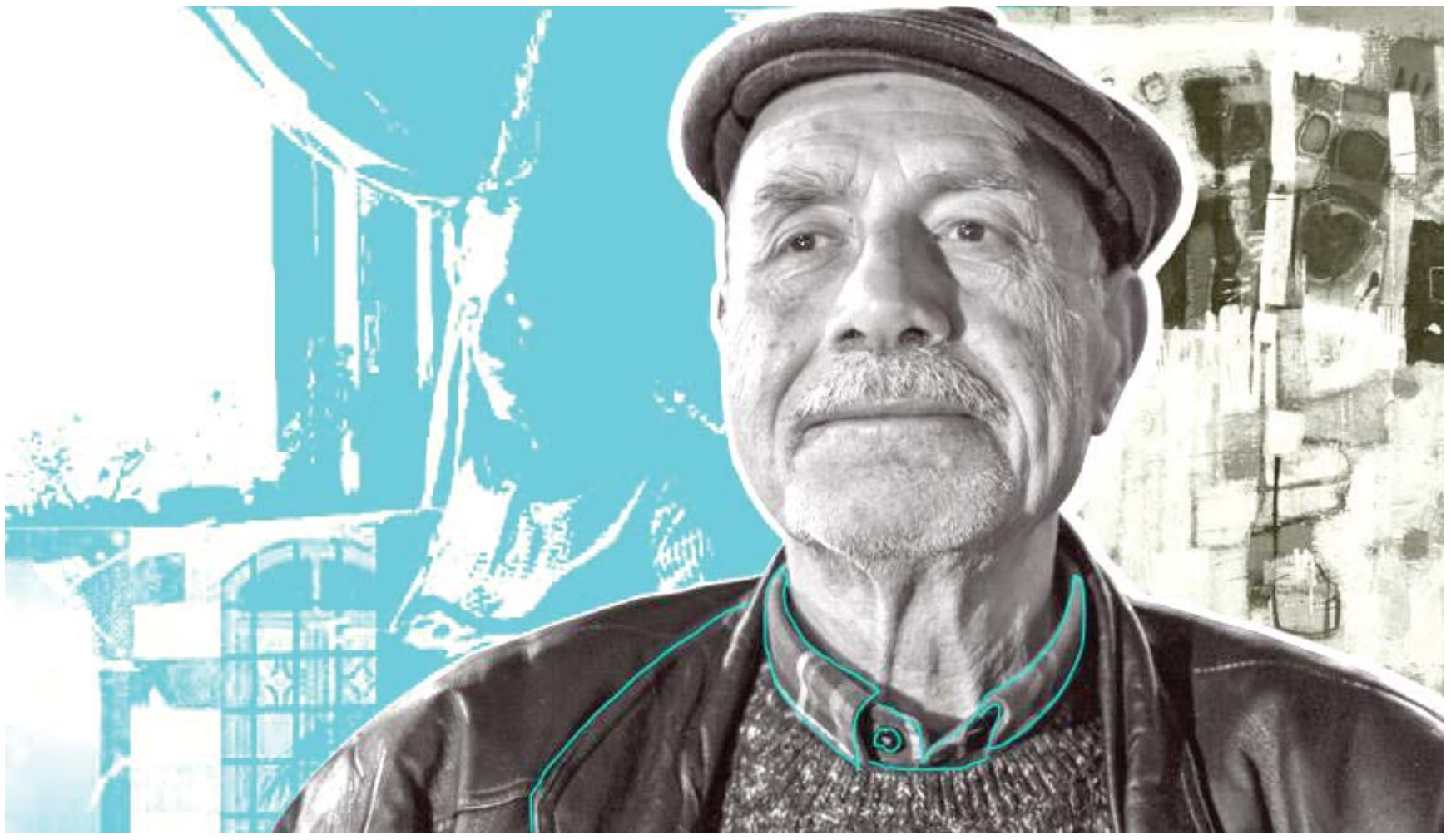

مسيرة روائية ثرية (غرافيك «الجديد»)

حنان عقيل
كاتبة مصرية

الجديد: تحمل العديد من أعمالك همًّا وسؤالًا حول علاقة المثقف والثقافة بالسلطة، في "المكتبة السريّة والجنرال" تُبنىٰ الحبكة حول محاولات السُلطة استلاب الذاكرة والثقافة الأصيلة للشعب، وفي "صبوات ياسين" يأتي البطل المُثقف مشتتًا بين الإخلاص لمبادئه أو الاستجابة للسلطة، وفي "ليال عربية" هناك المثقف المنعزل والمهزوم.. كيف تشكّل لديك هذا الهم؟

■ **خيري الذهبي: المثقف لا نيّة لديه مطلقاً إلا أن يكون مرآة لشعبه وهموم شعبه، نجد ذلك جلياً في كتابات الكُتَّاب الأوروبيين واللاتينيين والسوفييت... إلخ، فالمناخ العام الذي يعيش فيه الكاتب هو الذي يحدد قضاياه المُلحّة والمصيرية في الكتابة. في "بلدان المَوز العربية" أيّ شخص يفكر أكثر مما ينبغي خارج إطار كلمة "نعم" سيصطدم بقوة بجدار هيمنة الدولة الشمولية، سواء كان أستاذ جامعة أو عالما أو طبيبا أو لاعب كرة قدم، فما بالك بمثقف يقرأ معطيات التاريخ ويحلل الواقع ويبحث في آليات إنقاذ شعبه مما وقع فيه، الكاتب بشكل أو بآخر شاهد علىٰ عصره، ينقل نبض الناس وانكسارات الأمة ويُفلسف وجهة نظره لتصبح وجهة نظر جمعية، وليست فردية، لذلك لا يمكن أن يكون الكاتب منفصلاً عن الأزمة الأولية التي يصاب بها وهي وعي المثقف وعجزه أمام السلطة، لاحظي تجارب الكتاب السوفييت وتجارب الكتاب الأميركيين في نفس الفترة التاريخية، سنجد اختلافاً هائلاً في المواضيع والهموم، فحين نرى رواية "المعلم ومارغريتا" لبولغاكوف المترعة بالرمزية ومناهضة القمع والاستبداد، سنرى مسرح آرثر ميلر وكتابات وليم فولكنر الغارقة في الواقعية الاجتماعية.**

في بلداننا أتمنّى لو كنت أكتب عن مجتمع صحيح ومعافىٰ وعن قضايا واقعية ذات تخييل كبير، ولكن كتب علينا تحرير المثقف قبل تحرير كتاباته، لذلك كان التركيز علىٰ المثقف كرافعة للعمل الإبداعي قبل إكمال التجربة في الأعمال اللاحقة في تعرية مشاكل المجتمع والأمة.

الحضارة السورية

● **الجديد:** تُرسِّخ كتاباتك لتحولات وطنك سورية خلال خمسين عامًا لاسيّما في رواية "لو لم يكن اسمها فاطمة"، أيضًا ثلاثية التحولات: "حسيبة"، "فياض"، "هشام" نجد السؤال المؤرق عن تلك الحضارة القديمة التي انزوت وتوقفت عن العطاء.. ما الإشكالية الرئيسة برأيك التي تحكم الأزمة السورية تاريخيًا وحتىٰ اللحظة الراهنة؟ كيف يمكن إعادة تلك الحضارة الأصيلة إلىٰ رونقها من جديد؟

> **لولا روايات كتاب أميركا اللاتينية لما عرف العالم بهوية سكان البلاد الأصليين وقصصهم وأساطيرهم وهمومهم، ولما وصلنا على الأغلب سوى صدى العولمة الأميركية لديهم**

■ **خيري الذهبي:** مشكلة سوريا الطبيعية، أو بلاد الشام عموماً، والتي ورثتها بعد تقسيم سايكس بيكو، ما سميت لاحقاً بالجمهورية السورية، هي أنها كانت ممراً لصراع الأمم التي تعيش في شرقها وغربها وشمالها وجنوبها، سوريا الطبيعية بلد أنجب حضارات للعالم، أمّة كانت ممن أسهم في تكوين البشرية الأول، ولكن موقعها الجيوسياسي جعلها ساحة للصراع بين الفرس والروم والأناضول ومصر، ولعل تجربة دولة تدمر تدلل الكثير عن الحلم السوري، ولكن الأمة السورية لا تملك من مقومات الأمة/الدولة شيئاً، حدودها غير مُدرَكة مثل مصر أو الجزيرة العربية أو فارس، فيها تعدد عرقي ولغوي وثقافي ودِيني هائل، لذلك كانت كل تجارب الدول التي نهضت فيها تنتهي علىٰ يد الغزاة من جيرانها فيهدمون كل ما بناه السوريون، ولعل الصراع هذا يمتد حتىٰ يومنا، ولا حل لتلك الأزمة إلا بالمواطنة والديمقراطية التي ستحمي حقوق الإنسان السوري وتشجعه علىٰ أن يسهم في بناء بلده بعد عقود من التهميش باسم القومية وشعارات لا دخل للسوريين بها، مغامرات القادة السياسيين الذين أودت بالبلاد إلىٰ المجهول.

في رواية التحولات تحدثت عن ثيمة أساسية، ثيمة فلسفية وفكرية كانت نتاج تأمل وتمحيص في الحال السوري، فنحن في سوريا نعيش في مدن الواحات، أي تلك المدن التي نقضي عمرنا في الارتحال إليها وما هي إلا سراب، مدائن متفرقة متباعدة، ولننتبه إلىٰ أن اسم الثلاثية الأساسي هو التحولات، تلك الكلمة المنحولة من الكلمة الإغريقية "ميتامورفوسيس" أي التناسخات، ببساطة الحضارة العربية المحلية كانت تتناسخ من بعضها البعض دون أيّ تجديد، أو تقدّم أو ولادة حقيقية جديدة، فأوروبا خرجت من الحضارة الإغريقية ومن الرومانية ومن العصور الوسطىٰ الدينية ودخلت في ثورة حقوق الإنسان ومن ثم الثورة الصناعية والتكنولوجية وانتقلت إلىٰ مرحلة جديدة بظهور أميركا، أما الحضارة العربية فقد دخلت المجمدة العثمانية، وبقيت هناك دون أيّ حراك مئات السنين، وأنا هنا ألوم شعوبنا علىٰ سلبيتهم، وعدم إدراكهم لأهمية الزمن والبقاء في خزائن التاريخ.

أمّتنا لن تتقدم إلا حينما ننسى أننا أبناء حضارة عريقة ونقف أمام مستقبلنا بكل وضوح، كفانا تباهيا بتاريخ أجدادنا ولنحاول لمرة واحد صناعة مستقبلنا ومواجهة حاضرنا، ولن يتحقّق ذلك برأيي إلا بدولة المواطنة المدنية التي تفصل الدين عن الدولة وتنتج تلقائياً ديمقراطية تحمي الناس وطموحات الناس، في رواية "لو لم يكن اسمها فاطمة" كانت فكرة المدن الميتة التي هي عليها بلادنا، المدن الميتة التي مر عليها غزاة الشرق والغرب، لن تنتهي هذه الفكرة إلا بقيامة بلادنا بقوانينها التي تحمي الإنسان أولاً وأخيراً.

> **الهوية هي سؤال الرواية في العالم أجمعه، الرواية هي الفن الوحيد الذي يقف في وجه العولمة التي نعيشها اليوم، هي ببساطة محاولة لرواية تاريخ الشعوب وتاريخ البشر للآخر، الرواية المعاصرة هي تاريخ المهزومين، هي ذلك الذي أتاح للمهزوم أن يكتب تاريخاً بديلاً**

سؤال الهوية

● **الجديد:** تنشغل الرواية العربية منذ عقود بسؤال الهوية، وهو سؤال مُلِحّ لديك أيضًا، كيف يمكن أن تُفهم الهوية العربية في الوقت الراهن؟ وإلىٰ أيّ مدى يُمكن التحكم في طبيعة العلاقة مع الآخر والانتقال من موقف الاستلاب والتبعية العمياء التي نخضع لها منذ عقود طويلة؟

■ **خيري الذهبي: الهوية هي سؤال الرواية في العالم أجمعه، الرواية هي الفن الوحيد الذي يقف في وجه العولمة التي نعيشها اليوم، هي ببساطة محاولة لرواية تاريخ الشعوب وتاريخ البشر للآخر، الرواية المعاصرة هي تاريخ المهزومين، هي ذلك الفن الذي أتاح للمهزوم أن يكتب تاريخاً بديلاً، حقيقة أخرى، عالما آخر، أقل وطأة وأقل قسوة من الواقع الذي نعيش فيه، الرواية هي هوية المرأة المهمّشة في العالم، وهي صوت الضعفاء، من هنا تكمن أهمية إيجاد هوية حقيقية للرواية العربية، لولا روايات كتاب أميركا اللاتينية لما عرف العالم بهوية سكان البلاد الأصليين وقصصهم وأساطيرهم وهمومهم، ولما وصلنا علىٰ الأغلب سوى صدى العولمة الأميركية لديهم، كتّابهم أنفسهم يقاومون في سبيل تثبيت هوية تنجرف يومياً، جوزيه ساراماغو هو مسمار قوي أراد تثبيت هوية أيبيريا علىٰ حائط العالم، كذلك كتّاب الهند واليابان وتركيا وروسيا وأوروبا، وحتىٰ كتّاب أميركا العظماء مثل وليم فولكنر وسالنجر، حاولوا إضفاء صفة إنسانية علىٰ بلادهم، صفة تنبض بالحياة بعيداً عن صورة الكولونيالية والعولمة الحديثة، وهنا تكمن أهمية الروائي، الذي يتقاطع مع المؤرخ في تلك الصفة التي ذكرتها، أي كتابة التاريخ البديل عن الرواية الرسمية.**

في رواياتي ستجدين حكاية دمشق خلال مائة عام، وحتىٰ آخر القرن العشرين، متجسدة في رواية "التحولات" مثلاً، وما حصل في سوريا خلال العقد الأخير ستجدينه في رواية "المكتبة السرية والجنرال"، وقبلها ستجدين التاريخ البديل لبيروت الحرب الأهلية اللبنانية في رواية "ليال عربية" والتاريخ البديل لمدينة مثل الرقة مثلاً في "المدينة الأخرى"، ستعرفين أكثر عن فترة إبراهيم باشا في رواية "الإصبع السادسة" ولكن من خلال تاريخ شعبي، جميع أعمالي هي عالم مواز للعالم الذي نعيشه، روايات تتدفق من نبع الموروث الشعبي الذي ينهل من هوية تقاوم من أجل وجودها.

يوميات الأسر

● **الجديد:** في كتابك "من دمشق إلىٰ حيفا.. 300 يوم في الأسر الإسرائيلي" تسرد يومياتك في التنقل ما بين عدد من السجون الإسرائيلية.. كيف تعاطيت مع تلك الفترة من الأسر آنذاك لاسيّما وأنها كانت بعد فترة من الوهن والجرح النرجسي العربي؟

■ **خيري الذهبي: أحداث كتاب "300 يوم في إسرائيل" جرت في العام 1974، أي تقريباً منذ 46 عاماً، وبقيت تلك التجربة أسيرة بداخلي، ولم أجعلها تسيطر علىٰ تفكيري ومحتواي الإبداعي، ولكن بعد نصف قرن تقريباً من الكتابة والعشرات من الكتب والعمل في الأدب والصحافة والدراما والمحاضرات، قررت أن أستعيد تلك التجربة لتكون الشهادة الأولىٰ من كاتب سوري وأعتقد من كاتب عربي، علىٰ تجربة حرب تشرين، ولكن من دون عنتريات وأناشيد تجييشية وقومية، إنها شهادة من الداخل الإسرائيلي الذي يحتل الجولان وفلسطين، علىٰ ما جرى في تلك الحرب الحاسمة بين العرب وإسرائيل، هناك كان الواقع مختلفاً، حيث نبض الحرب يختلف عمن عايش الحرب في دمشق أو القاهرة أو باقي البلدان العربية، دون أناشيد حماسية وخطب رنانة وأكاذيب الإذاعات العربية.**

هناك كنّا كأسرى نرى لأول مرة ما كنا نجهله عن "دولة إسرائيل" كنا نعتقد كما علّمونا في المدارس والإعلام بأن اليهود كائنات شيطانية قادمة من الفضاء، وإذا بنا فجأة وجهاً لوجه مع الأعداء في الأسر، تعرفنا عليهم وعلىٰ قسوتهم في التعامل مع العرب والأسرى عموماً، ولكننا شاهدنا تنظيمهم وعرفت حينها سبب هزيمتنا وسبب انتصارهم علينا، إن أردنا ألا نستمر في الكذب علىٰ أنفسنا وعلىٰ الأمة فيجب علينا معرفة ذلك المحتل لأرضنا عن قرب، ونحدد نقاط قوته، ونعزّز ديمقراطيتنا التي ستمنحنا يوماً ما القدرة علىٰ الوقوف واستعادة ما فاتنا.

هناك في معتقلات حيفا ومجدو واللد، شاهدت الأسرى السوريين والمصريين واللبنانيين والفلسطينيين، وتعرفنا علىٰ اليهود العرب وأسباب تخليهم عن بلدانهم ولجوئهم إلىٰ إسرائيل، تعرفت علىٰ فكرة التخطيط التي اشتغل عليها الإسرائيليون، وعلىٰ مفكريهم السياسيين وعلىٰ سؤالهم المُلحّ الدائم: كيف ترون دولة إسرائيل، وما هي مشاعركم تجاهها. اليوميات داخل المعتقلات الإسرائيلية مترعة بالتفاصيل اليومية التي تعكس كيف كنا نفكر، وربما ما نزال، وبين كيف كانوا هم يفكرون، وغالباً ما يزالون.. إن الصراع إذن هو صراع آليات التفكير بالدرجة الأولىٰ.

الموضوعات في الصفحات 11، 12، 13
تنشر بالاتفاق مع «الجديد» الشهرية الثقافية اللندنية والنص كاملا على الموقع الإلكتروني

العرب
الأحد 2020/03/22
السنة 42 العدد 11654

جدل فرنسي متجدد في المسألة العرقية

المجتمعات المعاصرة تقوم على منظومة تصنيف الطبقة والعرق والدين والجنس

عاد الجدل في فرنسا حول "العرقية"، بعد أن تعاقبت في الأعوام الأخيرة أحداث عديدة، كمطالبة بعض النواب بإلغاء عبارة "عرق" من الدستور الفرنسي، وإدانة اجتماعات نقابية تعقد بين البيض وحدهم، وانتقاد أعمال مسرحية وفنية تعيد إنتاج النمطية العرقية، وصدور حكم قضائي ضد تفتيش البوليس الأهالي بحسب لون بشرتهم. ويهمنا هنا أن نتوقف عند نظرة علماء الاجتماع إلى هذه المسألة، التي لا تكاد تُغمَر إلا لتطفو من جديد.

تتناقض الآراء إلى حد التضارب بصدد فكرة العرق (غرافيك «الجديد»)

أبوبكر العيادي
كاتب تونسي

اكتسى الجدل عن العرق طابع سجال حام في وسائل الإعلام ومنابرها التلفزيونية ليكشف عن خلاف دلالي حول عبارتي "العرق" و"العرقية" بحسب الظروف ووجهات النظر، ولّد أحيانا وصم المتناظرين بعضهم بعضا بالعنصرية. ولكن السجال ما كان ليبلغ ذلك العنف لولا استناده إلى مساءلات سياسية عن جوهر المسألة العرقية في فرنسا، التي تستثير ذاكرة الماضي الكولونيالي، وذاكرة الاسترقاق، وحتى ذاكرة العمالة مع حكومة فيشي، وتطرح سؤال تفرعاتها المعاصرة. فهي تسائل بنية التفاوت الاجتماعي واستمراره حسب مواصفات وترتيبات لا علاقة لها بالجندر وحده ولا بالطبقة فقط، كما تطرح سؤال المسؤولية، فردية كانت أم جماعية أم مؤسساتية، والوسائل القانونية والسياسية واللغوية والفكرية اللازمة لإلغاء الحيف الصارخ في التعامل مع فئات مجتمعية بعينها، سواء في الحصول على السكن أو الشغل أم في استعمال المدرسة كمصعد اجتماعي.

غير أن استقطاب الإعلام لهذا الجدل من زاوية ثنائية متقابلة لا يفي بما في المساجلات العلمية من تعقيد ولا بموقف الباحثين من تلك المواضيع، وهم الذين لم يدّخروا جهدا في تناول هذه المسألة بالدرس والتحليل، يشهد على ذلك تعدد الندوات والدوريات والأعداد الخاصة التي تعالجها من شتى أوجهها.

مغالي بيسون:
الفئات الاجتماعية معنصَرة، أي موضوعة في موضع تبعية أو حظوة

رشيدة إبراهيم:
الجرائم العنصرية حتمت علي استعمال فئة العرق

والسؤال الذي يطرح دائما هو ما المقصود بالعرق بالضبط؟ أما ما يتفرّع عنه فيمكن اختصاره في ما يلي: كيف يمكن استعمال الفئات العرقية في بحوث العلوم الاجتماعية بشكل لا يؤدي إلى تصنيف الظواهر التي تلاحظها؟ وما وضع العرق في علاقته بفئات أخرى من المجتمع؟ وهل العرقية ناتجة عن أفراد سيئي القصد والطوية أم هي تندرج في بنية المجتمع؟ وهل يمكن دراسة العرق بمعزل عن الاعتبارات السياسية والنضالية؟

الملاحظ أن استعمالات عبارة "عرق" في العلوم الاجتماعية تختلف عن مفهومها في الأيديولوجيا العنصرية، فلئن ادّعى النازيون مثلا أن العرق الآري أرقى من بقية الأعراق، ودعموا مزاعمهم ببحوث شبه علمية، فإن منظمة اليونسكو فنّدت ذلك منذ عام 1949 واستندت إلى علماء ومفكرين مثل كلود ليفي ستراوس أثبتوا وحدة جينات الكائن البشري بنسبة 99.9 بالمئة، ولكن العرق كحاجز متخيل بين الجماعات لم يَزُل.

تقول عالمة الاجتماع كوليت غِيّومان "مفهوم العرق هو أداة قتل، وسيلة تقنية للقتل، وفعاليته مشهود بها. فهو وسيلة لعقلنة العنف القاتل وتنظيمه بشكل يخلق هيمنة فئات اجتماعية قوية على فئات اجتماعية أخرى مستضعفة". ومن ثَمّ، فإن العلوم الاجتماعية لا يمكن أن تتجاهل هذا المفهوم، ليس بهدف إجراء تحديد مسبق للأعراق وإنما بغية تلمّس الطريقة التي ينظر بها كل مجتمع إلى "الآخرين"، كالسود والعرب والغجر، ويضفي عليهم سمات متناسقة ومتواصلة تعمل على جوهرتهم. وبسبب انحرافها القاتل، تطوّرت هذه الظاهرة لتأخذ أشكال تعبير مغايرة تجد القبول في الديمقراطيات الغربية. فقد تراجعت القوالب النمطية الفجة التي تزعم دونية العرب والسود جسديا وأخلاقيا، ولكن حلّت محلها عنصرية توصف بالـ"رمزية" تقوم على الاختلافات الثقافية والاجتماعية المزعومة، وصار ينظر إليهم كفئات لا تحترم قيم البلاد التقليدية ويحمّلونها تردي أوضاعهم الاجتماعية. ولئن غابت العنصرية في الخطاب المباشر بحكم القانون، فإنها لا تزال تتبدى في السلوك اليومي، من خلال التضييق في مجالات الشغل والسكن والعلاج، وفي عمليات التفتيش والمراقبة، وحتى في المُزح ونظرات الاحتقار.

للتمييز بين الـ"عرق" لدى العنصري والـ"عرق" لدى عالم الاجتماع، اقترحت كوليت غيّومان منذ مطلع السبعينات في كتاب "الأيديولوجيا العنصرية" استعمال مصطلح "عَنصرة" (racisation) كوسيلة للتعامل مع العرق بوصفه حصيلة مسعى يضع فئة مجتمعية في خانة غيرية ودونية تُضفى عليها جملة من الخصائص يقال إنها موروثة، فيخلق المجتمع من خلال عملية اشتغاله نفسها ما تسميه "مُعنصَرين". وبذلك لا تكون الأعراق معطى طبيعيا لا يقبل التغيير، بل نتاجات اجتماعية لها موقعها من التاريخ، متباينة عن بعضها بعضا، ومتحوّلة، ما يجعل فئة "معنصَرة" تغادر وضعها، وأخرى غير "معنصرة" تغدو مع الأيام كذلك. غير أن دراسة مسارات الإنتاج، في ظرف ما، لا تخلو من مخاطر. أول تلك المخاطر مرتبط بشروط تلقي مثل تلك الدراسات، فالحذر المنهجي والمعقّفات والهوامش أسفل الصفحة لا تظهر في وسائل الإعلام المسموعة والمرئية، ما يعطي انطباعا عكسيا، إذ يوضع العرب والسود في خانة يحاول بعضهم تلطيفها باستعمال مصطلح "غير البيض".

وثاني تلك المخاطر هو التوسل بها لغايات سياسية، كما فعل ساركوزي عندما لجأ إلى باحثين في العلوم الاجتماعية ليضفي على سياسة استقبال المهاجرين أبعادا إثنية عرقية.

وقد بيّن الأنثروبولوجي أري غورديان أن باحثين في العلوم الإنسانية والاجتماعية درسوا منذ نهاية الحرب العالمية الثانية كيف ظهرت، خصوصا في المرحلة الكولونيالية، فكرةُ مفادها أن الإنسانية ستكون مقسّمة إلى مجموعات ثقافية وبيولوجية متباينة وغير متساوية، وأوضحوا الكيفية التي يعاد بواسطتها إنتاج المعاملات غير المتكافئة والعنف الشامل وأشكال الإقصاء المرتبطة بتلك الفكرة. وقد جُعل صنف العرق ومشتقاته في الغالب بين معقفين لتسمية تلك الظواهر وتحليلها، والغاية لم تكن إعادة الاعتبار للنظريات والأيديولوجيات العنصرية، وإنما تفكيك الفكر العنصري وخطابه، بشرح الميكانيزمات الاجتماعية والثقافية والسياسية التي تهدف إلى الإقصاء عن طريق التحديد العرقي.

ولكن حتى عندما يقع تحديد العرق كبنية اجتماعية، فإن العبارة نفسها هي التي لا تزال تستعمل لدى الأكاديميين، برغم تداولها تاريخيا كمبرر لاستعباد مجموعات بشرية والهيمنة عليها وإبادتها. وطالما أن المعنى الذين يطلقه الجامعيون على فئة العرق محدد بوضوح، فإن استعماله مشروع، لأن تحديد المفاهيم جزء لا يتجزأ من مسار الكتابة الأكاديمية.

وإذا كان الجدل لا يخصّ الجامعيين وحدهم، فلأن السياسيين هم الذين يدفعون الباحثين إلى تناول هذه الظواهر الاجتماعية بالدرس.

> «مفهوم العرق هو أداة قتل، وسيلة تقنية للقتل، وفعاليته مشهود بها. فهو وسيلة لعقلنة العنف القاتل وتنظيمه بشكل يخلق هيمنة فئات اجتماعية قوية على فئات اجتماعية أخرى مستضعفة»

نفس الموقف تتبناه عالمة الاجتماع رشيدة إبراهيم، إذ تعتبر أن بحثها في الجرائم العنصرية التي طالت المهاجرين المغاربيين وأبناءهم ما بين 1970 و1990 حتّمت عليها استعمال فئة العرق، لأن الضحايا ينتمون إلى مجموعة تتميز بسمات توحّدها، من حيث النوع والطبقة والعرق. ولو أنها تعرّف العرق بكونه ما يسبق وما يتبع مصير الفرد اجتماعيًا دون أن يكون قد تَمثل ذاته بالضرورة وفق هذه المواصفات، وما هي إلا جملة من الملامح البدنية والثقافية أضفيت عليها قيمة سلبية، في عملية وصم تسمح بفرز أفراد تلك المجموعة واستنقاصهم. ولا مناص في رأيها من استحضار العرق لوضعه في إطار فكري يسمح بإبراز العنف المسلّط على أجساد تحاول التنقل في أماكن فاقدة للإنسانية بضواحي المدن، وفي الأحياء والمنازل والمصانع ومخافر الشرطة والمراكز الحدودية؛ ومن الاقتناع بأن الفئات الاجتماعية، من تجارة العبيد الأفارقة إلى الهجرات الأحدث عهدا مرورا بتوسع الإمبراطورية الكولونيالية، كانت ولا تزال أحد الوجوه الكبرى للتفرقة الاجتماعية في الفترة الحديثة والمعاصرة. ولا تزال تلك الفئات عرضة للشك في شرعية وجودها، لأن الكشف عنها يناقض صراحة الفكرة الرائجة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية بأن الأعراق لا وجود لها. فتكرار هذه المقولة بشكل ممل لا يكفي لإلغاء بناء الفئات العنصرية، لسبب بسيط وهو أن العرق ليس مرده إلى فكر أيديولوجي فقط، وإنما هو أيضا معيار تصنيف يساهم في إقامة النظام الاجتماعي، من خلاله تُحدّد علاقات النفوذ والتمتعُ بالموارد والسيرورةُ البيوغرافية. وأمام الجدل الصاخب حول المصطلح واستعمالاته، صارت رشيدة إبراهيم تفضل مصطلح "الإثنية"، لأنه يبرز بوضوح عملية الصدّ التي تنبني على المعايير الثقافية والملامح البدنية للأفراد.

أما مغالي بيسون، الأستاذة بمعهد العلوم القانونية والفلسفية التابع للسوربون، فتعتقد أن فئة العرق هي حصيلة نوع خاص من العلاقة السوسيوسياسية والاقتصادية أنتج مجموعات معنصَرة، وأن محتوى الفئة مرهون بالقيمة السياسية التي تُضفى على تلك العلاقة في ظرف محدّد، وهو محتوى متغير في الفضاء والزمن.

وفي رأيها أن التحديد العملي الذي يمكن أن نعطيه للعرق يحيل على مسار بناء علاقات ظرفية أكثر من كونه محتوى جوهريا، فالفئات الاجتماعية، شئنا أم أبينا، معنصَرة، أي موضوعة في موضع تبعية أو حظوة في عدة مجالات اجتماعية وقضائية وسياسية واقتصادية، والفرق أن ذوي الحظوة يمتازون بكونهم لا ينظر إليهم من جهة عرقهم، وينتفعون بالموارد الاجتماعية والسياسية والإبستيمية للعنصرة.

ما يميز هذا المسار عن غيره من ظواهر إنتاج الغُبن أو الحظوة أن المجموعات المعنصَرة تنبني عبر عاملين: استدلال بدني (فالانتماء العرقي يُلاحظ أو يُتخيّل أو يُضفى على الأجساد)؛ وإدراج تلك السمات الجسدية في بنوّة أو إرث قديم بيولوجي أو ثقافي، أي أن الجماعات المعنصرة هي كذلك بسبب تجليها (الواقعي أو المتخيل) وجينالوجياها. ومن ثَمّ، يغدو استعمال فئة العرق مفيدا لأنها تسمح بإبراز بناء هذا الموقف المخصوص ودراسة آلياته وآثاره الاجتماعية.

وأمّا الباحثة غوانائيل كالفيس، أستاذة القانون، فترى أن استعمال مفهوم العرقية المؤسساتية غالبا ما يكون محلّ انتقاد، بدعوى أن القوانين الفرنسية لا تنص على الإقصاء العرقي، غير أن هذا الانتقاد يتجاهل معنى المفهوم وأصله، فقد نظّر له مناضلو الحركة الراديكالية الأفريقية الأميركية "بلاك باور" في ستينات القرن الماضي، وكانوا يحتجون بأن جملة من السلوكات والعلاقات الاجتماعية تصنع منظومة وتساهم في تعطيل الصعود الاجتماعي للأفارقة الأميركان. وبذلك اكتسبت تلك الظواهر قيمة مؤسساتية في غياب قوانين رادعة. وسواء استعملنا عبارة "عرق" بمعقفين أو من دونهما، أو فضلنا عليها عبارة "إثنية" المقبولة أحيانا، فإننا لا يمكن أن ننسى أن ثمة في فرنسا تحفّظا عن تناول هذه الثيمات باسم كونية القيم الجمهورية، فطالما طُرح الجدل بشكل مختل، تحت زاوية عدم اندماج المهاجرين، كما بيّن عالما الاجتماع الأميركي أليك هارغريفز، والفرنسي ديدييه فاسّان، وقد كان للاعتراف بالميز العنصري المسلط على فرنسيين يُنظر إليهم كأجانب أو من أصول أجنبية أثرٌ كبير في تغير طريقة تناول هذه المسألة منذ التسعينات، سواء من خلال مطالبات الهيئة التمثيلية لجمعيات السود في فرنسا، وأحداث الضواحي عام 2005، وظهور جمعيات مناهضة للعنصرية، أو من خلال التركيز على الإسلام والمسلمين كممثلين لغيرية مهدِّدة عقب الأعمال الإرهابية التي ضربت فرنسا.

إن التفاوت الاجتماعي ناتج عن سيرورة معقدة، لأن المجتمعات المعاصرة تقوم على منظومة تصنيف، وفق معايير كالطبقة والجندر والعرق والدين والميول الجنسية وحتى السنّ، تضع الأفراد في مجموعات لا تتمتع كلها بنفس الحقوق والمنافع والخدمات المتوافرة. والعرق، كسائر المعايير الأخرى، يسمح بإقامة حدود بين الفئات الاجتماعية، وكلما ازدادت معايير الإقصاء لدى فرد ازدادت فرصُ وقوعه ضحيةً للحيف في مختلف مجالات الحياة. ما يؤكد وجود عنصرية بنيوية، أي نظامية ومؤسساتية تساهم في خلق بنية تفاوت في المجتمع. هذه العنصرية يمكن تحديدها كترتيب منهجي، بفضله يمكن للمعايير القائمة على الممارسات والتمثلات الثقافية أن تُنتِج الفئات الإثنية والعرقية وتكريسها.

لقد اختارت الدولة الفرنسية تجنب مجابهة المسألة العرقية وإلغاء عبارة "عرق" من ديباجة دستورها، ولكن أيديولوجيا الجمهورية ليست مهددة من قبل هذا الوعي المتنامي بوجود مسألة عرقية أكثر مما هي مهددة بأشكال التفاوت الاجتماعي، فمنذ نهاية المرحلة الاستعمارية، وقع الربط بانتظام بين الأفراد من ذوي الملامح الجسدية والثقافية الخاصة وبين المشاكل الاجتماعية كالسكن والبطالة وانعدام الأمن، وساهم الخطاب السياسي والإعلامي في تثبيت سلسلة من المحددات لتصنيف المسألة العرقية، إما بتهويل مسألة الهجرة، أو بالتأكيد على الفوارق التي لا يمكن طمسها أو تجاوزها بين السود والعرب من جهة، وبين الأوروبيين بعامة والفرنسيين بخاصة. ومن التناقض أن تعترف الدولة بوجود هذا الوعي وتندد في الوقت نفسه بالمطالب الملحة لإقرار العدل والمساواة، تلك المطالب التي ترفعها شريحة من شرائح مجتمعية ما انفكت تشعر بالإقصاء.

كوليت غِيّومان:
الأعراق ليست معطى طبيعيا، بل نتاجات اجتماعية، متباينة ومتغيرة

غوانائيل كالفيس :
في فرنسا تحفّظٌ عن تناول العرقية باسم كونية القيم الجمهورية

لوحة للفنانة فاليريا أمير

العرب
الأحد 2020/03/22
السنة 42 العدد 11654

في البدء كان الارتحال: رحّالة ليبية منسية

اليوميات المبكرة للرحالات الليبيات وضعت على إثر مغامرات عوائلهن في الهروب من الفاشية

لم يكف منظرو الفلسفة والاجتماع متأملين في مقاربة "الإنسان" وتقابله مع من قاسمه العيش المشترك ومن محيطه الأقرب، فوفق معطيات وتعليلات، تبريرية مُقرنة، جرى وصف أنه حيوان ناطق / مكاني / اجتماعي/ سياسي (أرسطو)، حيوان رامز (كاسيرار)، وحيوان مدني بالطبع (ابن خلدون)، حيوان أيدولوجي (نيتشه)، حيوان ميتافيزيقي (شوبنهاور)، فهل يُجاز لنا أن نضيف (حيوان رحلي)، كون الخصيصة البشرية في التنقل من مكان إلى آخر كانت عنوانه وديدن عيشه الحياة، توازى الإنسان مع الحيوان مرتحلا بحثا عمّا يسد رمقه كلأ ومرعى، فهل كان الإنسان حيوانا مرتحلا قبل أن يصير الناطق، الاجتماعي، الرامز، المدني، الأيديولوجي، وغير ذلك. وهل لنا نفي أنه في ترحاله القريب والبعيد شكل خبراته، وتكشف معارفه، ووجهها كلما أشبع حواسه بما حوله من الطبيعة، وتواصل مع صنوه الإنسان تارة صديقا، وتارة عدوا يصارعه على المرعى، والأنثى.

فاطمة غندور
كاتبة وباحثة ليبية

خديجة عبدالقادر الشريف من أوائل الرحلات العربيات (غرافيك «الجديد»)

احتلت الرحلة بين الأسطورة والواقع التدوين، فصل ذلك "الترحال" العام، عن الترحال الخاص، العام مبتدأ فعل البشرية، الخاص الذي هو قرار بمحض الإرادة للمرتحل / الرحالة، في إحالة لما سيسمى تصنيفا أدب رحلات، وهو أيضا سيشهد تصنيفا أو تمييزا نوعيا، كأن نشير بتوصيف السندباد للرحالة (الأسطوري) شاهد الأعاجيب والخوارق الطالع من سيرة ألف ليلة وليلة، كما من فم المارد، والحوت الأزرق، فيما يصير توصيف ابن بطوطة (المغربي) لرأي العين، والانطباعات ذات الموثوقية، حتى وإن أخطأت تأويل مشاهداتها، ابن بطوطة من سيكتب أن زوجته الهندية رفضت الرحلة معه فطلقها بعد عشرة ثماني سنوات في بلدها، لكنهُ يَحيطها ويحيطنا بزوجات مرتحلات لا يفارقن أزواجهن عند السفر.

الرّحالة المشافهة

عني التراث العربي والعالمي بأدبيات الرحلة والرحالة، وهيمنت مدونات الرحالة الرجل، وغابت الرّحالة، فيما جرى تعليله بأن الأنثى / المرأة كائن ينحو الى الاستقرار، وهي الأصل في ذلك مع مبتدأ مجتمعات رعوية وزراعية، هو يرحل، وهي تستقر، ووسمت بالأرض، والوطن، والبذرة والحاضنة، وأنها الأصل في خلق ودوام الحياة بالمكان، غير أن ما يلفت الانتباه، ويطرح السؤال، لما أشيع أن المرتحل ذكر منفرد دوما؟ ألم ترافقه امرأته؟ على ذلك هي قسيمه في رحله أينما حل، الانتقال من مكان إلى آخر ظاهرة حياتية ظلت عنوانا لمجتمع البداوة، فهل انحازت هي للشفاهي فكانت الساردة (الراوية)، وصار هو المدون، فحفظت لنا تلك المخطوطات والرقن، وذرت الرياح ما باحت به شفاههن، أليست شهرزاد الحكاية مرتحلة ببقاع بغداد، والهند، ومصر، وتجيد وصف أناسها كما ميزاتها عمرانا وثراء وأعاجيب للناظر، هو إذن في جانب منه صراع الشفاهي (الأنوثة)، مع الكتابي (الذكورة)، إلى أن يحط على الورق كضمان ومصداقية لأيّ أرث يتوارث، المرتحل الذي يدخل إضبارة التاريخ وذاكرته، من يدون ويُعلم الآخرين، ومن ارتحل وسكن لن يُعترف برحله، النساء ضمن هذه المعايرة والقياس.

> **مفردة الهجرة رحلة وعودة، خصيصةٌ ستجعل من المهاجرات الليبيات رفقة عوائلهن هربا من الفاشية الإيطالية مع مطلع القرن العشرين، علامة تاريخية فارقة لمن برزن كفاعلات في تاريخ نهضة النساء**

ولعل الباحث في مدونة الرحلات لن يعدم بالقطع وجود المرأة في مدونات الرحالة خاصة ما تعلق بأدائها شعائر الحج كسيرة رحلة السيدة عائشة ورفيقاتها، أو رحل المهمة والدور السياسي كالحاكمة قوت القلوب، وهي تغادر مصر إلى بغداد، وفي العصر الحديث تبرز سالمة بنت سعيد بن سلطان الأميرة (البرنسيس إميلي روث) التي تزوجت ألمانيا، وكتبت "مذكرات أميرة عربية" في عرض ليوميات ترحالها من زنجبار، إلى إسبانيا، ثم ألمانيا ولندن.

تاء التأنيث تجوبُ ليبيا

في المدونة الرحلية عن ليبيا تحضر الرّحالات في زمن بين قرنين، ولعل اللافت فيما أتيح مما ترجم ولم يترجم، أنهن رحالات مُرافقات أو قريبات، ممن عملوا بسلك دبلوماسي سياسي، نموذجهن أقدمه، وأشهره أيضا، كمرجعية عن جغرافيا محددة هي مدينة طرابلس وضواحيها، "مس توللي" وهي شقيقة القنصل الإنجليزي ريتشارد توللي الذي مارس عمله في ولاية طرابلس، كتابها "عشر سنوات في إيالة طرابلس 1773 – 1783" ، بمتنه الذي يقارب الخمسمئة صفحة، يمثل مخزونا أنثربولوجيا، سوسيولوجيا، وكشفا لمسكوت عنه، إذ وثّقت لأحداث ووقائع هي تفاصيل حكايا صراع بلاط القصر للأسرة القرهمانلي، الولاة من حكموا على التوالي حسن، أحمد، يوسف ووالدتهم للأحلومة، وعلاقتهم بزوجاتهم، وعالم الجواري وخدورهن، "توللي" عايشت عادات وتقاليد، ومناسبات المكان أفراحا وأحزانا، وسجلت رصدها لأمراض أضرت الحرث والنسل، وسلوكيات أفراد السلطة، ورجل الشارع، ونساء المدينة القديمة.

أما مدونة رحلة الهولندية السيدة فان فرجيل "ست سنوات في طرابلس على الساحل المغاربي (1827 – 1833) فسيتكفل زوج ابنتها القس بيرك بجمع ونشر ما وثقته في إقامتها رفقة زوجها الدبلوماسي، القنصل الهولندي بطرابلس كليفورد كوك بروجيل، يوميات الأحداث الموصوفة بقلمها تدور نهاية العهد القرهمانلي، وبداية العهد العثماني الثاني، وما تضيفه فإن الهولندية عن مس توللي الإنجليزية، نشرها لتفاصيل العلاقة السياسية بين القناصل الأوروبيين والقصر الحاكم، وأدوار سفارات الدول وتنافسها في مسار تلك العلاقات، ولعل ذلك بسبب مقاربتها لوقائع مست سياسات المرحلة الانتقالية بين عهدين.

رحالة الصحراء الأولى أوروبيا كامرأة، الكاتبة الإنجليزية روزيتا فوربس (1890 – 1967) والتي حظي كتابها الأول "سر الصحراء الكبرى: الكفرة " جنوب شرق ليبيا (1920 – 1921) بأكثر من ترجمة، كان أول رَحَلِها مع زوجها الى الهند وأستراليا، وبعد انفصالها عنه (1917) خططت للسفر على ظهر جمل، فاتحة عينها على وجهة أخرى الصحراء الكبرى، مرافقة للرحالة المصري أحمد حسانين باشا، وهي من شهدت أن لأهل الصحراء كرما مفارقا، نموذج ذلك ما درجه ساكنوها على منح فراش النوم، رفقة الطعام، والشاي، لكل ضيف عابر أو مقيم، ستعتني روزيتا بتدوين العادات والتقاليد، والأطعمة، والملابس التي ستنتقي زيا منها، وتصير أشهر صورها التي تُعرّف العالمَ بها لتبدو كامرأة عربية، وفي صورها ما يدلل على اندماجها في المحيط، وعيشها الواقع بما هو عليه، فما أعجبها أولا مفردات تعلمت نطقها وحفظتها ورددتها: تفضل، وكيف حالك، طيب،.. روزيتا ستنطلق مرتحلة وكأنها تحقق مشروع حياتها كرحالة في بلدان أفريقية، وآسيوية وأميركية، وستتوالى كتبها مضمنة سيرة رحلاتها تباعا، وستنجز كتابا مختصا عن قصص نساء قابلتهن في مجموع رحلاتها، وستعنونه " نساء يُدعين جامحات"، وفي أثرها معادل لهن. وكنت في دراسة أنثربولوجية عن واحة صحراوية بجنوب ليبيا (براك / الشاطي) طالعتُ كتابا بالإيطالية (إلى فزّان) صدر عام 1932 م، لرحالة جابت واحات متعددة والتقطت صورا مثلت نوادر ما التقط لتلك الجغرافيا، بل وتتفوق بكادرها، عنايةً مشهديةً فرجوية قياسا برحالة عبروا ليبيا مع مبتدأ القرن العشرين لم يهتموا كثيرا بالصورة، وثقت ذلك الإيطالية أونورينا بتروتشي زوجة الضباط الإيطالي الموظف بالقلعة العسكرية الجنوبية إبّان الاستعمار الإيطالي، ستنزل معه بقلعة براك / الشاطئ المركز الإداري لشريط واحات الجنوب، ثم تركب حصانها وتسوح الواحات (صحراء جنوب غرب) واحة واحة، ومنها: آقار، برقن، براك، أدري، وما ميز كتابها والذي لم يترجم إلى العربية إلى يومنا هذا، هو كمّ الصور التي حفظت لأجيال لاحقة مناظر لم يعد لها أثر، ورحل معاصروها، كعيون الماء الجوفية وكثافة غابات النخيل وأماكن تعليم الأطفال وهي غرفة ملاصقة للجامع، كما أظهرت نساء خرجن مترافقات يحملن حطبا على رؤوسهن يتحركن بحرية في مساحة واسعة من المكان، وصورهن تظهر ملامحهن بوضوح، حين قمت بترجمة بعض من صفحات الكتاب، لفتتني الكتابة الشاعرية التي وصفت بها ليل الواحة وخرير المياه العذبة، بل إنها كتبت عن اكتشافها لما لم تعرفه قبلا "أن للضفادع إذا ما تجمعت معزوفتها التي تؤنس وحدة قمر ليل الواحة"!.

الرحالة والكاتبة البريطانية المولعة بالشرق روزيتا فوربس (1890-1967)

رحلات الرائدات الليبيات

مفردة الهجرة رحلة وعودة، خصيصةٌ ستجعل من المهاجرات الليبيات رفقة عوائلهن هربا من الفاشية الإيطالية مع مطلع القرن العشرين، علامة تاريخية فارقة لمن برزن كفاعلات في تاريخ نهضة النساء، إذ سيرجعن مؤهلات بالشهادات المتوسطة والعليا من بلدان أتيحت فيها فرص التعلم عندما كانت ليبيا ترزح تحت احتلال إيطالي في العقد الأول من القرن العشرين، جغرافيتها ساحة معتقلات، وإعدام صوري جماعي، ونفي إلى جزر إيطالية وقد مات أغلبهم في البحر، المرتحلات العائدات، الرائدات، كنّ مؤسسات وداعيات لولوج أبواب العلم والمعرفة، والعمل المتخصص، والمجتمع الأهلي والمدني، المعلمة جميلة الأزمرلي، والممثلة المسرحية سعاد الحداد عادتا من دمشق، صالحة ظافر من المدينة المنورة، ثم روما، تسنى السفر أيضا لبعض من الليبيات في مدن المراكز للدراسة والعمل، ففي عام 1912 كانت الشابة حميدة العنيزي قد التحقت من بنغازي بمعهد المعلمات المسلمات بتركيا قاطعة رحلة مخرت عباب البحر مع والدها، لكن سفرها اللاحق مترددة على مصر في الأربعينات ستقطعه وحيدة، وفي إحداها ستجلب معلمات لأول مدرسة رسمية للبنات عقب الحرب العالمية الثانية (1946م)، وفي ذات هذا العقد ستقفل فتحية عاشور عائدة من جامعة القاهرة بشهادة في اللغة والأدب الإنجليزي ما سيؤهلها بجدارة لتصير أول مديرة لمدرسة بقلب مدينة درنة (شرق ليبيا)، والتي سيذكرها المؤرخ اللبناني نقولا زيادة في رسائل لزوجته مضمنة بكتابه "رسائل من برقة" (برقة الولاية التي عمل بها نائب مدير المعارف). ولن ننسى رباب أدهم، وماجدة المبروك اللتين كانت وجهتهما الجامعة الأميركية في بيروت (1958،1959م)، وستدون رباب سيرتها ورحلها التعليمي والحياتي في كتابها (دروب في الحياة – 2012) فهي ابنة المرتحلين أبا عن جد، ولها منه نصيب ولادة، ونشأة، وسني شبابها، من إسطنبول إلى سوريا، ثم الأردن، فبيروت، فمصر وإيطاليا.

رحالة منسية

لكن الرحالة المدونة منتصف القرن المنصرم "خديجة عبد القادر الشريف"، أصيلة طرابلس القديمة، الشابة العشرينية، من ستركب طائرة إلى القاهرة مفردة في أول ترحالها عام 1956م، كان محيطها ينظر للمرأة بعين الريبة وكيل التهم، فمع أول عقد استقلال البلاد بجهود واعتراف دوليين، ومعافرة آباء مؤسسين، بأن لا رجعة دون وطن موحد الولايات، ومتخلص من هيمنة إدارية استعمارية، حاذتها أوضاع مخلخلة هشة هي ارتدادات، نتاجها شعب تقاذفه المرض والجوع والفقر والأمية، وفي رصد لعدد المتعلمين من الذكور في خمسينات أول الاستقلال (1951) عُدوا بضعة عشرات نتاج مدارس محلية وتعليم إيطالي، ولن تعرف ليبيا مؤسسة "الجامعة" حتى مضيّ سنوات من استقلالها.

> **في المدونة الرحلية عن ليبيا تحضر الرّحالات في زمن بين قرنين، ولعل اللافت فيما أتيح مما ترجم ولم يترجم، أنهن رحالات مُرافقات أو قريبات، ممن عملوا بسلك دبلوماسي سياسي**

خديجة ولدت عام 1938م ببيت كان يقطنه وال عثماني قبل قرن من ولادتها فيه برحاب المدينة القديمة، والدها التاجر عبدالقادر الشريف، ووالدتها "فاطمة "، تيمة أشعار ابنها الشاعر المجدد الحداثوي الموسوم في مدونة ببيلوغرافيا الشعراء الليبيين، بشاعر الحب، والشباب، والوردة الحمراء، علي صدقي (اسمه مركب)، المناضل والمحامي، وشخصيته كما شعره أثارا جدلا فهو من حاملي مشعل الخلود وأن لا فناء لشاعر، وهو الذي بدعمه ودفعه بل إيمانه بقضية تحرر المرأة من ربقة التقاليد والعزلة سيجعل من أختيه (زينب، وخديجة)، ثم ابنتيه (أحلام، وتماضر) نماذج ريادية في مجالات العلم والأدب والعمل المدني.

العرب
الأحد 2020/03/22
السنة 42 العدد 11654

أساطير معاصرة عن القلب

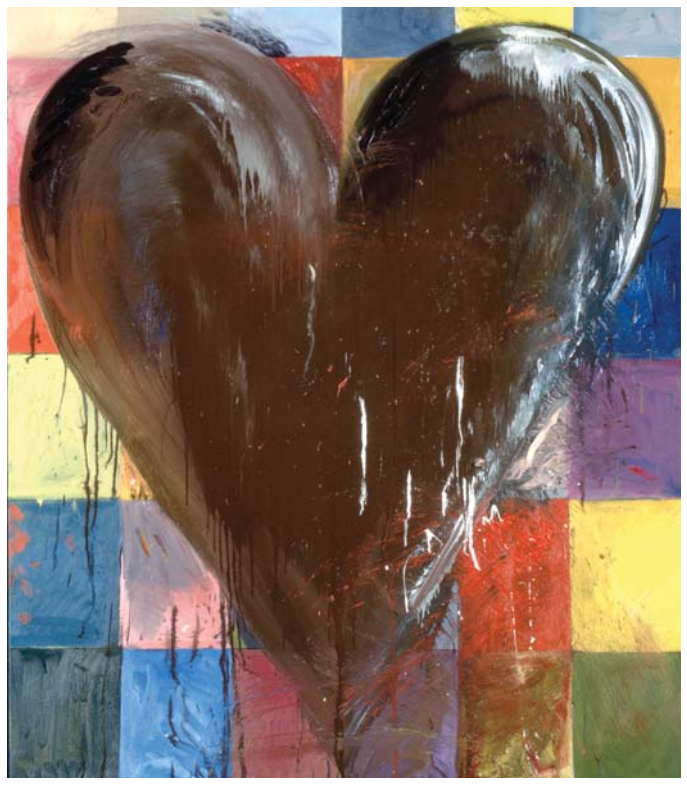

الحنين إلى حبّ ضائع

تحوّلات «القلب» وآلامه

متحف الحياة الرومانسيّة في باريس وأشكال المعاصرة

لا يُمكن أن نعرف بدقّة من أين أتى شكل القلب الحالي ضمن التمثيلات الثقافيّة والفنيّة، البعض يرى أنه ظهر للمرة الأولى في مخطوطة لمؤلف مجهول من القرن الثالث العشر، في حين يرى البعض الآخر أن الرمز يعود إلى ديونوسوس إله الخمر والخصوبة والمرح، هذا الاختلاف في تأريخ الرمز الشهير سببه أن الشكل المتداول الآن، لا يشبه القلب البشريّ من الناحية التشريحيّة، لكن أكثر التّفسيرات إثارة للمخيّلة، تقول إنه رمز يجمع مناطق اللذة في الجسد المؤنث، تصوّرٌ يبدو متحيزاً، لكنه كان مُرضيًا لمخيلة العصور الوسطى، التي اعتمد أطباؤها أيضاً تفسير أرسطو لشكل القلب، بوصفه يتألف من ثلاث حجرات، تتوزع فيها الشهوة والعاطفة والحياة.

عمار المأمون
كاتب سوري

يَستَضيف متحف الحياة الرومانسيّة في باريس معرضاً بعنوان "قلوب"، ونشاهد فيه أربعين عملاً معاصراً لثلاثين فناناً من جنسيات متنوعة تجمع بينهم محاولة الإحاطة بتمثيلات "القلب" بوصفه رمزاً للرومانسية، والحبّ المعذّب، والعطاء بين الحبيبين الذي قد يصل حد التمثيل بالذات والأذى الجسديّ، وهذا نكتشفه في أقسام المعرض التي يجسّد كل واحدة منها نوعاً مختلفاً من العواطف المرتبطة بالحبّ وشكل القلب حين يمتلئ بها.

يتناول القسم الأول من المعرض القلب بشكله الطبيّ، بوصفه محرك الحياة والشكل الماديّ لاستمرارها، بالإضافة إلى الإشارة إلى ما يختزنه من قيم رمزيّة ترتبط بدوره في "ضخّ" الحياة في الجسد، هذا الاحتفاء بعضويّة القلب نشاهده في منحوتة بورسلانيّة لجورج أورتا تجسّد قلباً بشريّاً لَمّاعاً يُخاطب متخيلنا عن إتقان القلب لمهمته دون الإشارة إلى شكله الحقيقيّ الممتلئ دماً وأنسجة وشرايين، لكن ما يلفت الانتباه أكثر هو لوحة أودا جاون التي تعيد فيها إنتاج صورة تقليدية من التراث الفرعونيّ، إذ نرى مجموعة من الكائنات الهجينة ترتدي ثياباً طبيّة وتستخرج قلباً بشرياً من جسد مّا في سبيل فهمه ومعرفة أسرار الروح التي يختزنها.

> **ما يلفت الانتباه في المعرض تلك الأعمال التي تعكس هشاشة «القلب» من الناحية العاطفيّة خصوصاً إن كُسر وترك وحيداً في حال رحل الحبيب أو تلاشى**

فضاء المشاعر المتباينة

نتعرف في القسم الثاني من المعرض على تخيلات الفنانين عن قلوبهم وما تحويه من مشاعر وتقلبات عاطفيّة تتحول إلى رسوم وتشكيلات شديدة التنوع، كما في لوحة لنيكي سانت فالية، والتي تبدو للوهلة الأولى بسيطة وطفوليّة، لكن بعد تأملها نكتشف أنها تحوي كل ما تحبّ وتكره، وكأن القلب عالمٌ نقيّ، يختزن العواطف والتقلبات اللامنطقيّة دون أن يقدّم أيّ تفسير، وهذا ما نراه أيضاً في لوحة لأوكا ليلي بعنوان "جرح كالضباب بالنسبة إلى الشمس" والتي تقارب فيها الأيقونات الدينية بصورة سوريالية، فعوضاً عن أن تكون ليلي مُعلّقة على عامود بانتظار أن يخترق السهم قلبها كالقديس سيباستيان، نراها تجلس على طاولة أمامها دجاجة اخترقها سهم أخطأ قلبها المكشوف والمستعد للموت، وكأن الحظ منحها حياة جديدة وحباً جديداً.

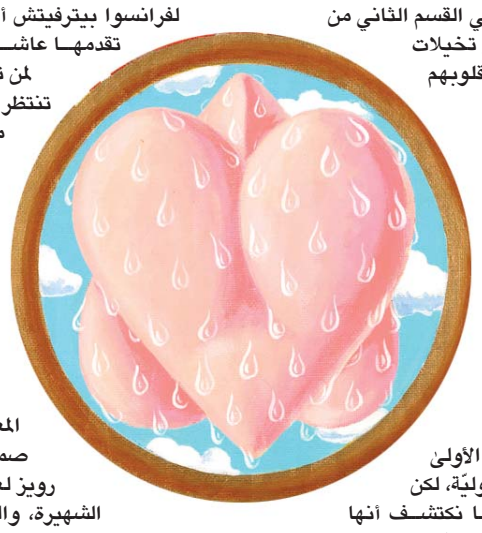

يتتبع المعرض تحولات القلب كتعبير عالمي عن المشاعر، هو أيقونة تتحرك بين الفن التشكيلي والزخرفة و تصميم الأزياء، إذ نراه في لوحة لفرانسوا بيترفيتش أشبه بهدية تقدمها عاشقة مجهولة لمن تحب، هدية تنتظر أن يلتقفها من تختاره، لكن هذا القلب يحوي أيضاً خصائص جماليّة شكليّة نراها في أحد المعاطف التي صممتها آغاثا رويز لعلامة برادا الشهيرة، والقلب أيضاً علامة على الحب التراجيديّ كما في لوحة لجيم داين التي نرى فيها قلباً شاحباً تسيل ألوانه، مُهدى إلى امرأة اسمها إيرين يتمنى لها الفنان ليلة سعيدة، وكأنه عبر اللوحة يصف حالته العاطفيّة تجاه حبيبة رحلت أو لم تبادله الوصال.

نكتشف أثناء تجوّلنا في المعرض أشكال المشاعر الجياشة بين الواقعين في الحب وكيفية ظهورها في الأعمال الفنيّة كما في لوحة لفيليب مايو بعنوان "زواج" والتي يستعيد فيها أسلوب رينيه ماغريت، إذ نطل على سماء صافيّة يتوسطها قلبان متداخلان يُكمّلان بعضهما البعض، لكنهما أيضاً مُبتلّان وكأنهما عضو واحد ديناميكيّ، لتبدو اللوحة أشبه بصورة لدواخل جسدين متّحدين ينبضان حباً وحياةً.

أزمة الحبّ والقلب المكسور

يلفت الانتباه في المعرض تلك الأعمال التي تعكس هشاشة "القلب" من الناحية العاطفيّة خصوصاً إن كُسر وترك وحيداً في حال رحل الحبيب أو تلاشى، و هذا ما نتلمّسه في عمل التجهيز الخاص بفرانسوا بيترفيتش، إذ نشاهد قلباً معدنياً معلقاً حوله قضبان زجاجية تهتز وتضرب القلب في كل مرة نحاول لمسه، وكأن القلب في حداد ونحيب علنيّ دائم، يتضح أكثر في منحوتة أنيت ماساجير التي تحمل عنوان "القلب يستريح" والتي نرى فيها قلبا من أسلاك معدنيّة، وكأنه يحيك نفسه بانتظار الاكتمال، متروكاً للمارة كعبرة عن الأثر التراجيديّ الذي يمكن أن يتركه الحبّ في قلب أحدهم.

يحوي المعرض أشكالاً مختلفة عن إعلانات الحب والتي تتبنى فن النيون المستوحى من البوب أرت كما في عمل مبسّط عن قلب يصيبه سهم، في إحالة إلى المتخيل الشهير المرتبط بالوقوع في الحب والذي تحوّل إلى رمز الحب من النظرة الأولى، ذاك الذي يخطف عقول العشاق ووعيهم، هذه العلنيّة نراها أيضاً في النيون الذي يحمل عبارة "أشتاق إليك جداً جداً جداً أكثر مما تتخيلين وستبقين دوماً دوماً صديقتي المقرّبة، تذكّري ذلك" هذه العبارة التي تليها قلوب حبّ أشبه بالرسائل القصيرة التي تتبادل على وسائل التواصل الاجتماعي، أما الحالة العلنيّة التي تتمثل في النيون فتعكس سطوة النص الحميميّ حين يكون صادقاً، ولا ينتظر أيّ ردّ، يكفي فقط أن يُرسل كنداء دون توقع جواب.

هناك جانب سوداوي للحب يرتبط بشدته وأثره على الجسد أو العاطفة ما قد يؤدي إلى فناء المحبّ أو العاشق، وهذا ما يتضح في لوحة بعنوان "حب أبديّ" لجيل باربيه، وهي جمجمة مقلوبة، تترك الانطباع بشكل القلب، وكأن الفنان عبرها يستعيد الأشكال الرومانسية للحب التي ترى في الموت نهاية الحب المنطقيّة، هناك أيضاً إحالة إلى العلاقة الدائمة بين اللذة والفناء، وكأنهما ذات الشيء، ويكفي فقط تغيير وجهة النظر كي تتضح العلاقة بينهما.

> **نكتشف أثناء تجوّلنا في المعرض أشكال المشاعر الجياشة بين الواقعين من يعيشون الحب في الأعمال الفنيّة كما في لوحة لفيليب مايو بعنوان «زواج»**

سهم أخطأ قلب الحبيب

العرب
الأحد 2020/03/22
السنة 42 العدد 11654

«طاعون» ألبير كامي الذي يجتاح العالم

الفيلم بين السياسة والواقع والرمز وبين الأمس واليوم

ربما لا تكون رواية "الطاعون" للكاتب الفرنسي ألبير كامي، واحدة من أكثر الروايات صلاحية للنقل إلى لغة السينما، أو بشكل عام، إلى عمل درامي يتم تجسيده بالاستعانة بالممثلين، فالرواية تنتمي إلى ذلك النوع الذهني الذي يحمل رؤية فلسفية ونظرة قاتمة للعالم، يتم التعبير عنها من خلال الكلمة المكتوبة والوصف الأدبي.

أمير العمري
كاتب وناقد سينمائي مصري

كان التحدي كبيرا أمام لكل من حاولوا الاقتراب من رواية "الطاعون" لألبير كامي، وانتهى الأمر دائما بالعجز عن تحقيقها سينمائيا. لكن المخرج الأرجنتيني لويس بوينزو تمكّن عام 1992 من تحويل هذا العمل الأدبي ذائع الصيت، إلى فيلم من الإنتاج المشترك بين فرنسا والأرجنتين وبتمويل أميركي من جانب إحدى شركات التوزيع الكبرى، واستعان بنجوم من الصف الأول لتمثيل الأدوار الرئيسية مثل وليام هيرت وساندرين بونير وروبرت دوفال وراؤول خوليا.

تدور أحداث الرواية الأصلية في مدينة وهران الجزائرية التي عاش فيها المؤلف ألبير كامي معظم حياته، وفيها كتب معظم مؤلفاته التي تنتمي إلى الأدب الوجودي الذي عرف أيضا بـ"أدب العبث"، ومنها روايته الشهيرة "الغريب". أما "الطاعون" فكتبها كامي أثناء الحرب العالمية الثانية، وعندما صدرت في كتاب عام 1947، جاءت مشبّعة بالكثير من أجواء الفترة التي كتبت فيها، فترة الشكوك السياسية والاجتماعية وعدم الوضوح وانعدام الرؤية. من ناحية البعد السياسي صرّح كامي ذات مرة بأنه أراد أن تكون "الطاعون" رواية متعددة المستويات في فهم محتواها، إلا أنه يرى أن المحتوى الأساسي لها يتمثّل في موضوع المقاومة ضد النازية في أوروبا.

هذا البعد السياسي هو ما يبدو أن المخرج لويس بوينزو اشتغل عليه مع القيام بكل ما يمكنه من تعديلات في بنائها وشخصياتها وموقع أحداثها.

> تدور أحداث الرواية الأصلية في مدينة وهران الجزائرية التي عاش فيها المؤلف ألبير كامي معظم حياته، وفيها كتب معظم مؤلفاته التي تنتمي إلى الأدب الوجودي الذي عرف أيضا بـ«أدب العبث»

من ناحية موقع الأحداث، قام بوينزو، وهو نفسه كاتب سيناريو الفيلم، بنقل الأحداث من وهران في الجزائر، إلى مدينة معاصرة يحافظ على نفس اسمها في الرواية أي وهران، لكنها قد تكون بوينس آيريس العاصمة الأرجنتينية نفسها، كما جعل وقت وقوع أحداثها في الزمن الحاضر بدلا من الأربعينات. وهو ما يعني أن تدور الأحداث على أرضية سياسية مباشرة ترتبط بتاريخ الصراع السياسي في الأرجنتين، خاصة وأن شهرة المخرج بوينزو قامت على فيلمه الأول "الرواية الرسمية" Official Version الذي حصل على جائزة الأوسكار لأحسن فيلم أجنبي عام 1985، وكان يصوّر بشكل درامي مباشر قضية "الأطفال المخطوفين" أي قيام السلطات العسكرية إبان الحكم العسكري الذي سيطر على البلاد بقبضته الحديدة في السبعينات، باختطاف عدد كبير من أطفال الأسر الفقيرة وبيعهم لأسر ثرية لضباط الجيش المحرومين من نعمة الإنجاب. وهي قضية لا تزال أصداؤها تتردّد حتى يومنا هذا.

الشخصيات الرئيسية في فيلم "الطاعون" هي أولا شخصية الطبيب "برنار ريو" (وليام هيرت) الذي يدرس انتشار مرض غريب في المدينة يشخّصه باعتباره وباء الطاعون، لكنه يضرب عرض الحائط بتعليمات السلطات بعدم إفشاء أنباء تفشّي هذا الوباء للصحافة ووسائل الإعلام المحلية والأجنبية، ويستفز بالتالي السلطات التي تلجأ إلى الاستعانة بالجيش لفرض حالة حصار حول المدينة، وتجميع الحالات المصابة والناقلة للعدوى في الملعب الرياضي الكبير بالمدينة، على نحو يذكّرنا بما وقع في تشيلي عام 1973 عندما قام الجيش في أعقاب الانقلاب العسكري ضد حكومة الرئيس سلفادور الليندي بتجميع المعارضين السياسيين في الاستاد الرياضي في سانتياغو كما رأينا في فيلم "مفقود" Missing لكوستا غافراس.

الطاعون كرمز سياسي

الشخصيات الأخرى في الفيلم من بينها مراسل التلفزيون الفرنسي المصوّر جان تارو، والمذيعة التلفزيونية مارتان (ساندرين بونير) اللذان يجدان أنهما لا يستطيعان الخروج من المدينة بفعل الحصار. من ناحية يجد "تارو" الفرصة مواتية للقيام بتغطية الأحداث التي لا يدرك هو بعد مدى خطورتها، ومن ناحية أخرى تسعى "مارتان" بكل استطاعتها للهرب والعودة إلى فرنسا، وتقوم بالتالي بالاستعانة بخدمات رجل غامض يدعى كوتار يعدها بتدبير مخرج لها بطريقة ما.

يُبدي الطبيب من الشجاعة والتمسّك بأداء الواجب ما يجعله يرتفع كثيرا في أنظار كل من تارو ومارتان: فهو يقوم أولا بإعداد قائمة بأسماء المصابين بالمرض، ويجري التجارب المعملية على الفئران للتوصّل إلى مصل مضاد يصلح تطبيقه على نطاق واسع، ثم يقوم بالعمل ليلا ونهارا في المستشفى في قسم خاص لحالات الطاعون بمساعدة زميل له، مما يدفع تارو للتطوع للمساعدة في العمل معهما. وتفكر مارتان في البقاء والانضمام للمجموعة غير أنها تكون قد تورطت بما يكفي مع كوتار الذي يشي بها للسلطات فيتم القبض عليها وإيداعها الاستاد الرياضي مع الآخرين.

يصوّر الفيلم تفاصيل مرعبة لانتشار الطاعون في المدينة، وحالة الفوضى في الطرق التي تنشأ نتيجة للفزع الذي يستولي على الناس، مما يؤدي في النهاية إلى التمرّد الجماعي حينما يقتحم الناس الاستاد الرياضي ويطلقون سراح الضحايا ومنهم مارتان التي تصاب بطلق ناري ويموت زميلها تارو، وهو يحاول إنقاذها بعد أن يطلق كوتار النار عليه، بينما يشرف الطبيب على الوفاة متأثرا بإصابته بعدوى الطاعون.

يصور الفيلم تفاصيل مرعبة في حياة الناس

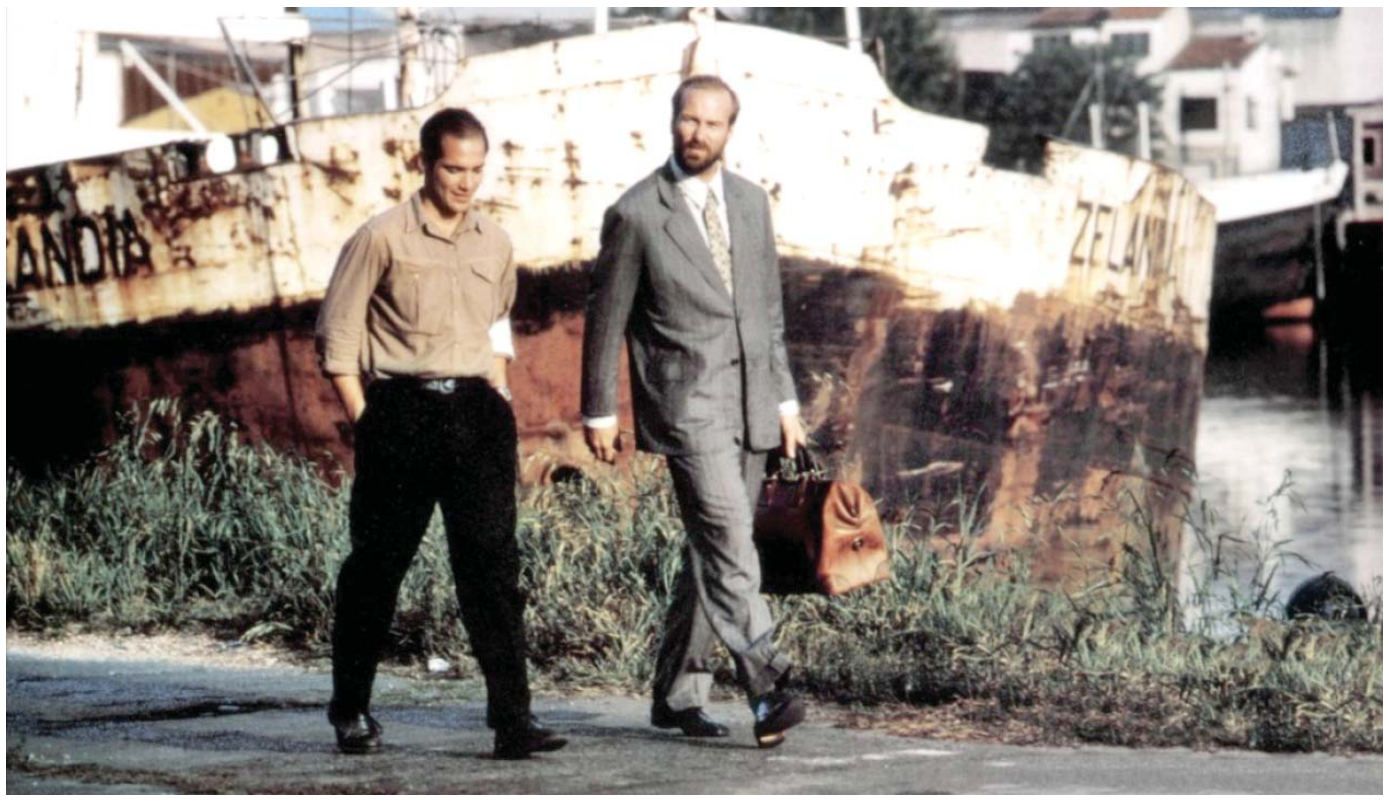

السير في طريق محفوف بالمخاطر

الطاعون في الفيلم يستخدم كرمز سياسي

الطاعون الذي يصوّره الفيلم يحاول أن يجعل منه معادلا للفوضى السياسية أو بالأحرى، لهيمنة الدكتاتورية والقمع والإرهاب على مقدّرات الأمور في الأرجنتين، أي أنه ينتزعه من مفهومه الفلسفي والفكري المعادل للواقع بأكمله حسب رؤيا كامي، ويمنحه أرضية سياسية مباشرة. إلا أن المخرج لا يستطيع بعد ذلك سوى أن يكرّر الأفكار نفسها السائدة في معظم أفلام السينما السياسية في أميركا اللاتينية: صوّر الفقر والتخلّف والقمع، شخصيات الانتهازيين والمتاجرين بالطاعون، التناقض بين البراءة والشجاعة المطلقة على مستوى فردي، والتناقض بين الجبن والغش والانتهازية التي تتعيش منها شخصيات أخرى تمثّل السلطة. والتمرّد الأخير الذي يؤدي إلى الفوضى العامة هو نوع من التأويل السياسي لما ينتظر أن تسفر عنه التطورات في الواقع الأميركي اللاتيني.

لكن السؤال الذي يطرح نفسه: إذا كان لويس بوينزو قد سمح لنفسه بكل هذه التعديلات على بناء ومفهوم الرواية الأصلية فماذا تبقّى منها بعد هذا كله؟

شخصيات معزولة

من حق المخرج السينمائي أن يتناول بالحذف والإضافة إلى العمل الأدبي لكي يطوّعه للغة السينما، شريطة أن يصوغ هو رؤيته الخاصة لمغزى الرواية وهو ما يفتقده فيلم "الطاعون". فليس من السهل أن نصف الفيلم بالقول ضمن أفلام الرؤية الشخصية حتى ولو كانت الأحداث التي يصوّرها ترتبط بتجربة خاصة وقعت في موطن المخرج نفسه، فالفيلم مصنوع أساسا بغرض تطويع شخصيات الرواية قسرا لأغراض الطرح السياسي المعتاد، مع بعض التأملات في مصائر الشخصيات في محاولة لاحترام جوهر ومغزى رواية كامي، لكن بينما كانت شخصيات كامي تعبّر عن الشعور بالوحدة القاسية والفراغ النفسي الشديد على أرضية واقع يتغيّر بشدة أثناء الحرب العالمية الثانية، وكانت أيضا تعكس تشوشا في السياق الاجتماعي وانعدام التواصل بين البشر في مدينة تتميّز بكونها نتاجا للاستعمار الفرنسي تعيش فيها شريحة ارستقراطية من رجاله الذين يرقبون عن قرب سقوط إمبراطوريتهم الوردية بعد احتلال النازي لها، إلا أننا لا نستطيع أن نتبيّن لماذا تبدو الشخصيات في الفيلم معزولة على هذا النحو عن بعضها البعض، عاجزة عن فهم مغزى ما يقع حولها رغم تجسيده القويّ في الفيلم.

هناك على سبيل المثال، مشاهد عديدة للفئران التي تنتشر في كل مكان، ولانتشار الجثث في الشوارع، ومشاهد أخرى مؤثرة لطفل يحتضر جرّاء الإصابة بالمرض، وقسيس يهب حياته من أجل أن يسجّل ولو إشارة واحدة احتجاجا على ما يحدث في البلاد، لكن الهدف الأساسي للفيلم كان تحقيق المزج بين الموضوع السياسي وتركيبة الفيلم الملحمي الكبير المثير على طريقة الأفلام متعددة الجنسيات من التمويل الأميركي. ولا ننسى أن فيلمنا هذا مصنوع أصلا من أجل السوق الأميركية، أكبر أسواق السينما في العالم، وهنا نستطيع أن نفهم لماذا يتحدّث الجميع في فيلم يدور في الأرجنتين باللغة الإنجليزية، لغة الفيلم الوحيدة، ولماذا تمت الاستعانة بنجوم السينما الأميركية: روبرت دوفال ووليام هيرت.

وعلى الرغم من ذلك، يعاني الإيقاع العام لفيلم "الطاعون" من هبوط الإيقاع بعد المشاهد الافتتاحية القوية، حيث يترهّل الفيلم في نصفه الثاني، ويعاني من غلبة الحوار وتداخل الشخصيات على نحو مُربك.

ولا ينجح وليام هيرت في القيام بدور الطبيب ببروده الشديد في التعامل مع الشخصية التي يفترض أنها الشخصية المحورية التي ترتبط بها مصائر الشخصيات الأخرى. هذه الشخصية كانت في حاجة إلى ممثّل متوهّج الموهبة والحضور، وإلى إعادة كتابة الحوار الذي تنطق به بحيث تشحن الفيلم بنوع من الحرارة، مع السيطرة المفترضة على الحركة أمام الكاميرا، الأمر الذي نفتقده كثيرا في هذا الفيلم الطموح.

وقد سبّبت النهاية التي يختتم بها الفيلم الارتباك للمتفرج.. هنا نرى مطاردة على طريقة الفيلم البوليسي تنتهي فجأة، بمصرع جان تارو المصوّر التلفزيوني، وباقتحام الجموع للملعب الرياضي في إشارة واضحة إلى ما يجب أن يحدث، أو لعل المخرج أراد تسويق فكرة أن الناس في حاجة إلى وباء قبل أن يعلنوا تمرّدهم على الأوضاع الفاسدة.

> من حق المخرج أن يتناول بالحذف والإضافة إلى العمل الأدبي لكي يطوّعه للغة السينما، شرط الراوية أن يصوغ هو رؤيته الخاصة لمغزى الراوية وهو ما يفتقده فيلم «الطاعون»

رواية مجازية

يقول المخرج لويس بوينزو "إن رواية 'الطاعون' هي رواية مجازية خالصة. في أوروبا الأربعينات كان السياق السياسي واضحا. ولهذا لم يجد كامي ضرورة لأن يضمر موضوعا يستخدم فيه المجاز داخل المجاز. لكننا الآن في التسعينات، الحقبة التي تؤكد فيها وسائل الاتصال والإعلام في العالم كله سقوط الأيديولوجيا. في هذا السياق يكون من السهل أن نتخيّل فيلم 'الطاعون' كفيلم من أفلام الكوارث الكونية، أو كفيلم عن مرض الأيدز، أو حتى مجرد فيلم ميلودرامي من الأفلام التي تصنع للتلفزيون عن حياة الأطباء في المستشفيات الكبرى! للأسف فإن الثقافة السينمائية التي تعتمد على قنوات متاحة للجمهور، تميل عادة إلى التخدير بدلا من التنبيه، لهذا فعندما كتبت سيناريو الفيلم قررت أن أضع في السياق المجازي مؤشرات ترتبط بموضوع المجاز. لذا فقد قمت باختيار عكسي تماما لاختيار كامي، لكنني استخدمت كل تلك المؤشرات ومنحتها رنينا خاصا. لقد حاولت أن أصوّر الواقع في شكل حكاية رمزية ذات مغزى أخلاقي، وأن أتحدّث عن التسلّط والقمع المسلح أيضا، بطريقة مجازية".

العرب
الأحد 2020/03/22
السنة 42 العدد 11654

السياح العالقون في المغرب: نغادر اليوم ونعود غدا

خبراء السياحة يتوقعون عودة الموسم السياحي إلى ذروته في الصيف

أغلقت دول العالم أبوابها البرية والبحرية والجوية، لا أحد يدخل ولا أحد يخرج خوفا من خطر فايروس كورونا المستجد، هذا القرار ساهم في تراجع قطاعي السياحة والسفر وأثر على البلدان التي تعتمد على السياحة كقطاع اقتصادي حيوي، لكن المغرب ورغم الارتباك الذي تعيشه السياحة يبقى متفائلا بموسم الصيف.

ساحة العجائب

مراكش (المغرب) - تشعر السائحة البولندية أنا كاراس بالحيرة بعدما باتت عالقة في مراكش، إثر تعليق المغرب كافة الرحلات الدولية بسبب فايروس كورونا. وتقول "أنا قلقة، لا أستطيع العودة، كل المرافق تغلق هنا ولم أستمتع بجمال مراكش كما كنت أتوقع"، كاراس لا تبالغ في قلقها فهي تعلم جيدا أن السلطات المغربية ستهتم بها.

وتقول "إني لا أستطيع النوم في مراكش، فهي مدينة لا تترك المجال للنوم إلا قليلا، سحرها في الليل كما في النهار، فالسوق الليلي في المدينة يتميز بسحر يجذبني إليه، حيث أستمتع بالطعام الشهي، أكلت الشاورما والدجاج المشوي، أتابع العرافين وراقص القرود، وفي النهار أحاول أن أتجول في سوق الحرف كما أنني خضبت يدي بالحناء منذ وصولي".

وقررت الحكومة المغربية إغلاق المطاعم ودور السينما والأماكن الرياضية والترفيهية إلى أجل غير مسمى، بدءا من الإثنين الماضي، في إطار تدابير التصدي لخطر تفشي فايروس كورونا المستجد.

> السياحة قطاع حيوي في المغرب إذ تشكل قرابة 10 في المئة من إجمالي الناتج المحلي واستقطبت العام الماضي نحو 13 مليون سائح

وقال بيان صادر عن وزارة الخارجية إن "المملكة قررت تعليق جميع الرحلات الجوية الدولية لنقل المسافرين إلى إشعار آخر في إطار الإجراءات الوقائية ضد انتشار فايروس كورونا".

ويتوقع مراقبون مغاربة تضرر القطاع السياحي الذي يعتبر ثاني أكبر مصدر للعملة الأجنبية، خصوصا أن أغلبية السياح الذين يزورون البلاد يأتون من أوروبا التي سجلت معدلات مرتفعة من حالات الإصابة بالفايروس.

وقالت وزيرة السياحة نادية فتاح العلوي إن السياحة أحد القطاعات الاقتصادية التي "تضررت بشدة" من الأزمة الصحية المرتبطة بفايروس كورونا المستجد المنتشر في مختلف بقاع العالم، لاسيما في ما يتعلق بتوقيف الرحلات الجوية الدولية.

ووجد الآلاف من السياح الأجانب أنفسهم عالقين في المغرب إثر تعليق الرحلات الجوية، مثل أنا (37 سنة) التي تعمل مندوبة تجارية وجاءت من صوفيا لقضاء عطلة في المغرب برفقة أصدقائها.

وبدأت آثار الركود السياحي بسبب تداعيات تفشي وباء كورونا تظهر في مراكش، حيث ظلت العربات السياحية المجرورة بالخيول رابضة قرب ساحة جامع الفنا وسط المدينة.

وأشاح معظم السياح بوجوههم عن مروضي الأفاعي والموسيقيين الهواة الذين ينشرون عادة المرح في الساحة الشهيرة، مركزين أنظارهم على هواتفهم ترقبا لأي جديد حول الرحلات الاستثنائية التي يفترض أن تعيدهم نحو بلدانهم.

ويصف مدير متحف إيف سان لوران/ حدائق ماجوريل سعد التازي، الوضع "بالمحزن، الأزقة خالية". وبينما استقطب هذا الموقع السياحي العام الماضي أكثر من مليون زائر يغلق اليوم أبوابه وسط سكون تام في محيطه الخالي من المارة.

ويشير مسؤول في المصالح المحلية لوزارة السياحة بمراكش إلى أن "كل شيء تغير، المغاربة توقفوا عن الخروج والتجوال والسياح الأجانب أصابهم القلق"، لكن أغلبهم يصر على العودة فور تحسن الأوضاع وتراجع خطر الفايروس المستجد الذي سوف يكون قبل بداية الصيف حسب توقعاتهم.

وأصاب الكساد الملاهي الليلية التي أغلقت أبوابها، ما يفاقم خسائر القطاع السياحي بالمدينة الحمراء حيث يمثل نشاط الملاهي الليلية ثلاثة أرباع رقم تعاملاته.

ويضيف المسؤول السياحي "تعودنا على الأزمات، لكن الأزمة الحالية فريدة من نوعها".

وتعد السياحة قطاعا حيويا في المغرب، حيث استقبلت العام الماضي نحو 13 مليون سائح، إذ تشكل قرابة 10 في المئة من إجمالي الناتج الداخلي.

وبحسب ما أفاد بيان للوزارة، بعد تعليق الرحلات الجوية الدولية رخصت وزارة السياحة المغربية "لما يقارب مئة رحلة خاصة مكنت من عودة عدة آلاف من السياح إلى بلدانهم"، مؤكدة على "معاملة السياح من كافة الجنسيات على قدم المساواة".

وحاول مرشد سياحي بريطاني في مراكش طمأنة مجموعة من السياح على طريقته الخاصة قائلا لهم "سنجد حلولا، وفي انتظار ذلك استمتعوا بالتجوال في المدينة".

وقال المواطن الألماني دافيد نيهوس المنحدر من ولاية بافاريا جنوبي ألمانيا الذي غادر مع أسرته إلى مدينة مراكش، "كنت قلقا على عائلتي من عدم العودة إلى بلادي... جلسنا في الفندق دون أن نستمتع بسحر مراكش وساحة الفنا العجيبة".

ويذكر أن الاتحاد الدولي للسياحة، المجموعة السياحية الأولى في العالم، علّق القسم الأكبر من نشاطاته كالرحلات المنظمة.

وجاء على موقع وزارة الخارجية الألمانية على الإنترنت أنه من المتوقع استمرار تقييد حركة الطيران والسفر على نحو كبير واتخاذ إجراءات للحجر الصحي وتقييد الحياة العامة في كثير من الدول.

وأضاف نيهوس أنه في الواقع كانت لديه ثقة في أن يعود سالما مع أسرته إلى بلاده، لكنه يشعر ببعض القلق من الوضع الحالي الذي يعيشه العالم برمته وليس المغرب وحده، متوقعا أن هذا الوباء ستكون نهايته قريبة فالعلم تطور وتطورت معه الإمكانيات وستساعد الدول بعضها للخروج من الأزمة، ليفتح العالم أبوابه على بعضه وستكون لأسرته عودة إلى المغرب قد تكون في هذا الصيف.

حالة الهلع لا يعيشها السياح العالقون في المغرب فقط، بل يعيشها كل السياح القابعين في المطارات والفنادق المغلقة منتظرين دورهم في السفر. وقالت صابرينا البالغة من العمر 30 عاما والتي جاءت من باريس لقضاء بضعة أيام في مراكش مع والدتها، "أنا قلقة على والدتي خاصة وأن سفارة فرنسا تحيلنا إلى شركات الطيران التي تحيلنا بدورها إلى السفارة"، لكنها تؤكد أن الوضع في المغرب أقل خطرا من باريس، وكانت تتمنى أن تستمتع بالطقس الرائع وأسواق مراكش القديمة، مشيرة إلى أنها تعرف جيدا مراكش وزارتها العديد من المرات، ولن تتوقف عن زيارتها في المستقبل.

وأضافت "أردت شراء تذكرة للعودة الثلاثاء إلى بلجيكا، لكني عالقة هنا".

وبالمثل يجد دافيد (33 عاما) الذي وصل مطلع مارس إلى المغرب برفقة صديقته حيث كانا ينويان التجوال في المملكة على متن دراجة نارية، نفسه عالقا بسبب تداعيات كورونا التي أربكت حياة الملايين عبر العالم، لكنه مازال متفائلا بانفراج الوضع خاصة وأن عدد الإصابات في المغرب أقل مما هو عليه في إسبانيا، قال "سنعبر عائدين إلى إسبانيا إذا فتحت الحدود، وإلا فلا بأس إن بقينا هنا".

ورغم إلغاء الحجوزات خاصة من الدول الأوروبية، مازال خبراء السياحة متفائلين بإنقاذ الموسم الصيفي في المغرب خاصة إذا ما تراجع خطر فايروس كورونا الذي بدأ ينقشع في الصين، ولن يطول الأمر في أوروبا، كما يتوقعون.

وتعوّل وزارة السياحة المغربية على السياح الذين اعتادوا اختيار المغرب كوجهة سياحية في الصيف للاستمتاع بالشواطئ الرملية والغابات، كما تتوقع أن يكون سوقها الرئيسي بعد القضاء على الفايروس المستجد فيها، علما وأن السياح الصينيين اكتشفوا المغرب كوجهة سياحية في السنوات الأخيرة.

بلومزبري مقصد سياحي لتعلم فلسفة الحياة في لندن

لندن - تعتبر منطقة بلومزبري من أشهر المقاصد السياحية في العاصمة البريطانية لندن؛ حيث تزخر هذه المنطقة بالكثير من الحدائق والمتنزهات، ويمكن لزوار لندن قضاء يوم بها للتعرف على أشهر المعالم السياحية، ومنها:

يمكن للسياح الاستمتاع بجولة في الصباح الباكر في المتحف البريطاني، الذي يرجع الفضل في إنشائه إلى الطبيب الأيرلندي السير هانز سلون (1660 – 1753)، ويمتاز المتحف بجمع العديد من المقتنيات من جميع أنحاء العالم، وقد اشتهر السير هانز سلون بأنه محب للسفر والترحال وقد جمع أكثر من 71 ألف قطعة أثرية طوال حياته، ويعتبر هذا المتحف التاريخي من أهم المتاحف في العالم، ويعرض مقتنيات تاريخية تعود للحضارات القديمة المختلفة مثل اليونانية والصينية والمصرية القديمة.

ويحظى ميدان تافيستوك سكوير بأهمية خاصة وسط المتنزهات في منطقة بلومزبري، وفي منتصف الميدان يظهر المهاتما غاندي بجلسته الشهيرة على القاعدة المرتفعة، تذكيرا بمقاومته السلمية للاحتلال البريطاني للهند، وعلى مقربة من تمثاله توجد شجرة كرز تخليدا لذكرى ضحايا هيروشيما، كما شهد "عام السلام" 1986 زراعة شجرة قيقب، وفي الركن الجنوبي الغربي من المتنزه يوجد تمثال نصفي للكاتبة الإنجليزية فرجينيا وولف (1882 – 1941)، والتي اجتمعت في صالون أدبي مع الكثير من الكتاب والفنانين والفلاسفة بمدينة لندن.

> «سكول لايف» مدرسة تهدف إلى تعليم المرء كيف يعيش ويحب ويتعلم ويعمل بصورة أفضل، بمعنى أن يعيش حياة أكثر سعادة

ويمكن تعلم الفلسفة والعيش بصورة أفضل في مدرسة الحياة "سكول لايف" الموجودة في حي بلومزبري بالعاصمة البريطانية لندن، وقد افتتح المؤلف والفيلسوف البريطاني آلان دي بوتون مدرسة الحياة بشارع مارشمونت في عام 2008، وهي تهدف إلى تعليم المرء كيف يعيش ويحب ويتعلم ويعمل بصورة أفضل، بمعنى أن يعيش حياة أكثر سعادة، كما تشجع الزوار في المتجر على التفكير والابتسام.

وبعد فترة قصيرة من رحلته حول العالم استقر تشارلز داروين وزوجته إيما في شارع جوير ستريت خلال عام 1893، ويرجع الفضل في إثارة اهتمام داروين بالطبيعة ونظرية التطور إلى البروفيسور روبرت جرانت، والذي قام بتأسيس قسم التاريخ الطبيعي وعلم الحيوان بجامعة لندن 1828، وقد تم إنشاء متحف جرانت لعلم الحيوان منذ فترة طويلة؛ حيث يمكن للسياح حاليا الاستمتاع بمشاهدة جميع أنواع الهياكل العظمية والإبداعات الغريبة من الطبيعة، كما يمكن زيارة متحف تشارلز ديكنز في شارع دوتي ستريت. وفي الشمال الشرقي من ميدان راسل سكوير يوجد كوخ خشبي باللون الأخضر اللامع أمام واجهة المباني السكنية والإدارية، ويصطف الأشخاص في طوابير أمام فتحته الصغيرة، من أجل الحصول على الشطائر والباجيت والفلافل، التي تبيعها كيت سيموندز كل يوم هنا. وتتولى هذه السيدة إدارة 13 كانتين في عربات الأجرة التاريخية في لندن، وقد تم بناء ما يبلغ مجموعه 61 كانتين في المدينة بين 1875 و1914 لتوفير مأوى ووجبة دافئة لأصحاب سيارات الأجرة، التي كانت ولا تزال عربة تجرها الأحصنة، كما يمكن للسياح تذوق الطعام كل خميس بين الساعة التاسعة صباحا والثانية ظهرا في سوق المزارعين بميدان تورينغتون سكوير.

متحف محبي السفر والترحال

العرب
الأحد 2020/03/22
السنة 42 العدد 11654

محاولات لـ«خلق» كائنات بشرية «هجينة» بقدرات خارقة

حماية البيئة ومقاومة الأوبئة يمكن أن تخففا الجدل الأخلاقي

هل من الممكن أن يتحوّل البشر إلى كائنات هجينة تمزج بين الطبيعي والصناعي؟ وهل تشهد قدراتهم الفكرية والبدنية والنفسية قفزة كبرى تجعلهم يقتربون في المستقبل من التحوّل إلى نسخ أصلية تحاكي شخصية "سوبرمان" التي تحدث عنها الفيلسوف الألماني فريدريك نيتشه في كتابه الفلسفي "هكذا تكلم زرادشت"؟ الإجابة تبدو شاقة. إذ رغم أنّ تطور العلوم البيولوجية أصبح قادرا على تجسيد هذا الحلم، فإنّ الذهاب بعيدا في هذه المغامرة يمكن أن يُثير جدلا أخلاقيا ومخاوف من "خلق" كائنات أشبه بالوحوش البشرية.

عدة التعديل الجيني CRISPR أصبحت متاحة للجميع

محمد اليعقوبي

يسعى علماء الهندسة الوراثية إلى الاستفادة من التكنولوجيا البيولوجية، في تحسين التطوير الانتقائي للنباتات والحيوانات من أجل رفع قيمتها الغذائية وجعلها أكثر قدرة على التأقلم مع مختلف التغيّرات المناخية، وهو ما يلقى قبولا واسعا رغم وجود بعض الاعتراضات.

لكن سعي بعض العلماء إلى دخول مغامرات بيولوجية تنقل تلك التجارب إلى تطوير قدرات بشرية خارقة ينطوي على مخاوف مثيرة للجدل، رغم أن البعض يرى فيها آمالا كبيرة، خاصة بعد تزايد المخاوف التي يثيرها ظهور أوبئة جديدة.

ويرى مؤيدون أن البشر ينبغي أن يدخلوا في سباق مع التحديات الجديدة لمواصلة السيطرة على الطبيعة والتأقلم معها، وتخفيف وطأة البشر على التوازنات الطبيعية مع تزايد أعداد السكان.

في ظل تغيّر المناخ، وتفشي الفايروسات والأمراض المعدية، يعتقد العلماء بإمكانية إجراء تعديل بيولوجي للإنسان، ليتمكّن مستقبلا من مواجهة الآثار المدمرة وتحمل نقص المياه المفاجئ والتكيّف مع درجات الحرارة المرتفعة ومكافحة مسببات الأمراض.

ويعرّف العلماء "التعديل الوراثي" التقليدي بأنه إدخال صفات وراثية جديدة على أحد أصناف النباتات باستخدام التقنيات البيولوجية "الحيوية" لتحسين نوعية وجودة المنتج الزراعي، مثل إضافة جينات بعض النباتات سريعة النمو إلى النباتات بطيئة النمو بهدف زيادة كمية الإنتاج.

وبفضل هذه التقنية تمكّن العلماء من استنباط أصناف جديدة من المحاصيل تقاوم الجفاف والأمراض وأكثر قدرة على التصدي للتحديات المناخية.

وكما يقال إن الذئاب هي "الأقارب البرية للكلاب" فقد أصبح هناك "أقارب برية" للمحاصيل الزراعية التي يتغذى عليها الناس اليوم، ومن غير المستبعد أن تصبح هناك أيضا "كائنات بشرية هجينة".

سباق إلى السوبرمان

تبدو الفكرة أشبه بالشخصية الخيالية "سوبرمان" الرجل المتفوّق الذي سعى الفيلسوف الألماني فريدريك نيتشه إلى استكشافه في كتابه الفلسفي "هكذا تكلم زرادشت". ويؤكد المفكرون أنّ الكثير من الأفكار الخيالية حملت في طيّاتها بذرات واقعية للثورات العلمية، التي غيّرت مجرى حياة البشرية بأسرها.

وفي الأعوام الأخيرة اكتسب التعديل الجيني اهتماما كبيرا، وبدأت فكرة تعزيز قدرات الجسم البشري تراود الكثير من العلماء، ولو تم تنفيذ بعض التجارب المقترحة في هذا المجال، فإن المستقبل الذي سيمتلك فيه الإنسان قدرات فكرية وبدنية ونفسية "خارقة" آت لا ريب فيه.

وكشفت الأبحاث التي جرى في إطارها تغيير الحمض النووي للبشر، والتي تسمّى كريسبر (CRISPR)، عن تقدم غير مسبوق في مجال علم الجينات وأصبحت متاحة للجميع ويمكن شراؤها عبر الإنترنت. فرغم أن هذه التقنية لم تستخدم على نطاق واسع، إلا أنها فتحت الباب أمام إمكانيات مثيرة ومحيّرة في الوقت نفسه، في ما يتعلّق بإمكانية تطوير قدرات الإنسان ونقلها إلى آفاق أبعد كثيرا من تلك المتاحة لدى شخصيّة "سوبرمان" الخيالية.

ثورة تقنية شاملة

خلال الأعوام الخمسة الماضية أحدثت تقنية "كريسبر كاس 9" التي تعتمد على الإنزيم "كاس 9" ، طفرة كبيرة في مجال العلاج الجيني لانخفاض تكلفتها وسرعتها في تعديل الجينات، وساعدت العلماء في إزالة الجينات المعيبة بدقة وقص تسلسلات الحمض النووي في الأماكن المحددة التي يريدون إدخال جينات جديدة فيها.

ومنذ ذلك الحين، أجريت الكثير من الأبحاث العلمية لتحديد الجينات المعيبة المسببة للأمراض الوراثية.

وتشير بعض التوقعات إلى أن السوق العالمي لتقنيات تعديل الجينوم سوف يتضاعف حجمه على مدى خمس سنوات منذ عام 2017 ليصل إلى 6.28 مليار دولار بحلول عام 2022.

هناك أيضا تطوّرات طبية هائلة أدت إلى اندماج الأجهزة الإلكترونية بالجسم البشري مثل "الحبة الذكية"، وهي جهاز استشعار دقيق يمكن ابتلاعه لكي يتسنّى من خلاله رصد المؤشرات الفسيولوجية المختلفة داخل جسم الإنسان.

كما جرى توصيل أجهزة إلكترونية مباشرة بدماغ أشخاص يعانون من مشكلات في الدماغ. وقد يجري في المستقبل زرع أجهزة جديدة تمكّن الناس من قدرات خارقة.

وفي ضوء التطورات العلمية المتسارعة، تبدو الفكرة التي طرحها قبل أعوام ماثيو لياو، مدير برنامج أخلاقيات علم البيولوجيا في جامعة نيويورك حول أهمية المزايا الكبيرة لتعزيز القدرات البشرية على صعيد مواجهة التغيّرات المناخية، قابلة للتحقق على أرض الواقع.

ويعدّ التغير المناخي أحد أكبر التهديدات التي تواجه البشرية، ومع تزايد المخاطر المرتبطة به. ويقترح البعض حلولا طموحة تبدأ من فكرة ضخ الغبار في الغلاف الجوّي، وصولا إلى فكرة الهروب إلى الفضاء.

لكن لياو لا يستبعد فكرة هندسة البشر بيولوجيًا، بمعنى تعديل بعض الصفات البيولوجية لديهم حتى يكونوا قادرين على التأقلم مع التأثيرات الضارّة التي يسببونها للبيئة.

> الفنان أرني هينريكس اقترح التلاعب في أعمال فنية يرى فيها أن الطول المثالي للإنسان سيكون 50 سنتيمترا، للحد من تأثيرنا السلبي على البيئة

ويشدّد على إمكانية إنتاج بشر أكثر حفاظا على البيئة بتغيير بعض المكوّنات البيولوجية، مثل تغيير أحجامهم أو نظامهم الغذائي. ويقول "نحن لا نقترح هنا أن تصبح هذه الأفكار إلزامية، لكن يستحسن أن تكون مجرد خيارات أمام البشر".

إنسان أصغر لحماية البيئة

يرجح ماثيو لياو أن يصبح بإمكان البشر أيضا تقليص حجم أجسادهم، إذ أن خفض طول الإنسان 15 سنتيمترا مثلا يؤدي إلى خفض أحجامهم بنسبة تصل إلى نحو 25 في المئة، وهو ما يعني خفض حاجته للطعام والشراب والتنقل والتخلّص من ربع تأثيره السلبي على البيئة.

ورغم وجود نظرة اجتماعية مختلفة تجاه قصار القامة، إلا أن لياو يرى أن لها فوائد كثيرة، وأن قصار القامة يعيشون عمرا أطول مقارنة بغيرهم، ويجدون مقاعد تناسبهم بشكل أفضل في وسائل المواصلات وفي الطائرات.

ويعتقد لياو أن الهندسة البشرية حدثت بالفعل في بعض مناحي الحياة المختلفة. ويشير على سبيل المثال إلى أن الكثير من البشر أصبحوا يميلون إلى تغيير أجسادهم لكي يصبحوا أكثر جاذبية من خلال عمليات التجميل.

وقال في هذا الشأن إن "الكثير من الأشياء التي نتحدث عنها موجودة بالفعل في المجتمعات، وهي ليست بدرجة التطرّف التي نتصوّرها. فرغم أنها لا تتم في سياق مواجهة التغيّر المناخي، لكن لو قدّمت مثل تلك الخيارات للناس، ربما يقبل بها البعض".

أما توماس مايلوند، الأستاذ المتخصص في تحليل البيانات الحيوية في جامعة آرهوس في الدنمارك فيرى أن العلماء سوف يتمكّنون في يوم ما من تعديل البشر ليصبحوا أصغر حجما حتى توفر أجسادهم الطاقة، التي يحتاجون إليها في عالم مكتظ بالسكان ويتكيّفون مع متغيّر جديد وهو ازدحام البيئة المحيطة بهم.

أرني هينريكس قد طرح في عام 2013 فكرة يرى فيها أن الطول المثالي للإنسان سيكون 50 سنتيمترا، وذلك للحد من تأثيرنا السلبي على البيئة. إلا أن هذه التصوّرات العلمية والمتخيّلة، تثير الكثير من الجدل في العديد من الأوساط الاجتماعية والدينية، وهي تغذّي المخاوف من توظيفها في أهداف غير أخلاقية. وقد يصل الأمر إلى حدّ تخليق كائنات أشبه بالوحوش البشرية ومصاصي الدماء.

وفي الوقت الذي يشدّد فيه بعض العلماء المناصرين للهندسة الوراثية، على أهمية المحافظة على خصائص المواهب الفذّة، من حيث الكفاءة العقلية والشخصية المفضّلة اجتماعيا والخالية من العيوب الجسدية، وضمان توارث ذلك عبر الأجيال، تتعالى أصوات أخرى تطالب بوقف التجارب الهادفة إلى تعديل الجينات، خوفا من التدخل في الصفات الوراثية البشرية.

مخاوف التفوق الطبقي

هناك مخاوف لدى معارضي التجارب على البشر من استغلال الأغنياء لهذه التقنية في تحسين خطهم السلالي، وعجز الفقراء عن ذلك، مما يؤدي إلى خلق نظام بيولوجي جديد للطبقات.

ويعتبر الفيلسوف الأميركي غريغوري كافكا من أشدّ المعارضين للتعديل الجيني، فهو يرى أن أي حركة تهدف إلى التطوير الجيني، يمكن أن تساهم في إرساء عدم المساواة الاجتماعية.

ويشير إلى أن الأرستقراطيات القديمة حسب المولد أو اللون أو الجنس قد تختفي، لتحلّ مكانها أرستقراطية جينية جديدة. ويحذّر كافكا من أن التصدّعات العميقة في المجتمع، يمكن أن تتسع لتصبح هوة عميقة، إذا توفرت للأغنياء فقط إمكانية اختيار خطهم الوراثي.

ويشير إلى أن الأرستقراطيات القديمة حسب المولد أو اللون أو الجنس قد تختفي، لتحلّ مكانها أرستقراطية جينية جديدة. ويحذّر كافكا من أن التصدّعات العميقة في المجتمع، يمكن أن تتسع لتصبح هوة عميقة، إذا توفرت للأغنياء فقط إمكانية اختيار خطهم الوراثي.

ويشدد عدد من علماء الهندسة الوراثية على ضرورة إحاطة عامة الناس بالقضايا الأخلاقية المتعلقة بالتعديل الوراثي والمسارات التي قد يتبعها هذا العلم.

لكن مايلوند يعتقد أن هذه النظرة قد تتغيّر مستقبلا. وربما يصبح عدم إجراء بعض التعديلات الجينية أمرا غير مقبول من الناحية الأخلاقية والاجتماعية. ولا يستبعد أن "تسير الأمور على سبيل انتقاء الصفات الجينية في البشر مثلما نقوم حاليا بعمليات تهجين الكلاب".

لكن بعيدا عن كل هذه الافتراضات والجدل، يبدو من غير المستبعد أن تفرض تأثيرات التغيّر المناخي، على أجيال المستقبل، قبول فكرة التعديل البيولوجي، وقد يكون ذلك أسهل عليهم من محاولة تعديل المناخ نفسه.

توماس مايلوند:
النظرة للتعديلات الجينية قد تتغير وربما يصبح عدم إجرائها غير مقبول من الناحية الأخلاقية والاجتماعية

ماثيو لياو:
خفض طول الإنسان 15 سنتيمترا يؤدي للتخلص من ربع حاجته للطعام والشراب والتنقل وخفض تأثيره على البيئة

العرب
الأحد 2020/03/22
السنة 42 العدد 11654

التمارين المنزلية في مرحلة العزل وسيلة لتفادي ازدياد الوزن

وزن الجسم والأدوات المنزلية تكفي للقيام بتدريب شامل في البيت

رشاقة بالإمكانيات المتاحة

فرض الانتشار المطرد لفايروس كورونا حول العالم على الكثير من الناس ملازمة المنازل وعدم الخروج إلا للضرورة القصوى، لكن المولعين بالتمارين الرياضية والمتدربين الذين يواظبون على تمرينات يرونها ضرورية لنمط حياة صحي يحتارون في كيفية مواصلة تدريباتهم والمحافظة على لياقتهم البدنية بل ويرون الرياضة وسيلة لتقوية مناعتهم وللترفيه.

واشنطن - يوصي خبراء الصحة منذ ظهور وباء كورونا في أكثر من دولة الناس بتجنب الخروج من البيت إلى أماكن التجمع ومن بينها صالات الرياضة، ويرجحون أن تكون خطيرة في مستوى انتقال العدوى بالفايروس حيث يجتمع عدد من الأشخاص في مكان مغلق ويمارسون تدريباتهم الرياضية ويتنفس معظمهم بقوة وعلى مسافات قريبة من بعضهم، كما يتقاسمون آلات ووسائل التمارين المختلفة ومعلوم لدى الجميع أن فايروس كورونا ينتقل عبر الهواء وملامسة الأسطح ويعيش فيها فترة زمنية طويلة خاصة إذا كانت رطبة.

ولا يعني تجنب العدوى والوقاية من الإصابة بالفايروس التضحية بالأهداف التي تتعلق باللياقة البدنية والصحة وخسارة الفوائد الحاصلة من مختلف الأنشطة البدنية والاكتفاء بالجلوس في البيت وربما زيادة القلق والتوتر واكتساب المزيد من الوزن بسبب قلة الحركة.

تمارين «بيربي»

يؤكد خبراء اللياقة أن هناك الكثير من التمارين الرياضية التي يمكن ممارستها بالمنزل وبوسائل بسيطة من أجل الحصول على تدريب شامل للجسم، ومن بينها تمارين "بيربي" والتي يعتبرونها الأفضل في المنزل. ووفق تصريح الممرن الشخصي براين غولدبيرغ لموقع "بيزنس انسايدر" الأميركي، إذا كانت حصة من التدريب المنزلي لا يمكن أن تعوض حصة من التمارين المكثفة لشد العضلات، فإن العديد من الطرق البسيطة تساعدنا على ممارسة الرياضة والاستفادة منها في صالون البيت.

ويوضح غولدبيرغ قائلا "لست بحاجة إلى صالة رياضية للحصول على اللياقة البدنية، إلا إذا كنت من محبي رفع الأثقال.. وحتى الشخص العادي يمكن أن يكون في حالة صحية وبدنية جيدة داخل حدود بيته". وينبغي أن تكون تمارين البيربي في أعلى القائمة. ويفيد غولدبيرغ "إنه أفضل تمرين لتشعر أنك استفدت بما يعادل قيمة الأموال التي خصصتها للرياضة بغض النظر عن موقعك في سلم اللياقة البدنية. ولا توجد الكثير من التدريبات البسيطة التي لديها تأثير عميق مثل بيربي".

ويبدأ التمرين بثني الساقين ثم اليدين على الأرض، ثم رمي القدمين إلى الخلف للوصول إلى وضع اللوح الخشبي، ثم العودة إلى وضع القرفصاء قبل الوقوف في الأخير. ولا يتعين عليك تكرار هذه الحركة 100 مرة في الصباح (على الرغم من أن هذا هو ما يوصي به العديد من خبراء اللياقة البدنية).

وينصح غولدبيرغ بالبدء بسلسلة من ألعاب بيربي التي ستكون صعبة ولكنها قابلة للتنفيذ بالنسبة لك اعتمادا على مستوى لياقتك، وفي البداية يمكن تكرار التمرين من خمس إلى عشر مرات، ثم استمر بنفس العدد من تمارين الضغط والقرفصاء وحركات متسلقي الجبال، ويقول كرر التمرين عدة مرات للحصول على تدريب شامل.

> بيربي أفضل تمرين لتشعر أنك استفدت بما يعادل قيمة الأموال التي خصصتها للرياضة بغض النظر عن موقعك في سلم اللياقة البدنية

وإذا كنت تبحث عن تحد حقيقي، يمكنك التفكير في تدريب جيف جيرموند، المختص في رياضة "كروس فت"، والذي يتكون من القيام بتكرار تمرين بيربي بين 100 و150 مرة. ويقول جيف جيرموند "حاول أن تعيد التمرين مئة مرة في أقل من 5 دقائق، وهو أمر صعب للغاية".

إذا كنت تكره تمرين بيربي أو تريد التنويع في نشاطك البدني، فيمكنك أن تقوم بالتمارين التي ترتكز على وزن الجسم والتي تحرك أجزاء أخرى من الجسم وتقوم على درجات مختلفة من الصعوبة. يقول براين غولدبيرغ "تمارين القرفصاء، على سبيل المثال، يمكن أن يقوم بها أي شخص وفي أي مكان. هذه التمارين بجانب تمارين متسلقي الجبال أو تمارين الاندفاع التي تقوي عضلات الفخذ أو تمرين الضغط تعد أساسية وتصلح للدمج في حصص تدريب مختلفة للحصول على تدريب سريع وفعال في المنزل".

تمارين الضغط والقرفصاء

ولخوض تحد أكبر، يوصي غولدبيرغ بإضافة تمرين متساوي القياس لهذه الحركات في الجزء السفلي من القرفصاء أو تمرين الاندفاع، ابق على هذا الوضع لدفع عضلاتك للعمل بجدية أكثر. يمكنك أيضا إضافة حركة قوية أثناء القرفصاء أو الاندفاع، أي عند الهبوط تتوقف في منتصف الطريق نحو وضع الوقوف. ويمكن أن يساعد ذلك في جعل الحركة البسيطة أكثر صعوبة للرياضيين أو الأشخاص المعتادين على التدرب.

وإذا كنت قلقا من أنك لن تتمكن من ممارسة التمارين الهوائية، فأضف قفزة إلى بعض الحركات مثل القرفصاء أو الاندفاع لرفع معدل ضربات قلبك. ويمكن أن تمنحك هذه الحركات خاصة عند دمجها مع مجموعة من التمارين الأخرى، تدريبا جيدا، حتى دون تخصيص الكثير من الوقت أو المساحة.

ويقدم غولدبيرغ مثالا قائلا "بدلا من أداء تمرين يتكون من سلسلة من 10 تمارين قرفصاء منتظمة مع القفز، مر بعدها إلى سلسلة من 10 تمارين قرفصاء عادية وأخيرا اخفض نفسك إلى القرفصاء واحتفظ بهذا الوضع لمدة 15 إلى 30 ثانية، كرر التمرين عدة مرات لتدريب شامل". ويعتبر غولدبيرغ أنه طالما يتحرك الشخص ويفعل شيئا يزيد من معدل ضربات قلبه، حتى ولو قليلا، لفترة زمنية كبيرة، فإنه سوف يستفيد.

ابتكر أكسسوارات اللياقة

يؤكد العديد من المدربين أنه للقيام بالتمارين الرياضية فإننا لا نحتاج أكثر من أوزان أجسامنا لكي نتدرب، لكن إذا أردنا التنويع فإن بعض الأشياء والأغراض الموجودة في البيت يمكن أن تساعدنا في التدريب في المنزل بانتظار العودة للقاعات الرياضية.

ويمكن استخدام كرسي لدعم تمارين القرفصاء: قف في الأعلى وانزل حتى تلامس الأرداف المقعد، ويمكنك أيضا استخدام كرسي أو أريكة للقيام بتمارين للجزء العلوي من الجسم: ضع يديك خلفك على الكرسي، والقدمين في الأمام، وقم بثني مرفقيك ببطء للنزول، ثم الرجوع لأعلى بثني اليدين والقدمين.

أما إذا كنت ترغب في رفع الأثقال، ففكر في استخدام مكنسة بدلا من الدمبل لتمرين القرفصاء، هي بالتأكيد أقل صعوبة ولكنها يمكن أن تساعدك حتى تتمكن من العودة إلى صالة الرياضة. وإذا كنت ترغب في زيادة الوزن، فيمكن أن تساعدك القليل من لترات الماء أثناء تمرين القرفصاء أو الاندفاع أو أي تمرين آخر.

ويوصي غولدبيرغ بأن تكون مبدعا وأن تقوم ببعض الأبحاث للعثور على خيارات أخرى. ويمكن أن يكون الإنترنت مصدرا رائعا للعديد من الأفكار والابتكارات حيث من السهل العثور على التمارين مجانا. وتوجد على يوتيوب مجموعة كبيرة من مقاطع الفيديو مع اقتراحات التدريب ومراحله.

وبغض النظر عن المكان الذي تتدرب فيه، خاصة إذا كان البيت، حافظ على العادات الصحية الجيدة مثل غسل يديك والحصول على قسط كاف من النوم وتناول الطعام الصحي.

الرياضة من دون حمية لا تخلصك من دهون الخصر

تثير دهون الخصر قلق وانزعاج كثيرات من السيدات حتى اللاتي يمارسن الرياضة لأنها من الدهون التي يصعب التخلص منها، إذ لا تكفي التدريبات والتمارين التي تستهدف تحريك الخصر وحدها بل يجب أن تكون مدعومة بنظام غذائي صحي يعمل على تسهيل حرق وإذابة الدهون.

لندن - يعتقد كثيرون أن تمرين عضلات البطن قادر على حرق الدهون المكدسة في الخصر والمنطقة التي تسمى مقابض الحب، لكن قد يصعب التخلص منها إذ يجب استهدافها بدقة.

ويمكن استهداف الدهون في منطقة الخصر، ولكن لا يمكن أن تنجح العملية سوى بالتمارين الرياضية والنظام الغذائي معا. ونسمع جميعا أن اكتساب بطن بارزة يبدأ من المطبخ. وللأسف، يعدّ هذا صحيحا. ويمكنك الالتزام بالتمارين الرياضية من الصباح حتى المساء، ولكنك لن تتخلص من الدهون الزائدة ما لم تتبع نمطا غذائيا صحيا، ولن ترى عضلات بطنك مشدودة ومسطحة.

إليك أفضل استراتيجية لتحسين شكل جسمك.

الخطوة 1: تناول الطعام الصحي والمغذي المتكون من الخضار الورقية والحبوب الكاملة.

الخطوة 2: التزم بالتمارين لمدة 30 دقيقة كل يوم. إذا كنت من محبي الرياضة، يمكنك تقسيم وقتك لتتدرب 6 أيام في الأسبوع. وقد وجدت دراسة أجرتها جامعة ديوك في مدينة دورهام بولاية كارولاينا الشمالية الأميركية فائدة في المشي لمدة 30 دقيقة على مدار ستة أيام في الأسبوع إذ تحدّ هذه الممارسات من تكون دهون البطن على مدى 8 أشهر.

الخطوة 3: جرب تمرين مقابض الحب لمدة 10 دقائق 3 مرات في الأسبوع.

ارفع حديد الأوزان بيد واحدة، قف مع ترك مساحة بين قدميك وركز وزنك على ساقك اليسرى، ثم ابدأ برفع الوزن بيديك واحرص على الاعتماد على كتفك الأيسر. بعد ذلك، حرّك الوزن كما لو كنت ستقطع شجرة. اسمح للقدمين والركبتين بالدوران. وارفع الوزن إلى كتفك الأيسر وكرر التمرين 20 مرة. بعد ذلك، أعد كل شيء بجانبك الأيمن.

اجلس على الأرض مع ثني ركبتيك وقدميك. يجب أن يميل ظهرك إلى الخلف بزاوية 45 درجة من الأرض. امسك الدمبل بكلتا يديك، وارفع قدميك من الأرض واتركهما تلتقيان عند الكاحلين. من هذا الوضع، قم بتحريك جسمك إلى اليمين والمس الأرض بالوزن الذي ترفعه على جانبي جسمك.

> يمكنك الالتزام بالتمارين الرياضية من الصباح حتى المساء، ولكنك لن تتخلص من الدهون الزائدة ما لم تتبع نمطا غذائيا صحيا

اتكئ على أحد الجانبين مع إلصاق المرفق والساق والورك على الأرض. واعمل على إشراك عضلات بطنك في إبقاء جسمك في خط مستقيم، ثم ارفع النصف السفلي من جسمك بعيدا عن الأرض. أنزله مرة أخرى وكرر الأمر 15 مرة على جانبك الأيمن، ثم 15 مرة على جانبك الأيسر.

واستلق على ظهرك مع ثني ركبتيك ويديك خلف رأسك. لا تشبك يديك معا. ركز على عضلات بطنك، وارفع كتفيك وأعلى ظهرك عن الأرض. وفي الوقت نفسه، حرك مرفقك الأيمن نحو ركبتك اليسرى حتى يلتقيان. بعد ذلك، قرب مرفقك الأيسر إلى ركبتك اليمنى، وكرر التمرين.

هذا التمرين مرورا بهذه المراحل مكررا يمكنه أن يصقل الخصر إذا تمت المواظبة عليه واتباع حمية غذائية تهدف إلى حرق الدهون المكدسة في منطقتي البطن والخصر.

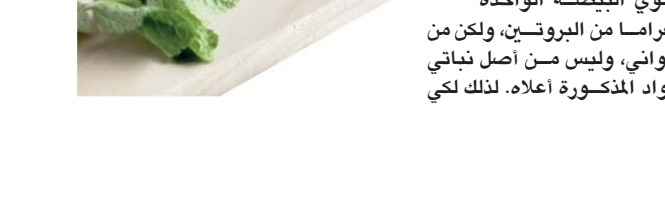

الأغذية الغنية بالبروتينات تخفض الوزن بفعالية

واشنطن - يعتبر البيض أفضل مادة غذائية متوازنة تحتوي على المواد المغذية الضرورية لبناء العضلات، وهو من أكثر المواد الغذائية التي يعتمد عليها الرياضيون وكل المهتمين بالحفاظ على رشاقة أجسامهم.

وكشفت دراسة جديدة أجراها علماء في جامعة ميشيغان الأميركية، أن تناول الأغذية الغنية ببروتين سيسترين، يساعد على تخفيض الوزن بفعالية، لأنها تحفز عملية حرق الدهون.

ولهذا السبب يتناول الرياضيون البيض بكميات كبيرة وفي فترات الاستراحة يتناولون مشروبات من مكملات غذائية أساسها هذا البروتين، ولكن اتضح مؤخرا وجود بدائل غذائية تحتوي على نسبة عالية من البروتين أكثر من البيض.

ومن أبرز هذه المواد الغذائية بذور اليقطين، التي تحتوي 100 غرام منها على 24 غراما من البروتين وفي 100 غرام من الفول السوداني 25 غراما من البروتين، وفي نفس الكمية من اللوز 20 غراما من البروتين وفي رقائق الصويا 40 غراما.

وتحتوي البيضة الواحدة على 13 غراما من البروتين، ولكن من أصل حيواني، وليس من أصل نباتي كما في المواد المذكورة أعلاه. لذلك لكي لا نحرم الجسم من الأحماض الأمينية يجب تناول صدر الدجاج مع البيض، الذي ربعه من البروتين وكذلك جبن بارميزان الذي تحتوي 100 غرام منه على 38 غراما من البروتين.

> تناول الأغذية الغنية ببروتين سيسترين، يساعد على تخفيض الوزن بفعالية، لأنها تحفز عملية حرق الدهون

وهذا التنوع في النظام الغذائي هو أكثر فائدة للجسم من تناول البيض بكميات كبيرة. مع العلم أن الإنسان يحتاج يوميا إلى 80 غراما من البروتين.

مبادرة لطلاب الصيدلة

مبادرات تطوعية لشباب عرب في مواجهة انتشار كورونا

شباب يستلهمون من التجربة الصينية طرقا لجني المال ولو في الحجر

أثبتت مبادرات لشباب عرب أنهم قادرون على تحمّل المسؤولية ويمتلكون الوعي للالتزام بالمحاذير الصحية والإجراءات الحكومية لمواجهة انتشار فايروس كورونا، إضافة إلى ابتكار طرق لمساعدة مجتمعاتهم على تخطّي الأوضاع الصعبة في الحجر الصحي.

طرابلس – على عكس المتداول بين الناس بأن الشباب العرب لا يمتلكون الوعي الكافي، ويرفضون الالتزام بالمحاذير والتدابير الصحية التي تفرضها الحكومات سواء في الأوقات العادية أو في الأزمات، كما هو الحال الآن، أثبت بعض الشباب أنهم قادرون على تحمّل المسؤولية والتقليل من مخاطر انتشار الفايروس بمبادرات ذاتية.

ولم تسجل عدة دول عربية وجود لحالات إصابة بفايروس كورونا، لكن رغم ذلك اختار الكثير من الشباب اتخاذ المبادرة للالتزام بالحجر الصحي وجميع إجراءات السلامة وقائيا، بغض النظر عمّا إذا كانت البيانات الحكومية صحيحة أم لا.

حجر صحي تطوعي

يقول أحد الناشطين الليبيين، "لا أثق كثيرا في البيانات الحكومية والأرقام التي تقول بأنه لا توجد إصابات، لكن في حال كانت هناك إصابات أو لم تكن، اتخذت القرار بالتزام الحجر الصحي وعدم الخروج إلا للضرورة الملحة".

وأضاف علي الذي فضّل عدم التصريح باسمه الكامل، أن هناك تدابير اتخذتها ذاتيا حتى مع البقاء في المنزل، بعدم استقبال الضيوف أو المصافحة وطلبت من جميع الأقارب والأصدقاء الالتزام بهذه القواعد.

> طلاب كلية الصيدلة وكلية البيولوجيا في جامعة جزائرية بادروا بإنتاج مطهر كحولي داخل مختبرات الجامعة وتوزيعه مجانا

وتابع، أن الحكومة أعلنت فرض حظر التجول في شرق ليبيا. وهذه الإجراءات احترازية لمنع التجمعات والاكتظاظ والوقاية من فايروس كورونا، لكن المسؤولية الكبرى تقع على عاتقنا نحن الشباب بالتوعية وتجنّب مقولة "كل شي بيد الله" السائدة في المجتمع كذريعة لعدم الاستجابة للإجراءات الاحترازية.

ويرى قسم كبير من الليبيين بأن الحرب القائمة في البلاد والتي تتسبب في إغلاق مطارات ومعابر حدودية، ساهمت كثيراً في عدم انتقال فايروس كورونا المستجدّ الذي يضرب دولا عدّة في العالم، إلى بلادهم.

ويقول ضياء عبدالكريم، إن تعامل الشارع مع الفايروس بطريقة عادية قد يكون مفيدا من خلال التقليل من حالة الهلع والخوف التي أصابت دولا سجّلت فيها الإصابة بالفايروس.

وأوضح "من الجيّد ألا تتم إثارة الهلع والخوف بين المواطنين؛ الأمر سيجعل تعامل السلطات مع تطبيق الإجراءات الاحترازية بطريقة أقل ضغطاً وأكثر مرونة". لكنه أكد أن "عدم الخوف من خطورة الفايروس لا يعني ألا نطبّق إجراءات الوقاية عبر تجنّب السفر وعدم المكوث في التجمّعات، إلى جانب تنفيذ برامج موسّعة لحملات التوعية عبر وسائل الإعلام، للمحافظة على سلامة ليبيا من الإصابة بكورونا المستجد".

وكما هو الحال في ليبيا، لم تعلن سوريا أيضا وجود أي حالة إصابة مسجلة بالفايروس حتى الآن، لكنها اتخذت خطوات عديدة في مواجهة خطر فايروس كورونا قبل أن ينتشر، وأغلقت المقاهي والمطاعم وغيرها من الأماكن العامة.

وقرر محسن حرفوش إلزام نفسه الجلوس في البيت، على الرغم من عدم صدور أيّ أمر حكومي بذلك، ويتحدث عن تجربته في الحجر المنزلي، فيقول "في الفترة الماضية رأينا هناك عدة إجراءات تطبّق بشكل تدريجي، لذلك أعتقد أن الشخص يجب أن يفكر بمرحلة قد يضطر فيها إلى عدم الخروج من البيت بتاتا، وفي حال سجلت أول حالة في سوريا، فمن الممكن أن يشكّل ذلك حالة هلع أو خوف لدى الناس"، بحسب ما نقلت وكالة سبوتنيك الروسية.

وتابع "الناس غير مستعدة نفسيا لموضوع الحجر، لذلك رأيت أنه من الأفضل البدء في الموضوع قبل أن أكون مجبرا على ذلك، ومن أجل ذلك أحاول دعوة الناس المحيطين بي والأصدقاء بالبدء بمبادرة حجر طوعي".

ويرى حرفوش أن فترة الحجر لأسبوعين ضرورية، لتظهر إن كان أي شخص مصاب من دون علمه، بحيث لا ينقل المرض إلى الأشخاص الآخرين، قبل أن يتحوّل الحجر في البلد إلى إجباري.

وأضاف "أنا شخصيًا واحد من الناس التي كان لديها القدرة العمل عن بعد، كون معظم عملي في مجال الترجمة الرسمية والوثائق، فلذلك أحاول أن استقبل الأوراق المطلوبة وترجمتها عبر الإنترنت بدلا من التنقل والقدوم شخصيا، والاتفاق على تاريخ محدّد لاستلام هذه الأوراق، طبعا مع اتباع إجراءات التعقيم وغيرها".

القيام بأعمال مؤجلة

ينظر البعض إلى فكرة البقاء في المنزل بشيء من الإيجابية، حيث يمكن التفرّغ لأشياء مؤجلة لم يكن الوقت يسمح لها في ما مضى، خصوصا أن شبكة الإنترنت توفّر الكثير من مجالات التعلّم والدورات التدريبية وحتى المطالعة الإلكترونية.

ويتحدث حرفوش عن أبرز النشاطات التي يقوم بها من داخل المنزل ويقول "حاليا أعددتُ قائمة بالكتب التي كنت أنوي قراءتها ولم أكن أجد الوقت في ما مضى، كما أن هذه الفترة ملائمة لتعلّم أشياء جديدة، لذلك من الممكن أن أتعلّم خلال هذه الفترة لغة جديدة أو إحدى لغات البرمجة على سبيل المثال، ولكن أول ما سأقوم به حاليا هو قراءة مجموعة مسرحيات للكاتب الروسي أنطون تشيخوف، وهي موجودة لديّ على المكتب منذ فترة طويلة ولكني لم أستطع قراءتها، والآن أظنّ أنه قد حان الوقت المناسب".

واستلهم بعض الشباب من تجربة الصينيين التي فرضت عليهم الإقامة الجبرية فابتكروا طرقا عديدة للخروج من عزلتهم وهم في المنزل، إذ أصبحت فصول اللياقة البدنية على الإنترنت بمنزلة الروتين اليومي، بديلا عن الذهاب إلى الأندية والصالات الرياضية من أجل الحد من تفشي كورونا.

وقامت مدربة لياقة بدنية تمتلك صالة ألعاب رياضية والتي تضرر نشاطها بعدما أغلقت صالتها بسبب فايروس كورونا إلى التواصل مع الناس عبر الإنترنت، وتنفيذ عدد من التمارين البدنية معهم بمقابل مادي، وقالت إن دخلها السنوي ذهب ولم يعد أمامها حلا إلا التواصل مع زبائنها عبر الإنترنت لتوفير نوع آخر من الدخل في المستقبل.

وقال حرفوش "النادي الرياضي الذي كنت أمارس فيه التمرينات أغلق، فقمت بشراء أدوات لممارسة الرياضة في المنزل، حيث أن البقاء لفترة أسبوعين في المنزل قد تسبب إرهاقا نفسيا، وقد يؤدي ذلك إلى زيادة الوزن ما يؤدي إلى تقليل المناعة، ولكن في الوقت نفسه زيادة الإرهاق من الرياضة قد يؤدي أيضا إلى تقليل المناعة". وتابع "بما أني من هواة التصوير ولم أمارسها منذ فترة طويلة بسبب العمل، سأحاول توثيق تجربتي خلال مدّة الحجر الطوعي، وأسجّل الحياة في الجوار حتى تمر هذه الفترة الحرجة".

> البعض ينظر إلى فكرة البقاء في المنزل بشيء من الإيجابية، حيث يمكن التفرغ لأشياء مؤجلة لم يكن الوقت متاحا لها في ما مضى

وفي الجزائر، لفت بعض الشباب الأنظار، خلال الأيام الأخيرة، بحملة يقودونها عبر مختلف الولايات تهدف إلى المشاركة في التخفيف من ثقل الأزمة التي تشهدها البلاد في مواجهة تهديدات انتشار الفايروس.

ولم تقتصر مشاركة الشباب الجزائريين، في حملات التوعية بمخاطر الوباء وإجراءات الوقاية منه عبر مواقع التواصل الاجتماعي التي تحوّلت إلى منصات فاعلة وسط الأزمة، بل تجاوزها إلى الشارع حيث تمت الدعوة إلى حملات واسعة لتنظيف وتطهير الشوارع. كذلك توزيع الكمامات والمطهرات على المواطنين وتوعيتهم بضرورة البقاء في بيوتهم.

وسجّل طلاب من كلية الصيدلة وكلية البيولوجيا في جامعة ولاية (محافظة) تيزي وزو مبادرة لافتة، بإنتاج مطهر كحولي داخل مخابر الجامعة وتوزيعه مجانا على السكان.

سقف وعي عال

في ولايات (محافظات) جزائرية أخرى تجنّد العشرات من الشباب لصناعة الكمامات التي سجّلت أسعارها ارتفاعا ملحوظا في الصيدليات، حيث خصّصت بعض الورشات نشاطها لخياطة الكمامات الوقائية المنصوح بها من قبل المختصّين للتقليل من خطر انتقال العدوى. ونشر ناشطون صورا وفيديوهات توثّق لتلك المبادرات التي أثبتت علوّ سقف الوعي لدى الشباب الجزائري.

بدورهم شباب الحراك الذين كانوا لأشهر طويلة في مقدمة صفوف المسيرات الشعبية، خرجوا ليس للتظاهر بل لحثّ المواطنين على توقيف الحراك والتزام البيوت مؤقتا إلى غاية مرور الأزمة التي باتت تهدّد حياة الجزائريين.

وتتصاعد وتيرة الأرقام حول الإصابات بفايروس كورونا المستجد يوما بعد يوم بشكل هائل، فلجأت بعض الحكومات العربية إلى اتخاذ إجراءات مشددة للحدّ من انتشاره، ولجأت الحكومة الأردنية لأكثر التدابير حزما في البلاد العربية، حيث أقرّ العاهل الأردني الملك عبدالله الثاني قانونا يمنح الحكومة صلاحيات واسعة لفرض حالة الطوارئ بموجب قانون الدفاع.

وأتاح هذا الإجراء للحكومة الأردنية الطلب من مواطنيها البقاء في المنازل وعدم الخروج إلا في حالات الطوارئ، ومنعهم من السفر بين المحافظات، وتمّ نشر الجيش على مداخل المدن ومخارجها للمساعدة في تنفيذ هذه الإجراءات.

ويقول طبيب الأسنان الأردني عبدالله القضاة، إن معظم الشباب في الأردن وقبل فرض قانون الدفاع كانوا يطالبون بحظر التجوّل، بسبب تخوّفهم من انتشار هذا المرض، صحيح أن الجلوس مملّ في المنزل لكننا نحاول من خلال وسائل التواصل الاجتماعي أن يكون هناك تواصل بين الشباب. وتابع "نحن كأطباء أسنان نتناقل في ما بيننا الاحتياطات الواجب اتخاذها، ونحاول نشر الوعي بين الناس، وأن نهدّئ من روع الناس، وقد قمتُ بعمل فيديو عن جلالة الملك وقانون الدفاع الذي تمّ فرضه، حتى يحسّ الناس بقيمة الجيش ورفع معنوياتهم".

وعن الجلوس في البيت يقول القضاة "الجلوس في البيت مملّ في الحقيقة، وأنا أب لطفلين نبدأ الفترة الصباحية كأننا في المدرسة، نفطر وندرس ونحلّ الواجبات الدراحظاية، بعد ذلك نلعب قليلا بألعاب الفيديو، ونعود إلى مواقع التواصل الاجتماعي، ونحاول أن نملأ فراغ الوقت".

وأضاف "ليس لدينا وسائل الترفيه في الواقع، لكننا نحاول ابتكار أشياء نخفّف من خلالها وطأة الجلوس في المنزل، لا شك أن الموضوع صعب، لكن يجب علينا تحمّل هذا الظرف، والحقيقة أن الحياة اختلفت عليّ تماما، أنا من الناس الذين قليلا ما يتابعون التلفاز، لكن الآن صار الأمر مختلفا كليا، أحسست بقيمة التلفاز وكيف يمكن أن يملأ وقت الفراغ".

تأهب اجتماعي

عن حالته في الوضع الراهن يقول الطبيب الأردني عبدالله القضاة " كان معظم وقتي خارج البيت إن كان في العمل أو غيره، فلكم أن تخيلوا حالتي الآن وأنا محبوس في البيت، صحيح أني تعرّفت أكثر على زوجتي وأولادي خلال هذه الفترة، لكن وقتي أصبح معظمه مركزا على التلفاز بين الأخبار والمسلسلات والأفلام، كمحاولة لتمضية هذا الوقت، لو لم نفعل ذلك وحبسنا أنفسنا 14 يوما، من الممكن أن نبقى محبوسين لفترة أطول بكثير".

وتطرّق إلى تقبّل الناس لموضوع الحجر في الأردن قائلا "إن ما حدث في الصين جعل حالة التأهب عالية جدا في الأردن، ونحن شعب يخاف على صحته كثيرا، بسبب شحّ الإمكانيات المادية عند الأشخاص، ونحن من الشعوب التي تحاول ألاّ تمرض قدر المستطاع، لأننا نكسب قوتنا كل يوم بيومه، صحيح أن هناك الكثير من الاستهتار من قبل بعض الناس، لكن الذي طغى على الجميع هو الالتزام".

وكان لافتا أن الناس طلبت من خلال وسائل التواصل الاجتماعي فرض قانون الدفاع، وفرض حظر التجول. ويرى قضاة أن هناك سيطرة واضحة، والشعب واع بهذا الأمر والكل ملتزمون بالبقاء في بيوتهم، وهناك فرق تطوعية كثيرة سواء على مواقع التواصل أو في الشوارع، تحدّ وتقلّل من تجوّل الناس واجتماعها في الأماكن العامة.

العرب
الأحد 2020/03/22
السنة 42 العدد 11654

مظهر المراسلات الصحافيات تحت مجهر الجماهير

ناشطو المواقع الاجتماعية يركزون على الشكل لا المضمون في عمل الإعلاميات العربيات

حملة تنمّر ضد مراسلة تونسية تعرّي نظرة مجتمعية تربط نجاح الصحافيات في العمل أمام عدسات الكاميرات التلفزيونية كمذيعات أو مراسلات بمظهرهن الخارجي لا كفاءاتهن المهنية، وتخوض الكثيرات في الوطن العربي بثبات وإصرار على النجاح هذه التحديات والعراقيل والحواجز التي تهدد بإضعاف تقدمهن في عملهن.

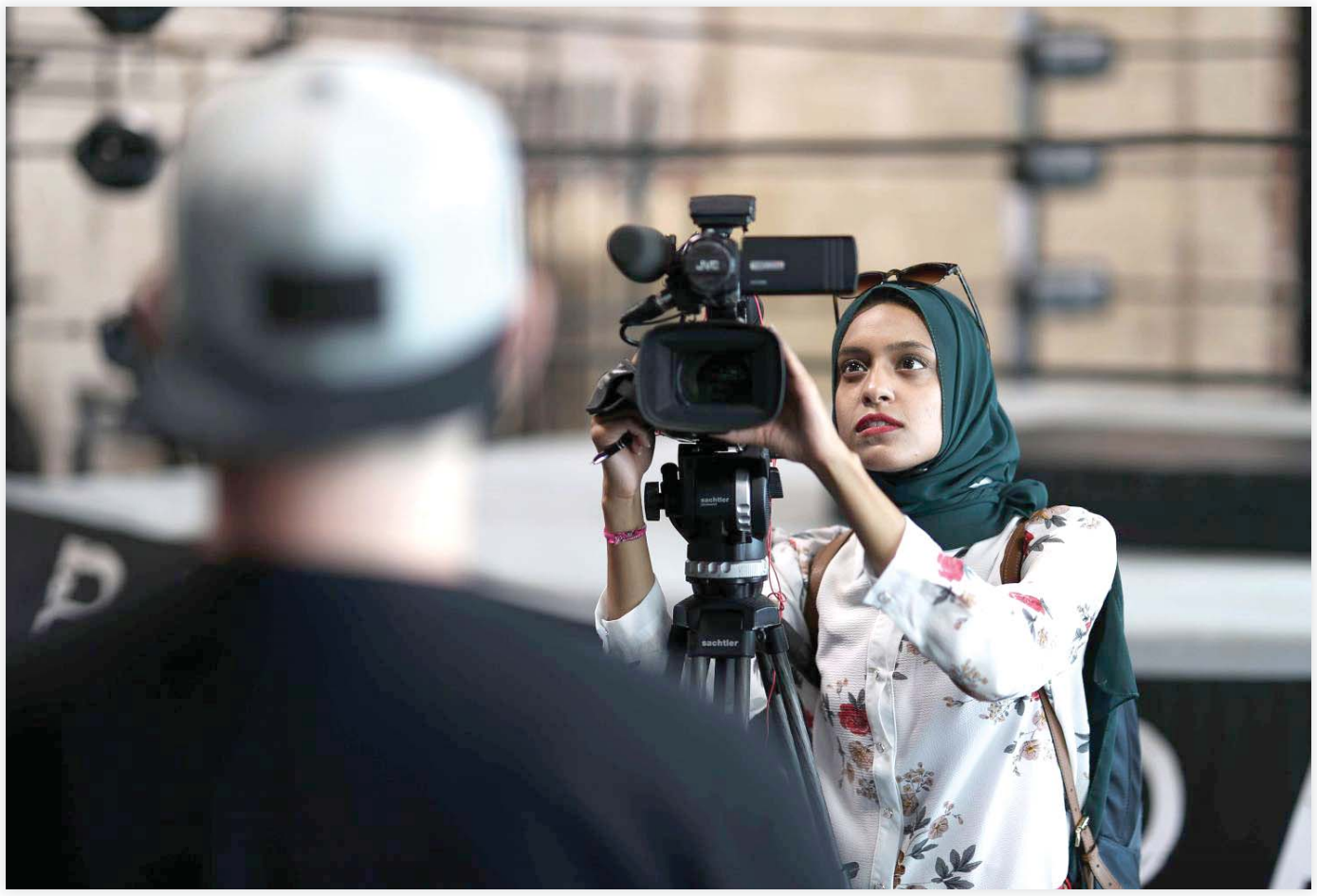

كم التحديات لا ينضب

شيماء رحومة
صحافية تونسية

أصبحت فدوى شطورو، مراسلة التلفزيون التونسي، حديث الساعة، بعد تغطيتها المباشرة لوقائع التفجير الانتحاري الذي حصل، الأسبوع الأول من مارس الحالي، بمحيط السفارة الأميركية في تونس.

ولم يكن هذا الاهتمام متعلقا بأهمية الخبر، بل بمظهر المراسلة التلفزيونية، الذي استفز العديد من النشطاء على مواقع التواصل الاجتماعي، أكثر من الواقعة الإرهابية في حد ذاتها.

وفتح ظهور شطورو دون مساحيق تجميل أو تسريحة شعر "لائقة"، شهية الكثير من مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي لإفراغ شحنة التنمّر التي يملكون ضدها، منتقدين شكلها الخارجي.

وكشفت حملة السخرية والهجوم غير المبرر الذي بلغ حد التجريح عن تقديم المشاهدين للصورة على المضمون، وكان علماء النفس وصفوا التهافت على الشكل الخارجي أكثر من المحتوى قائلين إن "ما هو جميل هو جيّد بالضرورة".

وترى عالمة النفس والباحثة التونسية في مجال الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، مريم كوكي البوعاني، أن "الصورة تلعب في الإعلام السمعي البصري دورا مهمّا في كيفية تقبل المعلومة".

وتضيف البوعاني مستنكرة "لكن أن يصل الأمر حد الرفض والتنمّر وحتى الاستهزاء.. فهذا يدل على أن المتلقّي يركز بالضرورة على الجانب البصري حتى لو كان الحدث ذا أهمية أو كارثيًا".

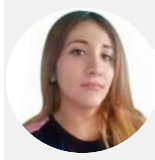

مريم كوكي البوعاني

المتلقي يركز بالضرورة على الجانب البصري حتى لو كان الحدث كارثيا

مالك أبوعطا

الجمهور يعد أحد التحديات التي تواجهها المراسلة

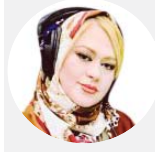

سميحة صياد

من المؤلم أن يكون الجمال تهمة وانتقاصا من جهود المرأة في العمل

ولفتت عالمة النفس التونسية في حديثها لـ"العرب" إلى أن "هذه الظاهرة يجب أن تحترم دائما قواعد الأنوثة.. وهي ثقافة".

لكن هذه الثقافة كما وصفتها البوعاني لم تظهر من فراغ بل جراء اتجاه إعلامي عربي ارتأى لسنوات أن يجعل من المظهر الحسن نقطة جذب هامة للرفع من نسب المشاهدة.

ووفقا لبعض الناشطين الاجتماعيين، فإن هذا التركيز تغلغل في نفوس المشاهدين وجعلهم ينفرون من كل ما هو مختلف وغير جميل حتى وإن كان المحتوى جيدا ولافتا.

وفي العام 2016 حين احتلت تونس بحسب موقع "رانكر" – الذي يعتمد على تصويت الجمهور من مستخدمي المواقع الاجتماعية – المرتبة الأولى عربيا في قائمة أجمل نساء العالم التي ضمت 43 دولة، استنكر العديد من النشطاء ذلك معتبرين اللبنانيات أجمل.

إلا أن بعض المختصين برروا فوز التونسيات على اللبنانيات بالقياس إلى درجة جمال مقدمات البرامج لاسيما الإخبارية منها، قائلين إن التونسيات لا يستخدمن الكثير من المساحيق وعمليات التجميل.

ومع ذلك فإنه في الوقت الذي تكافح فيه المرأة في الوطن العربي للنهوض بمشاركتها المحدودة في القطاع الإعلامي، تجد بعض مقدمات البرامج والمراسلات التلفزيونيات على غرار شطورو أنفسهن يواجهن تحديات جديدة، بسبب تعقب نشطاء المواقع الاجتماعية لزلاتهن "المظهرية" فلا تهمّ سرعة تغطية حدث هام، فالأهم اهتمام المراسلة بمظهرها.

ويعد وجود المرأة في قطاع الإعلام العربي مقترنا بسلسلة من العقبات التي تحد من تقدمها في مجال العمل سواء أكانت بالصحف والمواقع الإلكترونية أم بالإذاعة والتلفزيون.

ووفقا لمنظمة "وان إيفرا"، فإن الإعلام يساهم في التأثير على المجتمع بشكل كبير، وبذلك عندما لا تتساوى النساء مع الرجال في الإعلام، تزيد مخاطر تعزيز الانحياز الجندري والصور النمطية على المستوى الاجتماعي. وإذا حصل ذلك، فلن يؤثر سلبيا على النساء فقط، بل على المجتمع ككل.

الاغتيال الوظيفي

أكدت العديد من الشهادات أن عمل المرأة في قسم الأخبار أو البرامج بالتلفزيون خاصة تحكمه العديد من الاعتبارات، إذ هناك من ينظر إلى الإعلامية على أنها فريسة سهلة وجسد جميل كان صكها للوصول إلى كرسي ذاك البرنامج أو تلك النشرة الإخبارية ومثل هذه الأفكار تجد صدى وجمهورا عريضا من المتابعين.

وتتحمّل الإعلامية بذلك أحكام المتابعين المسبقة التي تقلل من شأن خبرتها وكفاءتها وتعلي من شأن مظهرها وأناقتها، إذ أن بعضا من الذين هاجموا شطورو اتّهموا القائمين على القناة التونسية بأنهم لم يوفقوا في الاختيار، وطالبوهم بالاقتداء بقنوات أخرى تشغل في صفوفها مراسلات جميلات، معتبرين مظهر المذيعة أو الصحافية عنصرا أساسيا لتواصلها مع المشاهدين.

ويرى علماء نفس أنه لا بدا من تعميم القوانين التي تجرم التنمر، وأشادوا بتجربة بعض الولايات الأميركية التي تدين كل ما من شأنه أن يسبب إساءة وإيذاء للآخرين، قد تصل بالمتضرر حد الانتحار.

وألمحوا إلى أن "الاغتيال الوظيفي" وهو إحدى التعريفات المختلفة للتنمر، ليس بالضرورة ضررا ناتجا عن منافسة بين الزملاء، وإنما يكمن أيضا في عدم تقييم عمل المرأة وفق اجتهاداتها، بل من منظور يركّز على مدى جمالها وحرصها على المحافظة عليه كيفما كان سواء عن طريق عمليات التجميل أو التملق لأصحاب القنوات ورؤساء العمل من الرجال.

وقالت الإعلامية الجزائرية، سميحة صياد، إنها "عانت طيلة مسيرتها الإعلامية ولا تزال تعاني بسبب مظهرها، حيث وجدت نفسها عرضة للنقد من قبل الزملاء بالمهنة لاسيما عند تغطيتها لأيّ مناسبة أو ندوة فإنها تتهم بأنها جميلة".

وأضافت صياد لـ"العرب"، "من المؤلم أن يكون الجمال تهمة واستنقاصا من قيمة ما أبذله من جهود وتفان في عملي.. لقد تعرّضت إلى عدة مواقف محجفة ومقصية أشعرتني بالإحباط، أن تكون المرأة نجمة وناجحة في المجال الإعلامي فذلك مرهون أساسا بمهارتها ومدى اجتهادها في عملها. لكن إذا امتلكت المرأة هذه المقوّمات، بالإضافة إلى أنها جميلة، فإنها قد تُرمى بالكثير من التهم الجاهزة وتلاحقها الإشاعات، ويقال إنها توظف جمالها للحصول على مناصب أو ترقيات، وهذه هي الضريبة التي تدفعها معظم النساء الناجحات في عملهن".

وتابعت "أخوض تحديا كبيرا لأنني أحب كثيرا التقدم والارتقاء في عملي وفي سبيله أقبل التحدي، وفي نفس الوقت أبارك شكلي ولا أتوانى عن الاهتمام بمظهري الخارجي".

وأظهرت الكثيرات على غرار صياد قدرة على مقاومة التيار الجارف لطموحاتهن المهنية، وتعد الباكستانية طاهرة رحمن إحدى الإعلاميات اللاتي لم يستسلمن ودافعن عن حقهن في الوظيفة بعد التخرج من كلية الصحافة.

وأثبتت رحمن، التي تمكنت في العام 2018 من التغلب على العراقيل لتصبح أول مذيعة مسلمة لمخبة تظهر على شاشات التلفزيون في الولايات المتحدة، أن لا شيء مستحيلا أمام بلوغ حلمها وتحقيق تقدم في عملها.

وتعمل رحمن التي تعيش في دافنبورت بولاية أيوا الأميركية، حاليا مراسلة لصالح شاشة محطة "دبليو إتش.بي.إف" التابعة لشبكة "سي.بي.إس" الإخبارية.

لا بد من دعم معنوي

أطلق مركز البحوث والدراسات والتوثيق والإعلام "الكريديف" في تونس حملة بهدف مناهضة التنمّر المسلّط على النساء في الفضاء الرقمي، وذلك بإنشاء غروب خاص على فيسبوك يحمل اسم "هاو وجهي" (هذا وجهي).

وتدعو الحملة النساء والفتيات من مختلف الشرائح العمرية والفئات الاجتماعية من شخصيات عامة وغيرها المستخدمات للفضاء الرقمي إلى نشر صورهن متجردات من مساحيق التجميل في إشارة إلى أنها لا يمكن أن تكون ضمن العوامل المحددة لهويات النساء.

وتفاعل مع هذه الحملة العديد من الإعلاميات والشخصيات العامة من مختلف الشرائح العمرية وفئات المجتمع حيث قام النساء بنشر صورهن على الغروب دون مساحيق تجميل، وكذلك فعل عدد محدود من الرجال مساندة للمرأة.

وبحسب وكالة الأنباء التونسية (وات)، فإن الحملة استلهمت من دراسة لمركز البحوث والدراسات والتوثيق والإعلام حول "العنف ضد النساء في الفضاء الرقمي فيسبوك نموذجا"، وهي مساندة لكل النساء والفتيات الناشطات في مجال الحياة العامة والسياسية والمتواجدات في الفضاء الرقمي اللاتي يتعرّضن لكل أشكال العنف.

وأكدت حادثة شطورو صحة الدراسة التي ذهبت إلى أن فيسبوك تحول إلى فضاء غير آمن للنساء، وحاولت "العرب" الحديث مع الصحافية التونسية حول ما تعرّضت له لكنها اعتذرت بلباقة، مبررة رفضها بأنها تمتنع عن الظهور في أيّ وسيلة إعلامية.

وقال مالك أبوعطا، الإعلامي العراقي المقيم في الدنمارك، إن "الإعلاميات (المراسلات) يواجهن العديد من الصعوبات، تظهر أكثر في المجتمعات الشرقية، والعربية منها على وجه الخصوص، التي تنظر بالأساس للمرأة نظرة دونية، فكيف بالمرأة التي تعمل في وسط إعلامي ذكوري. مما يعرضها إلى مضايقات تعوق أداءها وربما إخفاقها في إنجاز مهماتها الإعلامية".

وأضاف أبوعطا لـ"العرب"، "بسبب ذلك تشعر الإعلاميات غالبا بنوع من الخوف أو الخشية، وهو شعور ناجم عن خطر أو تهديد متصوّر تواجهه الإعلامية المراسلة، مصدره الجمهور أو المتلقي من جهة، أو المؤسسة والقناة التي تعمل فيها من جهة أخرى، ما يفضي في نهاية المطاف إلى تغيّر في السلوك".

وتابع "إن المصدر الأول للمخاوف يتمثل في إدارة المؤسسة الإعلامية، ولاسيما الفضائيات، التي تقدم جمال الشكل والوسامة والإثارة في الملابس ونوع المكياج، على المهارة والخبرة والأداء، واللياقة واللغة وسرعة البديهة كشروط أساسية للعمل كمراسلة. مع غياب القوانين التي تحمي الإعلامية الضامنة لحريتها وأمنها".

> عمل المرأة في قسم الأخبار أو برامج التلفزيون خصوصا يحكمه العديد من الاعتبارات، ينضاف إليها إعلاء بعضهم شأن مظهرها وأناقتها على حساب خبرتها وكفاءتها

وتعد المعايير التي تضعها تلك المنصات الإعلامية للشكل انعكاسا لأفكار المجتمع الاستهلاكي.

أما الطرف الآخر من التحديات التي تواجهه المراسلة، فهو الجمهور، وفقا للإعلامي العراقي، قائلا "هنا تبدو المخاوف أكثر تعقيدا، إذ يخضع الظهور إلى اعتبارات اجتماعية وأخلاقية، وسياسية وأمنية. في ظل مجتمعات مضطربة أو قلقة، يغيب عنها القانون".

وعدّد أبوعطا ما تتعرض له الإعلاميات من تحديات، مشيرا إلى أن "العمل الإعلامي لا يعرف المواقيت المحددة. مما يعرّض (المراسلة) إلى مخاطر جسيمة من قبل الجماعات المسلحة، أو المنفلتة، أو عصابات ومجموعات إرهابية تتسيد المشهد السياسي والأمني".

وأضاف "كما تتعرض المراسلة للتحرش من قبل الأفراد، إذا كانت على قدر من الجمال، أو يعرضها للابتزاز، وأحياناً الخطف، والتغييب من بعض الجماعات. وقد لا يكون الجمال وحده السبب في هذه المخاطر، إنما يعود للموقف السياسي من السلطة والنظام والجماعات.. أو الخوف من الأماكن المغلقة بالقلق والتوتر أثناء التحدث مع الناس ومقابلتهم. وهو ما يمتد تأثيره على التفاعل والاستجابة"

نسخ طبق الأصل

القوالب النمطية الجاهزة للمرأة تسيطر على المشهد العام حتى في أكثر الدول انفتاحا، وكانت دراسة أجريت من قبل قسم المتابعة الإعلامية بهيئة الإذاعة البريطانية "بي.بي.سي"، خلصت إلى أنه في دول متعددة شملت روسيا وإيطاليا وإيران وأوزبكستان وبريطانيا لم تكن الأخبار تهيمن عليها فقط أنباء عن رجال، ولكن الرجال كانوا عادة من يغطون الأخبار "الجادة" التي يمكنها أن تجلب الشهرة لمقدميها وكتابها.

كما كشفت الدراسة المسحية التي غطت أفغانستان وأذربيجان ومصر وإندونيسيا والهند وإيران وإيطاليا وكينيا والسعودية وبريطانيا وأوزبكستان، أنه في الكثير من الحالات، وسائل الإعلام تبرز مكانة الرجال أكثر من المرأة وتقدم ما يعطي شرعية لهيمنتهم المجتمعية على النساء.

وفي الولايات المتحدة يحظى الرجال بتمثيل أكبر بكثير من النساء في الصور التي تستخدمها المؤسسات الإخبارية الأميركية في القصص الإخبارية المنشورة على موقع فيسبوك، بحسب دراسة أعدّها مركز بيو للأبحاث. وهذه الدراسات تكشف أن الوضع في الوطن العربي لا يبدو شاذا بالمرة، مع وجود نظرة جماهيرية استهلاكية بامتياز.

وعلى الرغم من أن قرار رئيسة اتحاد الإذاعة والتلفزيون في مصر الراحلة صفاء حجازي، في العام 2016، الذي نص على إيقاف 8 مذيعات عن العمل بسبب أوزانهن الزائدة أثار ضجة كبيرة، وجدلا حقوقيا وإعلاميا، فإن ذلك لم يقف سيل الإساءات التي تتعرض لها الإعلاميات إلى اليوم.

وكانت حجازي أصدرت أمرا بالإيقاف للمذيعات، لمدة شهر لحين القيام بـ"ريجيم" من أجل الظهور على الشاشة بمظهر لائق مرة أخرى، وهددت بمنعهن من العمل التلفزيوني نهائيا، إذا انتهت المهلة المحددة دون الوصول إلى نتائج إيجابية في خفض الوزن. ووصفت منظمات نسوية القرار بأنه "يمثل مزيدا من التمييز ضد المرأة، فلم يسبق لأيّ رجل أن تعرّض لمضايقات بسبب زيادة وزنه".

وما أثار المزيد من الغضب داخل المنظمات النسوية، أنه تم نشر أسماء وصور المذيعات اللاتي جرى وقفهن عن العمل، ما يرخي بظلال سلبية على حياتهن الشخصية والعائلية، ويجعلهن مادة للسخرية بسبب زيادة الوزن وعدم الصلاحية للعمل التلفزيوني.

وذكر أبوعطا أن "خمس مذيعات في قناة الجزيرة قدمن استقالتهن من العمل بسبب تدخلات إدارة القناة وعدم احترامها للقواعد المهنية، أو المؤهل والخبرة. إنما اعتمدت مزاجية المسؤول في القناة ورغباته.. وهناك العديد من الأمثلة لهذا النمط في التعامل وخارج حدود اللياقة والقيم الإنسانية".

وبالنهاية فإن مثل هذه القرارات والانتقادات وحملات التنمّر تدفع بعض الإعلاميات العربيات إلى التسابق للحصول على مظهر جذاب والحرص على المحافظة على المظهر اللائق والنضارة والأناقة أكثر من تركيزهن على محتوى ما يقدّمنه من برامج.

لكن هذا لم يمنع تعرّضهن للسخرية والنقد بسبب كمّ عمليات التجميل أو المساحيق التي قد تفقدهن أحيانا كثيرة المعالم الحقيقية لأشكالهن الطبيعية، أو بسبب ضعف المحتوى الذي يقدمنه ويرى فيه بعض المشاهدين دليلا على تراجع مستوياتهن المهنية والثقافية قياسا بمظهرهن.

وهو ما عبّر عنه الشاعر السوري الراحل نزار قباني بالقول "مكياج المرأة يجب أن يكون مكياجا ثقافيًا لأحبّها، أنا لا أستطيع أن أحتمل امرأة جميلة وغبيّة"، وبالتالي الجمال لا يعكس الجوهر لاسيما في المواد التي يتم تقديمها للمشاهدين، لكن متى يمكن أن يستوعب المشاهد ذلك؟

كل نوع من الخضروات له طريقة خاصة للتنظيف

واشنطن – أعلنت وزارة الزراعة الأميركية في صفحة الأسئلة الشائعة حول فايروس كورونا المستجد "لسنا على علم بأي تقارير عن انتقال الفايروس عن طريق الطعام أو تغليف المواد الغذائية". ولا يوجد سبب للاعتقاد بأن الطماطم وغيرها من الخضر والفواكه مغطاة بالفايروس، كما لا يوجد سبب يمنعك من غسل ما تحضره إلى المنزل وبشكل جيد وبطريقة صحيحة.

اختر شطفا لطيفا وشاملا لجميع المنتجات تحت الماء، واغسل العناصر التي ستقوم بتقشيرها أو طهوها على أي حال، وتخلص نهائيا من الأوساخ وأي مسببات للأمراض. وبمجرد غسل المنتج جيدا في حوض المطبخ الذي نظفته مسبقا أعد تنظيفه للمرة الثانية بعد الاستعمال، ثم اطبخ وتناول ما اقتنيته على الفور لتكون مرتاحا.

طرق غسل الفواكه والخضروات:

● الخس والخضر الورقية الأخرى: املأ وعاء كبيرا بالماء واغمر الخضر فيه. حرك الخضروات ثم اتركها لمدة دقيقة حتى تنزل الأوساخ إلى قاع الوعاء، ثم ارفع الخضر إلى مصفاة. ثم ضعها في المصفاة تحت الماء البارد.

● الخضراوات الجذرية: بما أنها تنمو في التراب، غالبا ما تكون أكثر اتساخا، احرص على فركها تحت الماء الجاري باستخدام فرشاة الخضروات، وإذا لم يكن لديك واحدة، يمكنك استخدام أصابعك لإزالة أي أوساخ.

● الفطر: يفضل بعض الطهاة عدم ترك الفطر مبللا لأنه يمتص الماء مثل الإسفنج. لكن يمكن غسله وتمريره بسرعة عبر مصفاة تحت المياه. وإذا بقيت الأوساخ، انتزعها أثناء الشطف قبل نشره في طبقة واحدة على منشفة مطبخ نظيفة أو مناشف ورقية ليجف.

● الخضر والفواكه المتينة: بالنسبة للخضر مثل الفاصولياء الخضراء والخيار والعنب، اشطفها جيدا تحت الماء ولا تهمل الفرك بيديك ثم دعها تجف في مصفاة نظيفة.

● الخضروات والفواكه الرقيقة: بالنسبة للخضر اللينة مثل الطماطم والفواكه الناضجة والتوت، اشطفها تحت تيار مائي ثابت منخفض الضغط، مع قلبها بلطف لضمان شطف جميع الجوانب ثم انشرها على منشفة مطبخ نظيفة أو مناشف ورقية لتجف.

وإذا كنت تفضل تنظيف الخضروات على نطاق أوسع، فإليك ما كتبه خبير الطعام هارولد ماكجي في كتابه "عن الطعام والطبخ"، "يمكن أن يقلل الغسيل من أعداد الميكروبات مئة ضعف. ولكن، من المستحيل التخلص من جميع الميكروبات من الخس غير المطبوخ والمنتجات الأخرى".

كما يمكن أن تتجنب حتى المياه كثيرة الكلور عن طريق الاختباء في المسام المجهرية والشقوق في أنسجة النبات، لذلك لا ينصح الأطباء الأشخاص المعرضين للعدوى بالسلطات النيئة. وبمجرد تقطيع الفواكه والخضروات، يجب حفظها مبردة واستخدامها في أقرب وقت ممكن.

غذاء صحي

تقوية جهاز المناعة تبدأ بحسن اختيار النظام الغذائي

باريس – من خلال دمج بعض الخضار والقشريات والنباتات والمشروبات في نظامك الغذائي، فإنك تزيد من فرصك في قضاء الخريف والشتاء بصحة ممتازة.

إذا كنت ترغب في زيادة احتمالات تجنب الإصابة بنزلات البرد أو الإنفلونزا في الأيام القادمة، فعليك مساعدة جسمك على تقوية مناعته لتحقيق هذا الهدف، ما عليك سوى إضافة بعض المنتجات والمواد الغذائية إلى وجباتك اليومية والتي تعزز جهاز المناعة. فيما يخص الفواكه والخضروات، توقف عن فكرة تخزين كل شيء فليس كل الفواكه والخضروات يمكن تخزينها، واختر الفواكه والخضروات الصالحة للتخزين والتي تقوي في نفس الوقت جهاز مناعتك ومن بينها:

● القرع الغني ببيتا كاروتين ومضادات الأكسدة والتي يمكن أن تحسّن أداء بعض خلايا الجهاز المناعي.

● الفلفل الذي يحتوي على فيتامين "سي" الضروري لتعزيز المناعة.

● السبانخ تحتوي كميات كبيرة من الحديد وفيتامين "أ" (100 غرام يوفر نصف الكمية اليومية الموصى بها من فيتامين أ).

● الجزر لأنه غني بالكثير من الفيتامينات ومن بينها فيتامين "سي".

● الحمضيات (الليمون والبرتقال والجريب فروت) يمكن أن تساعد في تعزيز جهاز المناعة والطاقة.

● الفطر: من خلال تناول السيلينيوم، وهو عنصر غذائي موجود في الفطر، فأنت تساعد خلايا الدم البيضاء على العمل بشكل جيد. وستستفيد من مزايا مضادات الميكروبات ومضادات الأكسدة لهذا الطعام منخفض السعرات الحرارية واللذيذ.

● الثوم والبصل: يقدم هذان المنتجان خصائص مهمة مضادة للفيروسات، حيث يحمي الثوم صحة الكبد ويوفر البصل كمية كبيرة من فيتامين "سي" والبروبيوتيك. يشار إلى أن الثوم الخام أقوى 1.5 مرة من مسحوقه أو تركيبته المجففة. نصيحة لزيادة فوائده إلى أقصى حد مع الحد من التأثيرات على التنفس: قم بسحق أو قطع كل فص ثوم ودعه لمدة 10 إلى 15 دقيقة قبل الطهي أو دمجه في الطعام.

● الأسماك والمحار: لا شيء مثل طبق من المأكولات البحرية والأسماك لتقوية جهاز المناعة لديك. يوفر المحار الزنك، الذي يشارك في عمل خلايا الدم البيضاء ويساعد على مكافحة الالتهابات. والأسماك الزيتية مثل الرنجة المدخنة والسلمون والسردين مصادر ممتازة لفيتامين د وأوميغا 3.

● الزبادي: لا تنسى دور الألبان والزبادي في الحفاظ على صحة الجهاز الهضمي. من خلال تعزيز بطانة الأمعاء، فهي تساعد جسمك على مكافحة الفايروسات، خاصة للمسنين وحاملي الأمراض المزمنة.

● الشاي: لإنهاء الوجبة بشكل جيد، أو لإعطاء نفسك استراحة في منتصف اليوم، لا تتردد في إعداد كوب من الشاي. لن يساعدك هذا المشروب على الشعور بالدفء فحسب بل سيمنحك الطاقة ويساعد الكليتين على العمل بشكل جيد، كما تساعد جزيئاته المضادة للأكسدة على تقوية جهاز المناعة.

حافظ على الهدوء والمتعة في مطبخك أثناء الحجر الصحي

التنظيم والنظافة أسرار النجاح في إعداد أطباق صحية في البيت

نوّع مصادر إلهامك

اجتاح فايروس كورونا كل تفاصيل الحياة في العالم، التغييرات التي فرضها الحجر الصحي تشمل أيضا مطبخ كل عائلة ووجباتها وأسلوب تغذيتها الذي يجب أن يكون صحيا أكثر من أي وقت ومضى وكفيلا بمساعدة الجسم على التصدي للإصابة وخطورتها، نعرف جميعا أن الصحة الجيدة تبدأ من التغذية السليمة.

لندن – سارع الجميع هذه الأيام تحت وطأة انتشار وباء كورونا إلى التزود بالمؤونة وملء رفوف المطبخ وغرف التخزين والثلاجات بما يمكن أن يحتاجوه في ظل أزمة كورونا التي لا يعلم أحد إلى متى سوف تستمر. تغييرات كثيرة طرأت على الحياة اليومية للناس فلا شيء أهم من الصحة والحياة في النهاية، ويحاول كثيرون التعويل على أنفسهم في إعداد وجباتهم اليومية والاستغناء عن خدمات إيصال الطعام التي طغت على أسلوب العيش في السنوات الأخيرة.

وتوقع خبراء أن يحدث فايروس كورونا تغييرات عميقة في الكثير من سلوكيات وعادات الإنسان اليومية على المدى الطويل لاسيما منها المرتبطة بالصحة وبالتغذية السليمة والطبخ وغيرها. وفي فترات الحجر أو العزل الصحي رجعت علاقة كثيرين بالمطبخ والأطباق وكتب الطهي ومواقع الوصفات وغيرها ويحاول غالبية الناس البحث عن وصفات صحية واعتماد تغذية سليمة تقوي الجهاز المناعي توقيا من الإصابة ومن عجز أجسامهم عن مقاومة الفايروس.

> كن منظما، ولا تترك أكياس الأطعمة نصف مفتوحة وكذلك زجاجات الصلصات كصلصة الشواء وعلب الأطعمة المعلبة مثل التونة مهملة

ويقدم العديد من الطهاة والمختصين في الصحة نصائح تتعلق بالتغذية والطبخ أثناء انتشار الوباء ويقدمون مجموعة من الإرشادات والنصائح لخوض التجربة دون مشكلات؛ وينصح المختصون بالبدء في إعداد قائمة بالوجبات التي تعتقد أنك قد ترغب في تناولها.

وتقول غالبية نصائح المختصين: حاول أن تعتمد الأدوات والمكونات المتوفرة في منزلك، وقد يعني هذا أنك ستطبخ بعض الوجبات للمرة الأولى. لكن، سيساعدك طهو الأطعمة الجديدة على محاربة الشعور بالملل وإلهاء نفسك.

ودع الوصفات تلهمك، ولكن لا تشعر بالإحباط إذا لم يكن لديك مكون واحد أو بعض المكونات التي يمكن تعويضها أو الاستغناء عليها. ويمكن اعتماد التوابل لتعويض المكونات الأخرى. ويمكن أن تكون مكونات مثل العدس متعددة الاستخدامات ويمكن أن تعتمد في البرغر النباتي.

كن منظما، ولا تترك أكياس مختلف الأطعمة مثل المعكرونة ورقائق البطاطس نصف مفتوحة وكذلك زجاجات الصلصات كصلصة الشواء وعلب الأطعمة المعلبة مثل التونة مهملة. وحاول قضاء بعض الوقت في تنظيف خزانة المطبخ والثلاجة.

ولا تتخلص من بقايا الطعام وحاول اعتمادها في وجبات أخرى وإعادة رسكلتها، أو تجميدها لوقت لاحق أو تناولها قبل أن تفسد.

وإذا لم تستخدم الدقيق (أو الأرز أو البسكويت أو الحبوب أو دقيق الذرة) منذ فترة، تحقق من تاريخ الاستهلاك وتأكد من سلامتها بعد التخزين.

خطط للمستقبل، ولكن كن مرنا ومنتبها ولا داعي للذعر. وإن كنت لا تحب فكرة نفاد البيض أو الزبدة، لا تخزنها أيضا. وخطط لمراقبة إمدادك بالسلع القابلة للتلف وغير القابلة للتلف، وراعي الشروط الصحية عند تسلمها من عمال توصيل الطعام أو عند اقتنائها بنفسك مع الحفاظ على شعورك بالتفاؤل. استعن ببعض الأفكار حول الحفاظ على الهدوء في المطبخ أثناء انتشار الفايروس: تعامل مع الأطعمة الطازجة مثلما تتعامل مع الذهب، تُحدث المنتجات الطازجة فرقا كبيرا من حيث ما يمكنك صنعه وما تستمتع به، لذلك تأكد من استخدام كل ما في متناول اليد أو في حديقتك قبل أن يفسد. واحرص على إبقاء بضعة أكياس من الخضار المجمدة، واستخدم المنتجات الطازجة أولا.

وإذا كنت تطهو في المنزل لأول مرة منذ فترة، فقد لا تجد الكثير لتبدأ به. أصبحت خدمات توصيل المتاجر أكثر انتشارا الآن، ولكن، تتوفر بعض الخيارات الأخرى للحصول على السلع الغذائية الأساسية وحتى السلع الطازجة. وغالبا ما تقدم شركات الطعام وجبات خفيفة بخدمة توصيل مباشرة إلى العملاء من خلال مواقع الويب. فكر أيضا في مجموعات من الوجبات، إذا لم تكن لديك فكرة عن كيفية البدء في التسوق أو الطهو ولا تمتنع عن إنفاق أموال إضافية لكل وجبة، توفر بعض الشركات شحن المكونات والوصفات مباشرة إلى منزلك.

واختر مجموعة من مجلات الطعام التي كنت ترغب في الاطلاع عليها أو مدونة طعام متخصصة. يُعد هذا الوقت مناسبا للاطلاع على أي كتب طبخ على رفوفك أو إلقاء نظرة على مجلد الوصفات التي تجمعها منذ سنوات.

«المواد الاستفزازية» تمنع الالتزام بالنظام الغذائي

موسكو – يمكن أن يتسبب الحجر الصحي في زيادة في الوزن، لذلك يوصي خبير التغذية الروسي إيفان أليمينكو، بضرورة اتباع نظام غذائي صحي للحفاظ على الوزن ومنع زيادته.

يقول أليمينكو، للحفاظ على الصحة و"تجنب الزيادة في الوزن والسمنة في فترة الحجر الصحي وخاصة في المنزل، يجب شراء كميات قليلة من المواد المفضلة، التي عادة ما تخزن كميات كبيرة منها في المنازل. هذه المواد تسمى 'المواد الاستفزازية'، والناس الذين يخزنونها في منازلهم يكون وزنهم عادة أعلى بـ9 كيلوغرامات في المتوسط من الآخرين".

ويساعد اتباع نظام غذائي على أساس السعرات الحرارية، في الحفاظ على الوزن، حيث يفضل تناول مواد غذائية تعطي يوميا في المتوسط 2000 سعرة حرارية. هذه الطريقة تتطلب تناول الطعام كل ثلاث ساعات بكميات قليلة ولكن لا تسمح بالشعور بالجوع.

> تذكر دائما أن المكسرات والفواكه من مسببات زيادة الوزن لأنها تعطي سعرات حرارية عالية، ولا تعطي شعورا بالشبع

ويؤكد الخبير على أنه عندما لا يغادر الشخص المنزل، عليه الامتناع نهائيا عن تناول المأكولات التي تعطي سعرات حرارية عالية، وعليه إجراء تمارين رياضية بين فترة وأخرى خلال النهار.

كما عليه أن يتذكر دائما أن المكسرات والفواكه من مسببات زيادة الوزن لأنها تعطي سعرات حرارية عالية، وفي نفس الوقت لا تعطي شعورا ثابتا بالشبع، لذلك ينصح بشرب كمية كافية من السوائل، لكي لا نتناول الطعام بإفراط.

العرب
الأحد 2020/03/22
السنة 42 العدد 11654

الوقاية أولوية مطلقة

كورونا تفرض حظرا شاملا على الموسم الرياضي

خسائر هائلة تنتظر الأندية العربية والأوروبية

أدى فايروس كورونا إلى فوضى في روزنامة الأحداث الرياضية، وطال منافسات مختلفة في آسيا وأوروبا والولايات المتحدة وأميركا الجنوبية، وصولا إلى التسبب بشلل شبه كامل في مختلف النشاطات.

لندن – يعتبر الموسم الرياضي لهذا العام استثنائيا بكل المقاييس نتيجة ما سببه وباء كورونا الذي ضرب مختلف بلدان العالم ومسّ جل الأنشطة والقطاعات دون تمييز وأساسا القطاع الرياضي. وبخلاف الاضطرابات التي سببها هذا الفايروس القاتل في روزنامة النشاطات الرياضية وأدى إلى تأجيل بعضها وتعليق أغلبها، فيما لا يزال الشك يلف أهمّها، فإن تركيز أهم الفاعلين في أغلب الدوريات يبقى منصبا على الخسائر المالية التي سيسببها توقف المسابقات على الأندية العربية منها والأوروبية.

وفرض فايروس كورونا حظرا شاملا على العديد من الأحداث والنشاطات الرياضية وتعدى ذلك ليدفع بأخرى قادمة إلى الإلغاء أو تعديل موعد إقامتها. وفيما تبدو الرؤية ضبابية وتتراوح بين النفي والإثبات، يواصل المنظمون التباحث في ما بينهم من أجل الخروج بقرارات صائبة حول الحلول الممكنة لتجاوز مخلفات جائحة "كوفيد – 19".

وأدى فايروس كورونا المستجد إلى فوضى في روزنامة الأحداث الرياضية، وعطل مختلف المنافسات في أفريقيا والشرق الأوسط وأوروبا والولايات المتحدة وأميركا الجنوبية، وصولا إلى التسبب بشلل شبه كامل لمختلف النشاطات سواء الفردية منها أو الجماعية وكذلك مختلف البطولات دون استثناء المحلية والقارية. وخلافا لجميع البطولات والأحداث الرياضية التي تقرر إيقافها أو تعطيلها حتى إشعار آخر يتواصل الجدل حول أكبر استحقاق رياضي عالمي لا يزال يثير الشكوك حول إقامته ألا وهو أولمبياد طوكيو المقرر إقامته في اليابان بين 24 يوليو والتاسع من أغسطس 2020.

وفي حين دعت اللجنة الأولمبية الدولية إلى أنها لا ترى حاجة لاتخاذ قرارات "جذرية" راهنا وأنها "تبقى ملتزمة بشكل كامل بدورة الألعاب الأولمبية طوكيو 2020 وأي تكهنات في هذه الفترة ستكون غير منتجة"، بدأ التململ يشق صفوف اللاعبين الأولمبيين والعديد من أعضاء الفرق المشاركة الذين عبروا عن خشيتهم من قرار اللجنة التمسك بالموعد المحدد وتأثيراته في حال تواصل انتشار الفايروس.

تململ الرياضيين

أبدى رياضيون قلقهم من إصرار السلطات اليابانية واللجنة الأولمبية الدولية على المضي قدما في إقامة دورة ألعاب طوكيو في موعدها هذا الصيف، معتبرين أن ذلك يضعهم أمام خطر داهم. لكن مروحة الانتقادات حيال اللجنة بدأت تتسع وطالت أيضا بيتها الداخلي مع اعتبار العضو فيها، الكندية هايلي ويكنهايزر، أن "هذه الأزمة هي أكبر حتى من دورة الألعاب الأولمبية" التي تعد أكبر حدث رياضي في العالم، وتستقطب لدى إقامتها مرة كل أربعة أعوام، الآلاف من الرياضيين والملايين من المشجعين.

وأضافت الرياضية السابقة المتوجة بأربع ميداليات ذهبية في منافسات الهوكي على الجليد "من وجهة نظر رياضية، يمكنني أن أتخيل القلق الذي يشعر به الرياضيون في هذه الأثناء". وتابعت "الشك وعدم معرفتك أين ستتمرن غدا في ظل إقفال مراكز التدريب وإلغاء منافسات التأهل في مختلف أنحاء العالم، هو أمر رهيب بحال كنت تستعد طوال حياتك من أجل ذلك (المشاركة في الأولمبياد)".

وقالت ويكنهايزر "أعتقد أن إصرار اللجنة الأولمبية الدولية على المضي قدما، بهذا القدر من الاقتناع، هو غير حساس وغير مسؤول بالنظر إلى الوضع الحالي للإنسانية". وانعكس توقف النشاطات الرياضية بشكل شبه كامل حول العالم، على العديد من التصفيات المؤهلة إلى أولمبياد طوكيو 2020، على رغم أن اللجنة الأولمبية تؤكد أن 57 في المئة من إجمالي الرياضيين المقرر أن يشاركوا في الألعاب، قد ضمنوا التأهل إليها حتى الآن. لكن هذا الموقف لم يلق صدى إيجابيا لدى العديد منهم.

وقالت حاملة ذهبية أولمبياد ريو 2016 للقفز بالزانة، اليونانية كاتيرينا ستيفاندي، "الأمر لا يصدق ماذا عن الرياضات الجماعية حيث يضطر الجميع للتمرن معا؟ ماذا عن السباحة؟ ماذا عن الجمباز حيث يضطرون للمس التجهيزات نفسها؟". وتابعت "لا يقيمون أي اعتبار للخطر الذي يضعوننا فيه حاليا".

ويدرك منظمو أولمبياد طوكيو ماذا يعني تأجيل حدث في قيمة أولمبياد طوكيو وما سيخلفه من ارتدادات على بلد أنفق الكثير من أجل الاستعداد لحدث رياضي عالمي مثل هذا. وعلى مدار السنوات القليلة الماضية عملت اليابان على تجهيز نفسها عبر تشييد العديد من المنشآت الرياضية يتم الكشف عنها تباعا، بما يعكس الإنفاق الكبير للبلد الآسيوي التي بدا يتأهب لأهم حدث رياضي عالمي إلى أن فوجئ بجائحة كورونا، لذلك يبدو من البديهي أن حتى مجرد التفكير في تدارس قرار التأجيل يبدو غير مقنع سواء بالنسبة إلى الكثير من المسؤولين اليابانيين أو حتى اللجنة الأولمبية.

وهو ما يؤكده تكرار المسؤولين اليابانيين دائما لفكرة عدم وجود خطط لديهم لتغيير موعد الأولمبياد أو إقامته دون جماهير، وخصوصا بعد بروز مقترحات تدعو إلى ذلك ومنها مقترح الرئيس الأميركي دونالد ترامب بتأجيل الألعاب لمدة عام واحد. وبعيدا عن أولمبياد طوكيو الذي يحظى بنصيب وافر من الاهتمام في ظل الأزمة التي فرضها "كوفيد- 19"، ينصب تركيز الاتحادات القارية أيضا على الموسم الكروي أوروبيا وعربيا أيضا والذي ظل يراوح مكانه ويطرح عديد الأسئلة: ما هي الحلول الممكن اتخاذها في حال تواصل انتشار الفايروس لعدة أشهر أخرى؟ هل أن الأندية الكبرى قادرة على تحمل استتباعات ذلك وخصوصا تلك المرتبطة عوائدها بالبث التلفزيوني على غرار الدوري الإنجليزي؟ عربيا، إلى أي مدى ستصمد الأندية أمام جائحة كورونا وتأثيرها على استكمال الدوريات في مختلف البلدان العربية وخصوصا للفرق التي تتلقى تمويلا من الشركات الخاصة على غرار الدوري الإماراتي؟

مستقبل غامض

بعد أن أعلن الاتحاد الأوروبي لكرة القدم (يويفا) عن تأجيل كأس الأمم الأوروبية (يورو 2020) إلى العام المقبل، اعتبر كثيرون القرار بمثابة "تضامن غير مسبوق" من قبل يويفا مع مسابقات الدوري المحلية في أوروبا، لكن قرارات اليويفا ربما تعد أمرا بسيطا بما يحتمل أن يستجد خلال الفترة المقبلة. وما كان لا يمكن تخيله في وقت سابق أصبح لا مفر منه، وذلك قبل أن يعقد اليويفا اجتماعا عبر الفيديو مع الاتحادات الوطنية الـ55 الأعضاء وممثلي الأطراف المعنية، للمناقشة بشأن تأثير أزمة انتشار العدوى بفايروس كورونا على كرة القدم والقرارات التي يفترض اتخاذها.

وقال ألكسندر شيفيرين رئيس يويفا "صحة الجماهير والعاملين واللاعبين يجب أن تكون على رأس أولوياتنا، ومن هذا المنطلق، طرح يويفا مجموعة من الخيارات كي تتاح الفرصة أمام استكمال مسابقات هذا الموسم بشكل آمن، وأنا فخور إزاء استجابة الزملاء في كرة القدم الأوروبية". وأضاف "كانت هناك روح تعاون حقيقية، حيث أقر الجميع بضرورة التضحية بشيء ما أحيانا من أجل الوصول إلى أفضل نتيجة". ولم يكن من السهل الوصول إلى قرار تأجيل يورو 2020 لتقام بين 11 يونيو و11 يوليو من العام المقبل بدلا من إقامتها بين 12 يونيو و12 يوليو من العام الجاري.

فالقرار سيتطلب تغيير موعد بطولة أوروبا لكرة القدم للسيدات المقررة في إنجلترا، وكذلك التعاون مع الاتحاد الدولي للعبة (فيفا)، الذي لم تكن علاقته مثالية مع يويفا في الأعوام الأخيرة، بشأن كأس العالم للأندية التي تنطلق بنظام جديد اعتبارا من نسخة صيف 2021. وتعد تلك الأمور بمثابة ثمن يستحق أن يدفع من أجل منح الأندية ومسابقات الدوري الفرصة لإيجاد الحلول بشأن جداول المنافسات، وكذلك منح اللاعبين فرصة التعافي.

وقال ديديه ديشامب المدير الفني للمنتخب الفرنسي المتوج بلقب كأس العالم 2018، في تصريحات لموقع الاتحاد الفرنسي إنه كان "قرارا حكيما". وأضاف "المباراة الوحيدة التي يجب أن نفوز فيها الآن هي المباراة أمام فايروس كورونا".

> منظمو أولمبياد طوكيو يدركون ماذا يعني تأجيل حدث في منزلة أولمبياد طوكيو وما سيخلفه من ارتدادات على بلد أنفق الكثير من أجل الاستعداد لحدث رياضي عالمي

وجاء قرار تأجيل يورو 2020 ليتيح الفرصة أمام تمديد الموسم إلى يونيو المقبل، علما وأنه من المفترض أن تنطلق منافسات الموسم المقبل في موعدها، ولكن الأمر كله سيخضع لتطورات الوضع.

وقال لويس روبياليس رئيس الاتحاد الإسباني لكرة القدم "سنطيل الموسم طالما أن ذلك ضروري من أجل استكمال المنافسات".

وأضاف "سيكون ظلما هائلا ألا يستكمل الموسم. لن نعلن أنه قد ألغي وإنما نرغب في استكماله". ويأتي إصرار إسبانيا على اتخاذ كل ما يلزم من أجل استكمال موسم 2019–2020 في الوقت الذي تسلط فيه الأضواء على قضية حسم بطاقات التأهل إلى المنافسات الأوروبية في الموسم المقبل. وقال شيفيرين "كان من المهم بالنسبة إلينا باعتبارنا الاتحاد الأوروبي لكرة القدم، أن نقود العملية ونقدم أكبر تضحية"، موضحا أن قرار تأجيل البطولة الأوروبية "يأتي بتكلفة باهظة". لكن في الوقت نفسه، قد تسفر خسائر البث التلفزيوني والرعاية لدوري الأبطال، عن أضرار بالغة لليويفا وعمالقة أوروبا.

أما الأندية الصغيرة والمتوسطة، فهي تبحث بالفعل عن طرق لسد الفجوة التي تفصلها عن الأندية الكبيرة في ما يتعلق بتدفق الأموال في ظل إيقاف المنافسات، ويعكف المحامون على فحص نصوص مختلف الاتفاقيات.

وفي ألمانيا، أكدت روابط للمشجعين أن إقامة المباريات دون جماهير ليست خيارا مقبولا، في حين أن رابطة الدوري الألماني أشارت، الاثنين، إلى أن ذلك ربما يكون الخيار الوحيد. وقال كريستيان شايفرت "هناك الكثير من الجوانب على المحك، إلى جانب مباريات كرة قدم قليلة". وأضاف "إذا قال أحد إن 'مباريات الأشباح' (المباريات التي تقام دون جمهور) خارج الخيارات المتاحة، فإنه لا يفترض الانشغال بمشاركة 18 أو 20 ناديا محترفا، لأنه لن تكون هناك أندية محترفة بعدها".

وجاء قرار يويفا ليفرض على الأندية ضرورة التحرك بشكل سريع خلال الأسابيع وربما الأشهر المقبلة. لكن الأمر لا يزال يتوقف على الضوابط والقيود المفروضة ضمن جهود مكافحة انتشار الفايروس، فلا تزال بعض الدول الأوروبية تفرض قيودا مشددة وباتت إقامة المباريات، حتى دون جماهير، أمرا غير ممكن.

والأمر نفسه تقريبا في الدول العربية التي وإن سعت أغلبها إلى تعليق نشاطاتها الرياضية وعكفت على محاربة انتشار الوباء داخلها، لا بل إن بعض الاتحادات قدمت مساعدات مالية لبلدانها على غرار الاتحاد التونسي الذي قدم قرابة 100 ألف دينار تبرعات لمواجهة هذه الجائحة. ولم يقتصر الأمر على اتحادات كرة القدم بل إن اللاعبين والنجوم كان لهم دور كبير في هذا الصدد على غرار ما فعله النجم البرتغالي كريستيانو رونالدو الذي تشير تقارير إلى أنه أمر بتحويل مجموعة من الفنادق إلى مراكز إيواء للمصابين بالوباء وقدم تبرعات مالية سخية.

خسائر مالية

تجد البطولات الوطنية الأوروبية الخمس الكبرى لكرة القدم نفسها أمام إمكانية خسارة قد تبلغ أربعة مليارات يورو (4.33 مليار دولار) في حال أطاح فايروس كورونا المستجد بالموسم الكروي بأكمله، وفق دراسة أجرتها شركة متخصصة.

وحسب الدراسة التي أجرتها شركة "كاي.بي.أم.جي" الرائدة عالميا في مجال المحاسبة، تواجه أندية البطولات الخمس (إنجلترا، إسبانيا، إيطاليا، ألمانيا، وفرنسا) خسائر تراوح ما بين 3.54 وأربعة مليارات يورو من حقوق البث التلفزيوني والعائدات التجارية والتسويقية، بحال لم تتمكن من خوض المباريات المقررة حتى نهاية الموسم.

وباتت البطولات الوطنية الخمس الكبرى في القارة العجوز والعديد غيرها، معلقة حتى مطلع أبريل على الأقل، بعد القيود الكبيرة، والإجراءات الصارمة المعتمدة للحد من انتشار الوباء.

وتوقع تقرير "كاي.بي.أم.جي" أن يكون الدوري الإنجليزي أكبر الخاسرين بحال لم تسمح الأوضاع الصحية باستئناف المنافسات، ويتكبد ما يقارب 1.25 مليار يورو، منها 800 مليون يورو من إيرادات حقوق البث. وأورد "القنوات التي لديها عقود جماعية مع الدوريات قد تطالب باستعادة أموالها بشكل متناسق بحال إلغاء مباريات وعدم استكمال الموسم".

وستكون خسائر إيرادات البث التلفزيوني أعلى في البريميرليغ رغم أن عدد المباريات المتبقية هو الأدنى مقارنة مع البطولات الأخرى باستثناء البوندسليغا الألمانية التي تضم عددا أقل من الأندية المتنافسة (18 مقابل 20 في كل من الدوريات الأربعة الأخرى).

ومن المتوقع أن تبلغ خسائر الليغا الإسبانية 600 مليون يورو من عائدات البث التلفزيوني، فيما قد تخسر أندية "سيري أ" الإيطالية ما يقارب 450 مليونا، مقابل 400 مليون للدوري الألماني، و200 للدوري الفرنسي.

العرب
الأحد 2020/03/22
السنة 42 العدد 11654

أزمة كورونا تفرض الغموض حول فترة الانتقالات الصيفية

تمديد فترة التوقيف يثير التكهنات بشأن عقود بعض النجوم

فتحت الأزمة العالمية بسبب جائحة كورونا التي ضربت الموسم الكروي، الباب أمام تكهنات صعبة تاركة المجال للعديد من التأويلات حول فترة التعاقدات الصيفية المقبلة وأزمة بعض اللاعبين الذين تنتهي عقودهم مع موفى هذا الموسم، فيما فرض تمديد فترة التوقيف أسئلة محيرة لدى عدد من النجوم في بعض الدوريات والذين بات مستقبلهم الكروي على المحك.

في دائرة الشك

لندن – بدأت أزمة فايروس كورونا المستجد التي جمّدت المنافسات الرياضية عالميا، تلقي بظلالها على فترة الانتقالات الصيفية المقبلة في كرة القدم الأوروبية، في ظل عدم وضوح يخشى أن يتسبب في الحد من الصفقات.

وبينما تجد السلطات الكروية القارية والمحلية نفسها أمام معضلة البحث عن مخرج لاستئناف الموسم، وغياب أيّ موعد لذلك في ظل الوضع غير المعروف لتطوّر فايروس "كوفيد – 19"، سيكون الجميع أمام احتمال تأخّر انطلاق المنافسات، أو امتداد موسم 2019 – 2020 لأطول من موعده المعتاد (أواخر مايو المقبل)، ما يطرح علامات استفهام بشأن فترة الانتقالات التي ينتظرها اللاعبون والأندية كل صيف.

ويظلّ من المستبعد أن تعمد البطولات الوطنية إلى إلغاء الموسم بالكامل. ومهّد الاتحاد الأوروبي لكرة القدم (يويفا) الطريق أمام استكمال المواسم المحلية من خلال تعليق مسابقتي الأندية (دوري الأبطال ويوروبا ليغ)، وإرجاء نهائيات كأس أوروبا إلى صيف 2021، ما نحا بذلك البطولات الوطنية الوقت الكافي لاستكمال منافساتها المعلّقة حاليا.

> مصادر القلق هذه تطال اللاعبين المصنفين في خانة النجوم والذين غالبا ما تربطهم بأنديتهم عقود معقّدة مثل بول بوغبا

وحتى في ظل عودة كرة القدم إلى المستطيل الأخضر، تخشى الأندية من أن قدرتها على الإنفاق لتعزيز صفوفها ستكون صعبة ومحدودة في فترة الانتقالات (التي عادة ما تكون بين نهاية موسم وبداية آخر).

وعلى الجانب الآخر دفع قرار تمديد موسم الدوري الإنجليزي الممتاز، بانتظار قرار مماثل ستتخذه أغلب الدوريات الأخرى، إلى غموض حول موقف عدد من اللاعبين الذين تنتهي عقودهم في الـ30 من يونيو المقبل. ومن بين اللاعبين المتأثرين، يبرز يان فيرتونخين مدافع توتنهام، وجيرو ووليان وبيدرو ثلاثي تشيلسي، وديفيد سيلفا جناح مانشستر سيتي، ورايان فريزر لاعب بورنموث، وجو هارت حارس بيرنلي.

ويقول برنار كايازو رئيس نادي سانت إتيان الفرنسي "في حال لم نعاود اللعب، الخسائر ستكون كبيرة إلى درجة أن الميركاتو لن يعود قائما! (..) البطولات التي عادة ما تقدم على شراء اللاعبين، لن تقوم بذلك على الإطلاق".

وفي حين أن هذا التقييم يبقى مرتبطا بالعديد من العوامل، يتوقع أن تكون الكلفة أكبر على أندية الدرجات الثانية وما دونها.

لكن حتى في الدرجات الأولى، يتوقع أن تتسبب محدودية سوق الانتقالات المقبلة بضرر أكبر لدى الأندية التي غالبا ما تعمد إلى تطوير لاعبين ناشئين وتنمية مواهبهم، قبل بيعهم لأندية أكبر لقاء مبالغ مالية كبيرة.

معضلة أخرى بدأت تؤرق المعنيين، وهي احتمال امتداد الموسم لما بعد تاريخ الـ30 من يونيو، وهو الموعد الذي تنتهي فيه عقود العديد من اللاعبين، أكانت تعاقدا ثابتا أو تعاقدا على سبيل الإعارة من نادٍ آخر.

وبحسب يوهان – ميكايل مانكي، المحامي الألماني المتخصص بحقوق العمل للاعبي كرة القدم في ألمانيا، "يمكن للاعبين، من وجهة نظر قانونية، أن يرحلوا عن النادي" حتى وإن كان الموسم متواصلا.

وبشأن إمكان تمديد العقود، يوضح مانكي "بحسب قانون العمل، لا يمكن للنادي القيام بذلك بشكل أحادي" أو جماعي، بل عليه الاتفاق مع كل لاعب على حدة.

وأشار الاتحاد الدولي (فيفا) الناظم للانتقالات، إلى احتمال بلوغ هذه المرحلة، وأعلن أنه يراقب الوضع، وشكّل مجموعة عمل لدراسة "الحاجة لإجلاء تعديلات أو استثناءات مؤقتة (..) وتعديل فترات تسجيل اللاعبين".

وأوضح مصدر معنيّ بقوانين كرة القدم، أن هذه المجموعة "ستعمل على الأسئلة المرتبطة بالانتقالات وأيضا عقود الإعارة. يجب تخفيف القوانين وأن يبذل كل الأطراف المعنيين جهودا أيضا، ومنها تمديد فترات الإعارة ليتمكّن اللاعبون من إنهاء الموسم بعد استئناف البطولات".

وبحسب الوكيل دافيد فانديتيلي "اللاعبون الشبان الذين باتوا على مشارف نهاية عقودهم، اللاعبون الطامحون (..) يواجهون مشكلة"، مضيفا "العائلات بدأت تقلق. هذه ظروف انتظار للاعبين".

ويتوقع وكيل آخر هو فريديريك غيرا "ارتفاع نسبة البطالة في أوساط اللاعبين"، أو رفض الأندية "تمديد عقودهم" بحال أرادوا تحسين شروطهم.

ويحذر المحامي ميشال بوتو من لجوء الأندية إلى اعتبار فايروس "كوفيد – 19" من ضمن "الظروف القاهرة" التي تجيز لها قانونا فسخ العقود. وتطال مصادر القلق اللاعبين المصنفين في خانة النجوم، والذين غالبا ما تربطهم بأنديتهم عقود معقدة، ويقف خلفهم وكلاء أعمال محنكون يعرفون كيفية الحفاظ على مصالحهم حتى في الأوقات الصعبة مثل الفرنسي بول بوغبا.

ومن بين الوكلاء الهولندي – الإيطالي مينو رايولا المرتبط بأكثر من لاعب معروف مثل بوغبا لاعب مانشستر يونايتد الإنجليزي والنرويجي إرلينغ هالاند نجم بوروسيا دورتموند الألماني.

وبعد التقارير على مدى الأشهر الماضية عن احتمال انتقال بوغبا إلى ريال مدريد الإسباني، بدا رايولا وكأنه يعدّ لـ"موسم" الصيف دون التأثر بفايروس كورونا.

وقد قال مؤخرا في مقابلة مع صحيفة "ماركا" الإسبانية "آمل في أن أتمكن يوما ما، من أن أنقل لاعبا هائلا إلى ريال مدريد (..) أريد أن أنقل لاعب كرة قدم كبيرا، وأريد أن أحاول القيام بذلك هذا الصيف".

وبالنسبة إلى الوكلاء الأقل شهرة يقول غيرا "كل الملفات التي نناقشها هي حاليا في فترة ترقب"، وهو ما يعقّد دور الوسطاء في فترة من عدم اليقين.

وأضاف "الوكلاء سيعانون بالتأكيد من تراجع عائداتهم"، مرجحا أن يضطروا "للقيام بتنازلات لإبقاء النشاط في فترة الانتقالات الصيفية".

ويقول فانديتيلي وتبدو عليه علامات الحسرة "لا يتوافر أمامنا أي مجال للرؤية" حيال المستقبل.

فورمولا واحد تقاوم فترة التوقف بإجراء سباقات «افتراضية»

لندن – أعلن منظمو بطولة العالم للفورمولا واحد أن السائقين سيتنافسون في سباقات "افتراضية" عبر ألعاب الفيديو الإلكترونية خلال الفترة المقبلة في ظل تعطل انطلاق الموسم بسبب فايروس كورونا المستجد.

وحتى الآن، ألغيت الجائزة الكبرى الافتتاحية في أستراليا الأسبوع الماضي، وجائزة موناكو التي كانت مقررة في مايو المقبل. وبينَ هذه وتلك، أرجئت جوائز البحرين، فيتنام، الصين، هولندا وإسبانيا، إلى موعد لاحق. والسباق الأول الذي لا يزال مدرجا على جدول البطولة، هو جائزة أذربيجان الكبرى في السابع من يونيو المقبل.

وفي مسعى لملء وقت الفراغ هذا، أعلن منظمو البطولة الجمعة عن إطلاق "سلسلة جوائز كبرى افتراضية" لسباقات الفئة الأولى، سيشارك فيها عدد من السائقين الحاليين، إضافة إلى مشاهير لم تكشف أسماؤهم بعد. وجاء في بيان للمنظمين أن السلسلة تُطلق "من أجل السماح للمشجعين بمواصلة حضور سباقات الفورمولا واحد عن بعد، على الرغم من الوضع الراهن المرتبط بفايروس "كوفيد–19" الذي أثّر على جدول السباقات".

عودة للمضمار لكن بطرق أخرى

وأشار المنظمون إلى أن السباقات "ستحل بدلا من كل جائزة كبرى تم تأجيلها، بدءا من نهاية الأسبوع الحالي مع سباق جائزة البحرين الكبرى الافتراضي في الـ22 من مارس"، مؤكدين أنه "لضمان سلامة المشاركين، سينضمّ كل سائق إلى السباق عن بعد".

وسينظم كل سباق في موعد السباقات التي تم تأجيلها حتى مايو، وهي البحرين (الـ22 من مارس)، فيتنام (الـ5 من أبريل)، الصين (الـ19 من أبريل)، هولندا (الـ3 من مايو)، وإسبانيا (الـ10 من مايو).

وسيتنافس السائقون خلال السباقات التي سيتم بثها مباشرة عبر منصات رقمية مثل يوتيوب أو فيسبوك أو تويتر، باستخدام لعبة الفيديو فورمولا 2019، على أن يتألف كل سباق من 28 لفة.

وأوضح المنظمون أنه "نظرا إلى المهارات المتنوّعة في ألعاب الفيديو لدى السائقين، سيتم إعداد اللعبة بشكل يشجع التسابق التنافسي والممتع، وهذا يشمل مستوى الأداء نفسه والإعدادات الثابتة، وتقليص الأضرار في السيارات (بحال الاحتكاك)" وغيرها.

ويعتزم المنظمون إقامة هذه السباقات الافتراضية إلى حين التمكن من إطلاق الموسم رسميا على الحلبات.

وكان من المقرر أن تتألف بطولة فورمولا 1 هذا العالم من 22 سباقا، لكن فايروس كورونا المستجد يفرض على المنظمين اختصارها في ظل تحديات تنظيمية واقتصادية.

ولا يزال المنظمون ومجموعة "ليبرتي ميديا" الأميركية المالكة لحقوق البطولة، يأملون في التمكّن من إقامتها وإن بإيقاع سريع تختصر فيه الفترات الفاصلة بين السباقات، في حال سمح تفشي فايروس "كوفيد–19" بذلك، وأتاح إطلاق بطولة 2020 رسميا في المدى المنظور.

وكان انطلاق الموسم مقررا في مارس مع سباق أستراليا على حلبة ألبرت بارك في مدينة ملبورن، كما جرت العادة كل عام. لكن السباق ألغي قبل ساعات من انطلاق التجارب الحرة الجمعة، بعد تسجيل حالة إصابة بالفايروس في صفوف فريق ماكلارين اضطرته إلى الانسحاب. وتظل هذه التجربة الجديدة أفضل خيار يعمد إليه منظمو البطولة لتخفيف الضغط على المتسابقين.

لاوتارو هدف الجميع

مراد البرهومي
كاتب صحافي تونسي

الكرة الأرجنتينية مثلها مثل سائر مدارس الدول اللاتينية وخاصة البرازيل ظلت "ولّادة" للنجوم. بقيت الأرجنتين على امتداد سنوات طويلة منجما للاعبين الرائعين والموهوبين الذين دوّنوا أسماءهم ضمن قائمة أساطير الكرة في العالم.

رحلة الكرة الأرجنتينية في تقديم مواهب خالدة ولاعبين "سحرة"، من المؤكد أنها لن تتوقف أبدا، فلكل زمان أبطاله ونجومه، ومع إطلالة كل حقبة يبدأ الحديث عن نجم موعود بالشهرة والنجومية وخاصة التألق والإبداع.

في هذا السياق بدأ الحديث عن موهبة الفتى الصاعد والهداف الواعد لاوتارو مارتينيز الذي رحل منذ صائفة 2018 صوب أوروبا من البوابة الإيطالية، وكأنه أراد أن يسير على خطى العديد من اللاعبين الذين سبقوه إلى الدوري الإيطالي وأبرزهم مارادونا.

بدأت الرحلة وبدأ هذا الفتى المرحلة الأصعب في مسيرته، إذ يتعين عليه تقديم ما يشفع له أن يكون أحد نجوم اللعبة ليس في إيطاليا فحسب بل في أوروبا وكل العالم.

لم تدم فترة الاختبار طويلا، فموهبة النجم القادم من نادي راسينغ كلوب الأرجنتيني ظهرت سريعا وعلامات النبوغ جعلته محط الأنظار ومحل كل انبهار.

فما قدمه خلال موسمه الأول مع إنتر ميلان جعله يكسب الرهان سريعا ويقدم نفسه كأفضل ما يكون كهداف بالفطرة ولاعب مميز لديه كل القدرات على تعويض مواطنه إيكاردي الذي تأزمت علاقته في الموسم الماضي مع الفريق.

استغل لاوتارو تبعا لذلك الفرصة واقتنصها ببراعة، ربما كان يدرك رغم صغر سنّه أن هذه الموهبة التي يملكها ستجعله يحلق في السماء ويكون اللاعب الأول في الفريق.

تحقق له ما أراد في ذلك الموسم، قبل أن يأتي التأكيد في موسمه الثاني. هو بريق قوي خطف كل الأضواء وجلب الأنظار من مختلف الأرجاء، لقد أصبحت هذه "لجوهرة" مطمعا للجميع وحلما لكل الفرق القوية أوروبيا.

وبعد أن بدأت هذه الأندية تحاول منذ الصائفة الماضية إيجاد خارطة طريق للوصول إلى قلب لاوتارو وخطفه، احتدت شدة المنافسة خلال الميركاتو الشتوي الأخير، وتصاعدت الأصوات من كل صوب وحدب بهدف كسب المزاد والظفر بالمراد.

حاول ريال مدريد ترصّده وتعقب خطواته علّه يسبق الجميع ويوقع لهذا اللاعب، فكّرت إدارة مانشستر سيتي بجدية في إغراء الإنتر والحصول على هذا "الصيد الثمين"، وفعلت مثلها إدارة باريس سان جرمان.

عدة أندية فكّرت وخطّطت وحاولت إقناع إدارة الإنتر بالتفريط في هذه الجوهرة، لكن كل الجهود ذهبت سدى.

فقط هو فريق واحد ما زال يحلم بـ"اختطاف" النجم الأرجنتيني، فريق فقط ما زال يؤمن بأنه قادر على إغواء إدارة الإنتر وإغراء لاوتارو بتغيير مساره الأوروبي الناجح إلى حد الآن.

هو برشلونة الذي لم يسأم بعد من محاولة إيجاد منفذ لقلب لاوتارو ومخرج لتغيير موقف إدارة الإنتر وإقناعها بالتفريط في هذا المهاجم المميز.

> ما ضرّ أن يواصل برشلونة رحلة البحث عن اصطياد لاوتارو والحصول على توقيعه، فهو لاعب تتوفر فيه كل الشروط، وهو نجم يشهد له الجميع بالمهارة والموهبة

اليوم وفي خضم حالة الركود والسبات الذي ضرب كل الدوريات بالشلل الكامل جراء "وباء كورونا"، بقيت إدارة "البارسا" تبذل كل الجهود من أجل الوصول إلى تحقيق الهدف المنشود والتعاقد مع النجم الأرجنتيني الصاعد.

رغم صعوبة الأمر حاليا في ظل تعنت إدارة الإنتر التي تصرّ على بقاء لاوتارو مع الفريق لأطول فترة، ورغم المزايدات من بعض الأندية والتي تجعل التعاقد مع اللاعب مسألة غاية في التعقيد والصعوبة إلا أن الحلم البرشلوني لم ينته بعد.

ربما ما يزيد في تمسك إدارة برشلونة في الحصول على خدمات هذا اللاعب أنها تعلم جيدا أن أغلب الصفقات الأخيرة لم تكن موفقة، والدليل على ذلك تراجع مستوى الفريق باستمرار طيلة المواسم الأخيرة.

إدارة برشلونة تدرك جيدا أنه منذ خروج البرازيلي نيمار وجدت نفسها في ورطة وكل من وقع استقدامه لخلافته فشل في ذلك. ما ضرّ أن يواصل برشلونة رحلة البحث عن اصطياد لاوتارو والحصول على توقيعه، فهو لاعب تتوفر فيه كل الشروط، وهو نجم يشهد له الجميع بالمهارة والموهبة.

سان جرمان يبدأ مفاوضات مع ألغيري لخلافة توخيل

باريس – كشف تقرير صحافي فرنسي السبت أن فريق باريس سان جرمان شرع فعليا في مفاوضات مع مدرب جديد لخلافة توماس توخيل المدير الفني للفريق حاليا.

ووفقا لموقع "فوت ميركاتو" الفرنسي فإن البرازيلي ليوناردو المدير الرياضي لباريس سان جرمان بدأ فعليا المفاوضات مع ماسيميليانو أليغري، المدير الفني السابق ليوفنتوس لتولي المهمة بدءا من الموسم المقبل.

وأشار الموقع إلى أنه رغم تأهل سان جرمان إلى ربع نهائي دوري أبطال أوروبا، إلا أن إدارة الفريق الباريسي أبدت عدم رضاها عن الأداء الذي يقدمه الفريق، وتصر على رحيل توخيل.

وأوضح الموقع الفرنسي أن ليوناردو يلوح من أكبر المتحمسين في سان جرمان لمنح المهمة الفنية لأليغري في الموسم المقبل.

وكان أليغري قد صرّح في وقت سابق بأنه لم يدخل في مفاوضات مع باريس سان جرمان لأنه يرى هذا الأمر بمثابة عدم احترام لأشخاص آخرين، في إشارة إلى مدرب الفريق الحالي توخيل. وعرف سان جرمان أداء متذبذبا طيلة فترات متراوحة رغم السيطرة التي فرضها على لقب الدوري.

ورغم تعاقد إدارة النادي الفرنسي مع النجم البرازيلي نيمار في مسعى لتحقيق لقب رابطة الأبطال، إلا أن هذا الحلم ظل معلقا طيلة السنوات الثلاث الماضية ولم يتجاوز الفريق دور الثمن النهائي باستثناء هذا العام الذي دخل طور التوقف بسبب جائحة كورونا.

ويتزايد توجّس بعض اللاعبين أو المسؤولين الذين تنوي إدارة سان جرمان الفوز بخدماتهم في ظل الاتهامات بالفساد التي تلاحق رئيسها ومدير مجموعة "بي أن سبورت" القطري ناصر الخليفي.

وكان آخر فصل من فصول قضايا الفساد للمسؤول القطري، رفض العدالة الفرنسية الطلبات المقدمة من هيئة الدفاع عن الخليفي لإسقاط اتهام موكّلهم في شبهة فساد بشأن حصوله على حقوق بث غير قانونية.

العرب
الأحد 2020/03/22
السنة 42 العدد 11654

كورونا تؤجل تكريم الموسيقار عبدالفتاح سكر بدمشق

اضطرت دار الأوبرا بدمشق لإلغاء حفلة التكريم الخاصة بالملحن السوري الراحل عبدالفتاح سكر، اعترافا منها بقيمة الفن الكبير الذي قدمه للأغنية السورية والعربية، بسبب تعليق عمل الدار كإجراء احترازي للوقاية من فايروس كورونا المستجد.

نضال قوشحة

دمشق – تم تعليق حفلة تكريم الملحن السوري الراحل عبدالفتاح سكر، التي كان من المقرر تقديمها في دار الأوبرا بدمشق في الرابع عشر من شهر مارس الجاري، وذلك لمنع مناشط الدار بسبب انتشار فايروس كورونا المستجد.

وكرست دار أوبرا دمشق اعترافا منها بقيمة الفن الكبير الذي قدمه سكر للأغنية السورية والعربية، الحفلة التكريمية الخاص به والتي كانت ستقدم من قبل الفرقة الوطنية السورية للموسيقى العربية بقيادة المايسترو عدنان فتح الله وبمشاركة العديد من الأصوات، من بينهم عاصم سكر واليسار السعيد.

وقال فتح الله لـ"العرب"، "عبدالفتاح سكر من الملحنين الذين رسموا هوية خاصة للأغنية السورية وهو يسمى أبو الأغنية الشعبية السورية لأنه قدم في هذا المفصل الكثير، خاصة مع الفنان فهد بلان".

ويعتبر سكر من الأسماء الفنية المتميزة، فقد شكل علامة فارقة في تاريخ الغناء السوري والعربي، وقدّم ألحانه لكبار المطربين من بينهم الفنان فهد بلان، الذي راهن عليه منذ التقى به وأستشعر أنه سيكون المنبر الذي سيحقق من خلاله أحلامه الفنية وأوجد له اللون الذي ظهر به. وكانت البداية مع الأغنية الشهيرة "لركب حدك يا الموتور"، وشاعت الأغنية في كل أرجاء سوريا والوطن العربي، ومعها ظهر فهد بلان بقوة، ثم تتابعت الأغاني وعلى مدار عشر سنوات قدم فيها الثنائي سكر وبلان نمطا غنائيا سوريا غير مسبوق.

وتابع فتح الله "لسكر خيال وأفكار خلاقة في مجال الجمل الموسيقية التي لا تصنف في مجال الأغنية الشعبية بل الكلاسيكية الشرقية. مثال ذلك أغنية 'يا ساحر العينين' و'يا عين لا تدمعي' لفهد بلان أو اللحن الكبير 'بتاخدني الأيام' الذي يعد من كلاسيكيات الغناء الشرقي العربي، إضافة إلى أنه ألّف في الموسيقى الآلية، فلديه سماعي صبا، وهو أحد قوالب الموسيقى الكلاسيكية كما قدم موسيقى آلية في شارات الأعمال التي قدمها".

وأضاف واصفا طريقة عمل الفنان سكر بأنها متفردة وذكية قائلا، "ذكاؤه يظهر في دراسته للصوت الذي يلحن له. فهو يضيف له بعدا يناسبه، فتكون النتيجة شخصية عربية جديدة يعطيها نمطا خاصا بها، فالألحان التي قدمها لفهد بلان كانت لطيفة جميلة وأضاف عليها بلان أداء رجوليا مناسبا. وعندما تعامل مع فؤاد غازي قدم شكلا يناسب صوته وطبيعته فكانت أغان فيها جمل موسيقية أنيقة وموظفة وهذه الأغاني ساهمت بشكل كبير في نشر فنه وما زالت باقية للآن في ذاكرة الناس".

وبعد تجربته مع فهد بلان، قدم سكر العديد من الأصوات السورية التي كانت ألحانه كفيلة بأن تضعها في قمة الشهرة.

وقدم صوت موفق بهجت في العديد من الأغنيات منها "بابوري رايح رايح"، "تعا جاي"، كما قدم في نفس الفترة صوتا فريدا هو دياب مشهور "عالماية"، "يا بو ردين".

عبد الفتاح سكر موهبة لا تتكرر

وفي أوائل الثمانينات قدم صوتا قويا في سوريا هو فؤاد غازي من خلال العديد من الأغنيات التي راجت في تلك الفترة "ما ودعوني"، "لزرعلك بستان ورود". كما قدم لاحقا العديد من الأصوات.

> سكر يعتبر من الأسماء الفنية المتميزة، فقد قدّم ألحانه لكبار المطربين من بينهم الفنان فهد بلان

ولحن سكر لمطربين عرب فغنت له نجاح سلام ونور الهدى وسميرة توفيق وهيام يونس وهدى سلطان وسعاد مكاوي والجزائري رابح دریاسة في الأغنية الشهيرة "الهوى الأول يا شمالية". كما قدم أغنية شهيرة للمطرب المصري الكبير محمد عبدالمطلب "بتاخدني الأيام" التي غنتها لاحقا أصالة نصري.

وغنى سكر مع السيدة فيروز في اسكتش "ليالي الحصاد"، ثم قام بتلحين مسلسل إذاعي السندباد البحري للقاص حكمت محسن كما لحن أغنية وطنية شعبية من تأليف فخري بيك البارودي بعنوان "يا أهل الحي إجتنا المي" وكانت بمناسبة جر مياه الفرات إلى مدينة حلب وقد قدمت الأغنية بحضور البارودي ورئيس الجمهورية حينها شكري القوتلي.

وفتحت فرقة "البوني أم" أبواب العالمية أمام الملحن السوري الراحل عندما أخذت منه المقطع الأول لأغنيتها الشهيرة "ما ميكر" التي صدرت عام 1977 في أميركا.

ولم يقف إبداع سكر عند حدود الأغنية، بل تعداه إلى وضع الاسكتشات والموسيقى التصويرية للدراما التلفزيونية كما قدم العديد من الأفلام السينمائية العربية، فتعاون مع المخرج خلدون المالح في تقديم المسلسل الشهير "صح النوم" بطولة دريد لحام ونهاد قلعي، الذي وضع له شارة موسيقية صارت ميزة خاصة بالعمل.

وتابع بعدها مع مسلسلات "وين الغلط" و"وادي المسك" و"صوت الفضاء الرنان"، كذلك في مسرحيتي دريد لحام "ضيعة تشرين" و"غربة". في موسيقاه التصويرية، كان يلخص جو العمل فيقدم أجواء درامية تومئ بمضمونه.

وقال فتح الله "نعمل على إحياء التراث وتناوله بطريقة فيها إضافة وليس تشويها للحن الأساسي فضروري أن نقدم للجيل الجديد المخزون الموسيقي التراثي لأمته سواء كانت موسيقى فولكلورية أو آلية".

وشدد على ضرورة "تقديم التراث بطريقة أكاديمية علمية عصرية لكن دون المساس بجوهره، فالجيل الجديد مهتم بأن يسمع هذه الموسيقى التي تعزز الانتماء للتراث الموسيقي الوطني ومن ثم الانتماء للوطن في النهاية".

من الضروري تقديم التراث بشكل عصري

مهرجان كان السينمائي يفتح أبوابه للمشردين

كان (فرنسا) – أعلن المسؤولون في كان الفرنسية أن المدينة ستفتح الجناح المخصص لمهرجانها السينمائي السنوي الذي تم تأجيله بسبب فايروس كورونا للمشردين مع انتشار الوباء في فرنسا.

وقد تم إلغاء مهرجان كان السينمائي الذي كان مقررا في الفترة الممتدة من 12 مايو المقبل إلى 23 منه بسبب انتشار وباء كوفيد 19 الناتج عن فايروس كورونا المستجد.

وسجلت فرنسا الجمعة 78 حالة وفاة جديدة بسبب فايروس كورونا خلال الـ24 ساعة الماضية ليصل إجمالي عدد وفيات الوباء في البلاد إلى 450. وتم تأكيد حوالي 12612 إصابة لكن السلطات تحذر من أن الرقم الحقيقي قد يكون أعلى بكثير.

وفي مواجهة هذه التطورات، قالت سلطات بلدية كان إن المكان الذي يستقبل عادة مؤتمرات وفعاليات فنية، كيّف لاستيعاب ما يصل إلى 50 شخصا يعيشون في الشارع في ما اعتبروه "رمزا للتضامن".

وقال دومينيك أود لاسي، نائب المدير العام للخدمات الحضرية في كان، "الأولوية حاليا هي العزل، ويجب عزل الأشخاص الأكثر ضعفا".

وسيتم توفير الأسرة والوجبات ومراكز الاستحمام بما يتماشى مع التدابير المتعلقة بالتباعد الاجتماعي أثناء العزل المرتبط بالفايروس عبر فرنسا. وأوضح أود لاسي أن مشاهدة التلفزيون ستكون متاحة أيضا فيما ستفحص درجة حرارة الأشخاص وتفقد أمتعتهم عند المدخل. وقال منظمو مهرجان كان الخميس إن الحدث لن يقام في مايو وقد يؤجل إلى منتصف يونيو أو أوائل يوليو.

وتخطط سلطات مدينة نيس أيضا لفتح أماكن إقامة للمشردين اعتبارا من الاثنين.

عادت الممثلة المصرية نيللي كريم وهي بالجبس إلى موقع تصوير مسلسلها الجديد «100 وش» المقرر عرضه في رمضان، لتستأنف تصوير مشاهدها، بعد أن تعرضت خلال التصوير لحادث مروع أثناء ركوبها على دراجة نارية.

إغلاق شاطئ بسبب تجمع الشباب على رماله

سيدني – أغلقت السلطات الأسترالية شاطئ بوندي في سيدني، السبت، بعد توافد حشود كبيرة إليه رغم فرض الحكومة حظرا على التجمعات الكبيرة بسبب جائحة فايروس كورونا المستجد.

ويأتي هذا الإجراء الموقت بعدما انتشرت صور لشباب صغار السن على رمال الشاطئ الشهير على مواقع التواصل الاجتماعي على نطاق واسع، ما أثار احتجاجا من المستخدمين ومن المسؤولين على حد سواء.

وقال ديفيد إليوت، المسؤول في شرطة ولاية نيو ساوث ويلز، "ما رأيناه هذا الصباح على شاطئ بوندي كان أكثر التصرفات غير المسؤولة التي شهدناها حتى الآن".

وقد يشمل هذا الحظر شواطئ أخرى إذا لم يتم التقيد بالإجراءات الحكومية التي تمنع التجمعات. وحظرت التجمعات غير الضرورية التي تضم أكثر من 500 شخص، إذ يسعى المسؤولون إلى وقف انتشار الفايروس. وفي أستراليا ما يقرب من ألف إصابة مؤكدة بوباء "كوفيد19–".

وقالت السيناتورة كريستينا كينيلي، التي تعيش في سيدني، إنه "مرض يمكن أن يصيب الشباب ويمكن أن يقتلهم".

قطة تجلس وحيدة في موقع حمامات أنطونيوس بمدينة قرطاج شرق العاصمة تونس، التي أفرغت من الزوار بعد أن اتخذت سلطات البلاد تدابير لمنع انتشار كورونا.

دار أوبرا روسية تقدم عروضها لمتفرج واحد

موسكو – أعلنت دار أوبرا روسية شهيرة، في مسعى للتوفيق بين موجبات الحجر المنزلي والرغبة في الاستمرار بإحياء الحفلات، أنها ستختار يوميا شخصا واحدا ممّن يثبت مخبريًا عدم إصابتهم بفايروس كورونا، ليحضر منفردا عرضا فنيا في القاعة.

وأعلنت دار بيرم للأوبرا والباليه عبر موقعها الإلكتروني أن هذه القاعة الواقعة في منطقة الأورال على بعد أكثر من ألف كيلومتر إلى الشرق من موسكو، ستطلق هذا المشروع "المضاد للحجر الصحي" وهو يحمل اسم "حفلة فردية".

وأشارت الدار في بيان إلى أنه "اعتبارا من نهاية مارس الحالي، سيتمكن متفرج من المشاركة في العروض المنقولة مباشرة عبر الإنترنت ومتابعة ممثلين وموسيقيين سيحيون العرض أمامه وحده في القاعة".

ولفتت إلى أن "عرضا بهذا المستوى لا يمكن أن يقام من دون جمهور".

وسيجري اختيار سعيد الحظ عبر سحب للقرعة ويتعين عليه الخضوع لفحص طبي قبل حضور العرض لإثبات عدم إصابته بكورونا، وفق ما أوضح المخرج المسرحي مارات غاتسالوف في تصريحات أوردها البيان.

وأضاف غاتسالوف "نحن مستعدون لتقديم عروض حتى لشخص واحد لأن كل متفرج يوازي بأهميته قاعة بأكملها".

وتصنف دار بيرم للأوبرا التي أسست في نهاية القرن التاسع عشر، من الأشهر في روسيا. وقد ترأسها قائد الأوركسترا الروسي اليوناني الشهير تيودور كورنتزيس بين 2011 و2019.

وقد أغلقت عشرات قاعات المسرح حول العالم، فيما تواصل دور عدة تقديم العروض عبر الإنترنت من دون جمهور.

إسبان في الشوارع على هيئة ديناصورات

مدريد – ابتكر بعض المواطنين في إسبانيا طريقة جديدة لوقاية أنفسهم وعائلاتهم من فايروس كورونا المستجد، تعتمد على ارتداء زي على هيئة الديناصورات أثناء تجوالهم بالشارع.

ووفقا لصحيفة "ذا صن" الأميركية، فإن مجموعة من السكان استخدموا الزي الخاص بالديناصورات كطريقة مبتكرة للوقاية، نظرا لسماكة البدلة المحشوة بكمية كبيرة من الصوف وغيرها من المواد التي تجعلها تتخذ شكل الحيوان المنقرض.

وتشارك المواطنون مشاهد طريفة عبر المواقع الاجتماعية تظهر البعض وهم يتجولون بزي الديناصورات في الأماكن العامة، وأثناء قضائهم لحاجاتهم اليومية، بهدف وقاية أنفسهم من العدوى.

وأعلن رئيس الوزراء الإسباني، بيدرو سانشيز، في وقت سابق، أن مدريد ستخصص 200 مليار يورو لمواجهة التداعيات الاقتصادية لتفشي كورونا.

صباح العرب

عدلي صادق

كورونا في أصدائها الدينية

حيال تفشي وباء الكورونا؛ كان لا بد من ارتجاعات وأصداء، تتشكل في مناخات الأديان. ومثلما يتوافق الناس الآن، على تدابير الوقاية، وتتطلع أبصارهم إلى لقاح مُغيث؛ فقد توافق بعض المؤمنين من سائر الأديان، على أن ما يحدث، كان بمشيئة الله وحده، وما البشر إلا الطرف الذي تلقى الضربة القادمة من الرب المتعالي. لكن بعض القائلين بهذا التعليل، زادوا، كلٌ حسب ما يعلمه من تفشي المروق على محددات التقوى وجوهر الدين، أو حسب عنوان الجهة التي يتمنى أن تكون هي الآثمة، التي جلبت البلاء.

لعل أطرف ما قيل إيمانياً، جاء على لسان السيدة أوبا موتشينغوري وزيرة الدفاع في زمبابوي. فأوبا هذه، من ورثة الزعيم التاريخي موغابي، صاحب الشكاية المديدة من الجنس الأبيض، ومن الغرب. قالت وزيرة الدفاع: "إن الله يُعاقب أولئك الذين فرضوا الحصار على اقتصاد بلادنا. ها هم الآن يقبعون في منازلهم، واقتصادهم يستصرخ العلماء توسلاً لأي ترياق، جرّاء ما فعلوه بنا!"

لكن المؤرخ الإيطالي الكاثوليكي روبرتو دي ماتاي، الناقم على رجال الكنيسة، توجه إلى عنوان آخر، واختار تعليله في السياق الذي يلائم قناعاته، قال: "إن الفايروس التاجي نزل على البشرية بسبب رجال الكنيسة بكل مجموعاتهم". لم يلجأ المؤرخ إلى التبعيض، وشمل الكل، متأثراً بما يعتبره "فضائح" السنوات الأخيرة التي تورط فيها رجال دين كاثوليك. وفي محاضرة مصورة بالفيديو عن الفايروس، أفضى دي ماتاي بما في نفسه وما يشبه الشماتة، فأشار إلى أن كنائس إيطاليا ستغلق في عيد الفصح المقبل، وأنه "حتى كاتدرائية القديس بطرس مغلقة" وتساءل: "كيف يمكننا ألا نرى، في ما ينتجه الفايروس التاجي، نتيجة رمزية للتدمير الذاتي للكنيسة"؟!

أما حاخام كنيس مستوطنة "بني براك" اليهودية المقامة على قرية "الخيرية" المهجرة المجاورة ليافا؛ فقد كان له رأي آخر، إذ اعتبر المصيبة جاءت رداً على فعل بشري شائن، هو اللواط، لا يقتصر استنكاره على أتباع الدين اليهودي وحده. فكأنما الرجل في هذه المسألة يتحدث باسم جميع الأديان. قال: "إن الله أرسل إلينا الجرثومة المسمومة، كعقاب على مسيرات المثليين في هذه الحقبة". وأردف يقول "إن خالق الطبيعة، ينتقم ممن يخالفونها". والرجل هنا، وإن أصاب على المستوى الوعظي، فقد أخطأ في التخصيص، لأن الفايروس يصيب الجميع أسوياء ملتزمين بخالق الطبيعة وشواذ يخالفونه ويخالفونها!

ربما يكون المسلمون، قد وجدوا من الأفضل جعل الفايروس مؤامرة أميركية أو ابتلاء صينياً، وليس انتقاماً ربانياً، فامتنعوا عن الانخراط في مضاربة التعليلات، التي تلغي بعضها بعضاً!